

صدايق القرآن

مجلة قرآنية .. ثقافية .. فصلية

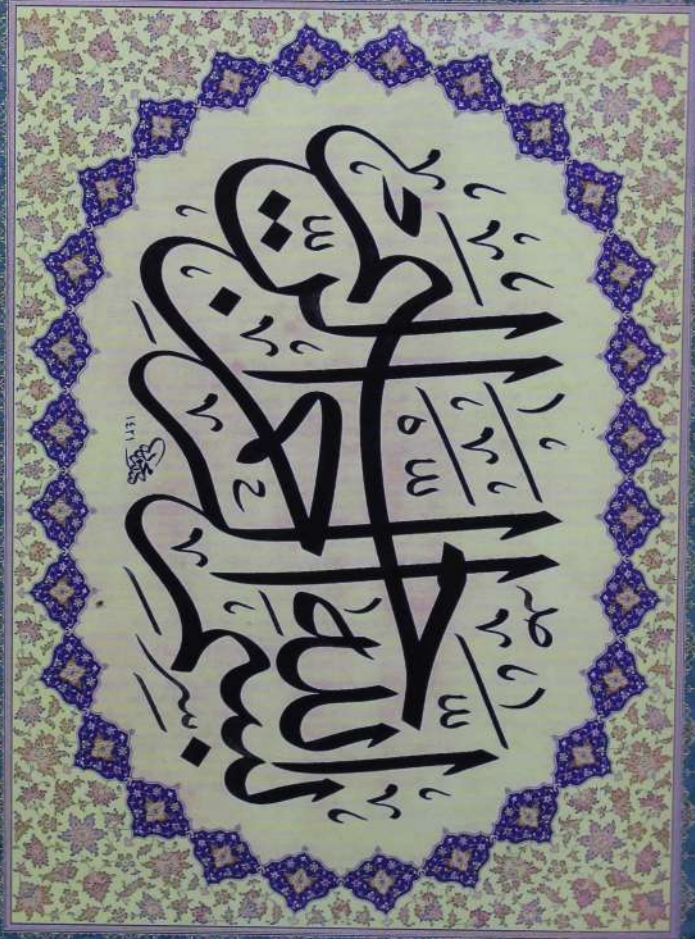
العدد الخامس . السنة الثانية ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م

- أسماء القرآن الكريم قراءة في إشكالية الأسماء والصفات
- العصمة وأثرها في تلقي النص القرآني
- العقل وأهميته في فكر الإمام موسى الكاظم عليه السلام من منظور قرآني
- الشعراء في القرآن الكريم
- سبل تعزيز القيم الروحية قراءة في النص القرآني
- تأملات في قصة نبي الله موسى عليه السلام في السياق القرآني - القسم الأول
- مفهوم التوسل في المنظور القرآني - سورة يوسف أنموذجاً
- مفهوم الغريب في القرآن الكريم
- آية (يسألونك ماذا ينفقون) في سورة البقرة - قراءة سياقية
- صورة الكافر في الخطاب القرآني - دراسة سيميائية
- قراءة في أطروحة (التنحية النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم)
- مشاريع قرآنية (التبليغ القرآني الدولي)

تصدر عن

الله اعلم
بما نزلنا
من كتابك
والله اعلم
بما نزلنا
من كتابك

1371
عبدالله





صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد الخامس السنة الثانية

أسرة التحرير

الهيئة الاستشارية

سماحة السيد فاضل الجابري
الأستاذ طلال الكمالي
الأستاذ الدكتور عبود جودي الحلي
الدكتور زين العابدين موسى جعفر

هيئة التحرير

أ.م.د. محمد جعفر العارضي
جامعة القادسية
أ.م.د. حيدر عبد الزهرة
جامعة بغداد
م.د. فالح حسن الأسدي
جامعة بابل
م.د. التنصاراضي عليوي
جامعة الكوفة

المدقق اللغوي

أ.م.د. عبد الحسن العبودي
جامعة القادسية

ترجمة

سعد شريف طاهر

الإخراج الفني

محمد طاهر الموسوي

الإشراف العام

سماحة الشيخ
عبد المهدي الكربلائي
الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة

الإشراف الإداري

الشيخ حسن المنصوري

رئيس التحرير

أ.د. عادل نذير بيبري
جامعة كربلاء

مدير التحرير

أ.م.د. أحمد صبيح الكعبي
جامعة كربلاء

سكرتير التحرير

جعفر حسن علي
دار القرآن الكريم

التنسيق والعلاقات

عمار رزاق الخزاعي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٢٧ لسنة ٢٠١٣

www.dar-alquran.org

sadaalquran1@gmail.com



صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد الخامس السنة الثانية

محتويات العدد

الافتتاحية

٥

أبحاث ومقالات

٧

م.م. نصير كريم الساعدي

أسماء القرآن الكريم
قراءة في إشكالية الأسماء والصفات

١٩

م.د. صباح عيدان حمود العبادي

العصمة وأثرها في تلقي النص القرآني

٥٧

م.د. عباس ضياء القزويني

العقل وأهميته في فكر الإمام موسى الكاظم (ع)
من منظور قرآني

٧٥

د.كاظم جاسم منصور العزاوي

الشعراء في القرآن الكريم

٩٣

د. نضال حنش شبار الساعدي

سبل تعزيز القيم الروحية
(قراءة في النص القرآني)

١١١

السيد محمد التوحي

تأملات في قصة نبي الله موسى (ع)
في السياق القرآني



صدى القرآن

مجلة قرآنية ثقافية فصلية تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة العدد الخامس السنة الثانية

١٢٩ م.د. محمد حسين عبود مفهوم التوسل في المنظور القرآني
سورة يوسف أُمُودًا

١٤٥ م.د. فلاح رسول حسين الحسيني مفهوم الغريب في القرآن الكريم

١٦١ م.د. رافع عبد الكاظم سالم آية (يسألونك ماذا ينفقون...) في سورة البقرة
قراءة سياقية

١٦٩ د. مهدي راضي عبد السادة صورة الكافر في الخطاب القرآني
دراسة سيميائية

قراءة في أطروحة جامعية

التحنية النحوية

ودلالاتها في القرآن الكريم

١٩٥ عرض: م.د. فالح حسن الأسدي للدكتور نزار عبد اللطيف العجرش

مشاريع قرآنية

التبليغ القرآني الدولي

٢٠٥ أ.م.د. أحمد صبيح الكعبي

الأبحاث والمقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة
إنما تمثل رأي الكاتب

الإفتتاحية

عقول العقلاء.. أطراف اقلامهم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين، السلام على الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام، ثم السلام على قرآء (صدى القرآن).

قال عز وجل ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَأَبْرَأْنَا الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ نَفْقِدَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جُنَّا بِرَبِّنَا مَسَدًا﴾ الكهف / ١٠٩.

الآية الكريمة تجعلنا أمام جملة أمور ومسؤوليات تحتم علينا النهوض بها، والتعبير عنها، ولنا في ضوء الآية الكريمة أن نتخيل حجم الحاجة المعرفية والعلمية التي تفرض علينا تدبر القرآن الكريم وتأمله لنتمكن من إزجاء معانيه لعامة المسلمين أولاً ولعموم البشرية من غير المسلمين ثانياً، ثم ننصّر طبقات الوعي المعرفي والعلمي للمسلمين على مختلف مذاهبهم واتجاهاتهم، وحاجة كل طبقة منها الى طائفة من المتخصصين والباحثين والدارسين المتمكنين من تقنين المعنى القرآني، وصياغته على النحو الذي يلبي حاجة الفئة المستهدفة أولاً، وعلى النحو الذي يتساقق والخطوط الأصلية للإسلام ثانياً.

إننا بحاجة إلى نهضة حقيقية في فهم القرآن الكريم والبحث فيه لا تستسلم لمكان أو زمان، دائمة التوثب لكل ما هو جديد ولاسيما على المستوى القيمي، والعلمي لعرضه على معاني القرآن الكريم؛ التي لا يسبر غورها من دون بحث ودقيق نظر، والبحث القرآني الذي نرجوه هو بحث مؤسساتي تسيّره مشاريع ورؤى وخطط مستقبلية، وليس البحوث المرتجلة التي لا تخلو من بركات القرآن في كثير من الأحيان، فإنها تشترك في تشكيل الوعي

الإفتتاحية

المعرفي والعلمي للمسلمين ولا سيما الوعي الذي يتساقط وطبيعة القرآن المتجددة والشاملة التي جعلتنا نؤمن به دستوراً إلهياً للبشرية جمعاء.

واستشعاراً لتلك الحاجة تدأب مجلة (صدى القرآن) وتنتطلع إلى أطراف أعلام الباحثين لأنها تكشف عن عقولهم في تدبر النص القرآني، وتحثهم على الكتابة في ما يلبي حاجة الوعي الإسلامي لمختلف الشرائح الاجتماعية، كي لا يكون البحث محض افتراضات، وتظليلات وتأمّلات، لأنّ البحث الذي يراقب شريحة اجتماعية معينة على وفق مستوى ما تعيه تلك الفئة سيكون من دون شك بحثاً مُنتجاً لوعي جديد ولافتناً للنظر إلى مساحة معرفية لم تطأها الانظار من قبل، تستميل تلك الفئة الى قراءته ومراقبته، وحثها للمتابعة والاستزادة.

ونحن اليوم نغمرنا بسعادة باللغة اذ إنّنا في هذا العدد نضع بين ايدي قرائنا الكرام اضمامة جديدة من الابحاث العلمية، والتأمّلات العقلية، ولا سيما ما ينهض بمعاني القرآن الكريم وأفاهقه، ناشدين من ورائها بثّ روح الوعي القرآني في مختلف شرائح المجتمع المسلم، أملين استدراز اطراف اعلام الباحثين ممن شغلهم الإعجاز القرآني فيمموا جهدهم صوبه يستنطقونه ويتأمّلونه متيقنين من أنّ معانيه لا تنضب وعجائبه لا تنقضي، وان كان البحر مداداً لأقلامهم.

وفق الله العاملين في دار القرآن الكريم لخدمة القرآن، و الحمد لله من قبل ومن بعد،
وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين.

رئيس التحرير



أسماء القرآن الكريم

قراءة في إشكالية الأسماء والصفات

م.م نصير كريم الساعدي



المقدمة :

المحجلين، الذين وفوا ببيعته وساروا على نهجه، وبذلوا مهجهم دونه.

أما بعد: فقد تنوعت دراسات علماء المسلمين واختلفت وشملت كل نواحي القرآن الكريم، وما بحثنا اليوم الاقطرة من ذلك النيمر العذب الذي نهل العلماء منه، وما زالوا ينهلون ما دامت السموات والارض.

ويبحثي يتناول مسألة أسماء القرآن التي بحثها العلماء سابقاً وكانت لهم أقوالهم المختلفة في ذلك، وهنا أحاول الولوج في أعماق المصادر لتسليط الضوء على هذه

الحمد لله رب العالمين، والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً، وأستغفره وأستهديه، وأعوذ به من شرور أنفسنا انه أرحم الراحمين.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين السراج المنير الذي كان خلقه القرآن ووصيته القرآن وميراثه القرآن، رسول الله أبي القاسم محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين، الهداة، الذين جعلهم رسول الله ﷺ قرناء القرآن (صلوات الله عليهم أجمعين)، وعلى أصحابه الفر



ويبدو أن الحديث عن تعدد أسماء القران الدالة على مفهوم واحد (كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ) يرتبط ارتباطاً مباشراً بظاهرة الترادف^(٧) في اللغة العربية، بل هو من مصاديقها وتطبيقاتها، وإذا أردنا أن نبين الراجح من آراء العلماء في أسماء القرآن الكريم، ومنه إلى بيان رأي السيد السبزواري في حقيقة أسماء القرآن، فلا بد لنا أولاً أن نستوضح مفهوم الترادف وأسباب نشوئها وموقف العلماء منها بإيجاز.

والترادف من القضايا التي كانت محل اخذ وجذب بين المثبتين والمنكرين مما أدت إلى انقسامهم إلى مذاهب، فمنهم من جعلها ظاهرة مميزة للغة العربية بل هي من خصائصها التي انمازت بها عن غيرها، وذهب آخرون إلى إنكارها، ومن ثالث اتخذ الوسطية فيقول بالترادف لكن بقيود^(٨).

والمثبتون لها من القدماء قد بالغوا كثيراً فيها، إذ يذكر الأصمعي للرشيد انه يحفظ للحجر سبعين اسماً، ويقول ابن خالويه انه جمع للأسد خمسمائة اسم وللأقعى مئتي اسم^(٩) وهكذا.

المسألة ومعرفة جذورها وأسباب الحقيقية التي أدت إلى تعدد أسماء القرآن الكريم عند العلماء مستخدماً منهج الموازنة بين الأقوال، بغية الخروج برأي راجح، فضلاً عن بيان رأي السيد السبزواري في المسألة من خلال تفسيره.

المطلب الأول: أسباب تعدد أسماء القرآن:

سُمِّيَ القرآن الكريم بمجموعة أسماء تضمنها التنزيل الحكيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢) وعدد هذه الأسماء يتفاوت بين العلماء، فمنهم من خلط بين الأسماء والصفات^(١٠) وأوصل أسماء القرآن الكريم إلى خمسة وخمسين اسماً^(١١)، وآخرون توسطوا فجعلوا (القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر) أسماء والباقي صفات^(١٢)، ومنهم من أضاف إليها الوحي^(١٣)، وآخر أضاف التنزيل^(١٤).

ومن الباحثين من ذهب إلى القول أن القرآن الكريم هو الاسم الوحيد للوحي المنزل على النبي محمد ﷺ وباقي الأسماء صفات له^(١٥)، وهذه المسألة من المسائل التي طال الكلام فيها.

هو الحقيقة في الدلالة، وما عدا ذلك الاسم صفات جاءت متأخرة في أصل اللغة^(١١).
وبعيدا عن الفعل وردة الفعل، ظهر اتجاه ثالث رفع شعار الوسطية، متمثلاً بفخر الدين الرازي إذ لم ينكر الترادف، لكن ميز ما كان اسماً للذات ومما كان اسماً للصفة^(١٢)، وهو ما تبناه الدكتور كاصد الزيدي الذي يقول: «والذي ذهب إليه الرازي هو الأقرب في ما يبدو لواقع اللغة وقصد المتكلم، مما يذهب إليه كثير

وهذا الإسراف في تعداد الأسماء أدى إلى ظهور تيار معارض لهذه الظاهرة، بل كان منكراً لوجودها في أصل اللغة، ومنهم أبو علي الفارسي وابن فارس، إذ يذهبان إلى أن الشيء قد يسمى باسم واحد كالسيف مثلاً، ثم تكون له مجموعة ألقاب وأوصاف، كالصارم والمهند والحسام وغيرها فهذه عندهم صفات للسيف وليست أسماء^(١٣)، إذ يرى ابن فارس «أنَّ الخلاف بين الألفاظ المترادفة يكمن في أن ثمة اسماً



إذ «ليس من المعقول من أن تتعدد أسماء الشيء الواحد في كلام القبيلة الواحدة، ولكن من المعقول أن تتعدد صفاته، فيصفونه بعدة صفات يرونها دالة عليه ومعبرة عنه، ثم صارت في عرض السامعين أسماء بعد أن تطاول عليها الزمن، وأما ما ذكره من أن ألفاظ عدّوها مترادفة وليست من الصفات كالقمح والبر والحنطة، وكالمدينة والسكين، فهذه هي المترادفات حقاً لأنها تحكي عن ذات»^(١٦).

ويصح هذا الكلام إن كانت اللغة العربية

من القدامى من الرفض المطلق أو القبول المطلق»^(١٧).

ولقد ذكر الباحثون أسباباً أخرى^(١٨)، لهذه الظاهرة ولكن الأظهر إن كثرة الخلط بين الأسماء والصفات هو السبب الرئيس في ظهور هذه الظاهرة ونشوتها.

يقول محمد المبارك «إن للشيء المسمى وجوهاً وصفات كثيرة يمكن أن يسمى بأكثر من صفة من صفاته، وإن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة، تبعاً لتلك الوجوه والصفات، ومن هنا ينشأ الترادف»^(١٩).



ذواتاً لا صفات^(١٧).

ويظهر من الكلام السابق أن الخلاف في الترادف كما ينطبق على كثرة بعض الأسماء أمثال السيف والأسد وغيرها، بسبب الخلط بين الاسم والصفات ينطبق على مسألة تعدد أسماء القرآن والقائلين بالكثرة والقلة .

المطلب الثاني: موقف السيد السبزواري من تعدد أسماء القرآن الكريم:

يظهر من خلال تتبع أقوال العلماء وأدلتهم التي ساقوها لاختيار أسماء القرآن وتحديدتها أن هناك فريقين إجمالاً:

الأول: القائلون إن أسماء القرآن أربعة «القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر» والباقي صفات، مع ملاحظة أن بعض الباحثين أضاف بعض الأسماء الأخرى كما اشرنا في بداية الموضوع، لكن ذلك لا يخرجهم من هذا القسم .

الثاني: القائلون أن للقرآن اسماً واحداً وهو القرآن الكريم، والأسماء الأخرى صفات.

وأخرجنا من الكلام المكثرين في عدد أسماء القرآن، الذي لا يحتاج إلى كثير كلام

الفصيحة جمعت من لهجة واحدة ولكنها كانت نتاج لهجات عديدة وأجيال مختلفة: «فالترادف ظاهرة لغوية طبيعية في كل لغة نشأت من عدة لهجات متباينة في المفردات والدلالة، وليس من الطبيعي أن تسمى كل القبائل العربية الشيء الواحد باسم واحد، وعليه نرى إن الترادف وقع في اللغة العربية الفصحى التي كانت مشتركة بين قبائل العرب في الجاهلية»^(١٧).

لكن عذر تعدد اللهجات في ظهور الترادف لم يسلم من النقد، لعدم تناسب عدد اللهجات مع الأسماء التي أحصيت لبعض المسميات، فهل يعقل إن في العرب ألف لهجة؟ حتى يكون للسيف ألف اسم^(١٨)، أو خمسمائة اسم للأسد^(١٩).

والراجع أن السبب الرئيس لكثرة الأسماء هو انتقال الكثير من صفات الاسم الواحد من معنى الوصفية إلى معنى الاسم الذي تصفه^(٢٠)، والانتقال لم يتم بسرعة «بل عبر رحلة اللغة الطويلة إلى الأسمية، وفقدانها صفتها الأصلية كما هو الحال في أسماء الأسد والسيف»^(٢١)، وهذا ما دعا الدكتور رشيد العبيدي إلى القول بأن الأصل في الألفاظ المترادفة أن تكون ألفاظاً

﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانُ وَضِيَآءٌ وَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾
(الأنبياء: ٤٨).

ويدل هذا الاشتراك في التسمية على أنها من قبيل الوصفية المشتركة بين الكتب السماوية «واشترك القرآن مع الكتب الإلهية المنزلة الأخرى بتلك الأسماء فيه إشارة إلى وحدة المصدر فهي كلها كلام الله»^(٢٥).

والمتتبع لتلك الأسماء في كتاب الله تعالى يجد أن اسم القرآن وحده دون الأسماء الثلاثة الأخرى هو الذي اختص من بينها بالدلالة على كلام الله المنزل على نبيه ﷺ^(٢٦). إذ أن لفظ القرآن حينما يسمع فإن الذهن يتبادر إلى ذلك الكتاب الكريم، والتبادر إمارة الحقيقة^(٢٧).

ويظهر أن لفظة القرآن لم يختصها سبحانه وتعالى في كتابه المجيد إلا للدلالة على القرآن الكريم، وما ذكر من أسماء للقرآن هي حقيقة أوصاف يشترك فيها القرآن وغيره، (والخلط بين الأسماء والصفات) أسس لكثرة الأسماء في ظاهرة الترادف كما أوضحنا سابقاً، وسيوضح المطلب أكثر عندما نرى كيفية تعامل السيد السبزواري مع هذه الأسماء.

فيه بعد أن أوضح كثير من الباحثين^(٢٨) إن هذا خلط واضح بين الأسماء والصفات.

والفريق الأول الذي يرى أن للقرآن أربعة أسماء دليلهم، أن هذه الأسماء ورد ذكرها في القرآن الكريم كأسماء (لكلام الله المنزل):

القرآن: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن مَّا نُنزِّلُ إِلَّا مِن دُونِ رَبِّ يَدِي وَيَقْضِي الْكَلِمَ لَا رَبِّ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧).

الكتاب: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن كَتَبْنَا رَبِّي فِيهِ مَهْدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

الفرقان: في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١).

الذكر^(٢٩): في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٠).

وقولهم أن هذه الأسماء ثبتت لكلام الله في القرآن نفسه يشكل عليه من جهتين:

الجهة الأولى: إن هذه الأسماء أطلقت على غير القرآن من الكتب السماوية كما أطلقت على القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

يتمشى مع خط عريض اتبعه الإسلام للتعبير عما جاء به من مفاهيم^(٢٦).

ولنا أن نتساءل عن سبب هذا الإصرار على اتخاذ الخصوصية في إيجاد المفاهيم الإسلامية بعيداً عما كان مذكوراً من ألفاظ؟

يجيب الشهيد الصدر: لعل ذلك يرجع لعاملين:

الأول: إن الكلمات الشائعة في الأعراف الجاهلية من الصعب أن تؤدي المعنى الإسلامي بأمانة.

والثاني: وهو الأهم، وذلك بأن تكوين أسماء محدودة يتميز بها الإسلام، سوف يساعد على إيجاد طابع خاص وعلامات فارقة بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات^(٢٧).

إذن كان هناك خط عام سار عليه الإسلام لتمييز مفاهيمه مما يحيطه من ثقافات، وتجلي ذلك بإعطاء أسماء خاصة لتشريعته التي جاء بها (سواء كانت في العبادات أم المعاملات).

ويحق لنا أن نكرر التساؤل على القائلين بتعدد أسماء القرآن، لماذا لم يختص القرآن الكريم باسم خاص أسوة بجميع

الجهة الثانية: إن الإشكالية الأخرى التي يمكن إثارتها على القائلين بتعدد أسماء القرآن، لماذا لم يختار الإسلام اسماً لكتابه المعجز أسوة بالكتب السماوية الأخرى التي سماها الشارع بأسماء محددة؟، خاصة وأن مسألة اسم الكتاب الكريم هي مسألة تتعلق بالعقيدة^(٢٨).

على الرغم من أننا نجد أن الإسلام كان حريصاً على أن يوحد مفاهيمه وأسماءه الخاصة التي تميزه من محيطه الوثني الذي ظهر فيه، بل نجد هذه السمة بارزة في إبراز الهوية الإسلامية، وتجلي ذلك بإطلاق مسميات خاصة تميز الدين الجديد ممّا موجود من أفكار ومسميات جاهلية وهذا ما سمي بـ«المصطلح الشرعي»^(٢٩)، وما قضية «تحويل القبلة، وتعيين أعياد خاصة للمسلمين وتسمية الرسول ﷺ لمن لم يتبع الإسلام (جاهلي) إلا مؤيدات لما ذهبنا إليه، من الحرص على إيجاد أمة مستقلة عن سائر الأمم»^(٣٠).

ويعتقد السيد محمد باقر الصدر أنّ اختيار أسماء مخالفة لما سُمى به العرب كلامهم جملة وتفصيلاً، والاهتمام بوضع أسماء محدودة ومصطلحات جديدة

تشريعاته؟ ألم يُسمَّ كتبه السماوية الأخرى (التوراة والإنجيل والزيور) بأسماء خاصة؟ أيعقل أن الشارع المقدس يغفل (حاشى لله) عن تحديد اسم خاص لكتابه المعجز الذي انزله ليكون خالداً ما دامت السموات والأرض وبه ختمت الرسالات؟

لذلك ذهب الدكتور محسن عبد الحميد إلى عدّ القرآن اسماً خاصاً لكلام الله، كما أن هناك أسماء خاصة للكتب السماوية الأخرى «وبذلك يكون لفظ (القرآن) اسماً علماً، لا يطلق إلا على الكتاب الذي انزله الله على محمد ﷺ كما يسمى كتاب موسى بالتوراة وكتاب عيسى بالإنجيل»^(٢٢).

وقد تحدث السيد السبزواري عن أسماء القرآن (القرآن والكتاب والفرقان والذكر) وهذه الأسماء هي المشهورة عند العلماء، وعندما يتعرض لهذه الألفاظ بالبيان، نجد أنه يميز بينها، فهو يتحدث عن لفظة القرآن بقوله: «علم للكتاب المنزل على رسول الله ﷺ...»^(٢٣)، واسم العلم: هو ما دل على واحد دون غيره من أفراد جنسه بلا قرينة^(٢٤)، فلفظة (القرآن) عنده لا تحتاج إلى قرينة صارفة إلى المعنى لأنها دالة عليه وخاصة به.

و نجد أيضاً عندما يتعرض لغيره من الأسماء مثل لفظة (الكتاب) يخبر عنها (بأنها اسم جنس)^(٢٥)، وغيرها بـ (المراد من الذكر هنا القرآن، أو المراد من الفرقان هنا القرآن) والتعبير عنها بهذه العبارات يدل على عدم انصراف الذهن إلى أن المراد منها هو القرآن الكريم تحديداً، ولذلك فهو يحتاج إلى قرينة صارفة لبيان معناها، على ما سنفصل به عند التعرض لرأي السيد في هذه الأسماء.

ويظهر أنّ السيد السبزواري يفصل بين اسم القرآن الذي أعطاه صفة العلمية، وغيره من الألفاظ التي هي صفات يشترك بها القرآن وغيره، على ما سنرى في المطلب المقبل.

ونخلص إلى أنّ مسألة (أسماء القرآن) هي من الترادف في اللغة، والتي تختلف فيها العلماء كما اختلفوا في تعيين اسم القرآن الكريم.

ورجح الباحث إن الترادف في اللغة موجود بشرط أن يكون هناك فصل ما بين الذات والصفة.

وان القرآن هو اللفظة الوحيدة الدالة على كلام الله تعالى دون الأسماء الأخرى

- ٦- ينظر: تفسير القرآن الكريم: السيد مصطفى الخميني، مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني - قم، ط١: ١٤١٨هـ: ١/ ٨، ومعالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للنشر - بيروت، ط١: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م: ٢/ ٢٦٢، والقرآن الكريم والأصول في تدبره، الدكتور محمد حسين صفوري، شركة المطبوعات للنشر ت بيروت، ط١: ٢٠٠١م: ٢٢.
- ٧- الترادف في اللغة: هو ما اختلف لفظه واتفق معناه، وهو إطلاق عدة كلمات على مدلول واحد، ينظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب: إميل بديع يعقوب والدكتور ميشال عاصي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١: ١٩٨٧: ٢٧٢.
- ٨- ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: الدكتور رشيد العبيدي، مطبعة التعليم العالي - بغداد، ط١: ١٩٨٨م: ٢٣٥.
- ٩- ينظر: فقه اللغة العربية: الدكتور كاسد الزبيدي، وزارة التعليم العالي، جامعة الموصل، ط١: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ١٦٩.
- ١٠- المصدر نفسه: ١٦٩.
- ١١- أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ٢٢٧.
- ١٢- ينظر: فقه اللغة: الزبيدي: ١٧٠.
- ١٣- المصدر نفسه: ١٧٠.
- ١٤- ينظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب: ٢٧٦.
- ١٥- فقه اللغة وخصائص العربية: محمد مبارك: ١٩٩ - ٢٠٠، نقلا عن: أبحاث ونصوص في فقه

التي هي في الحقيقة صفات لا أسماء للقرآن.

ويظهر في ضوء ما تقدم أنَّ من العلماء من يتبنَّى الفصل بين الاسم و الصفة في سياق أسماء القرآن .

الهوامش

- ١- ينظر: موجز علوم القرآن: داود العطار: ٤٢.
- ٢- ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين بن محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - بيروت، ط١: ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م: ١/ ٢٧٤ - ٢٧٧، والإيقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد سالم هاشم، مؤسسة فخر دين - قم، ط١: ١٣٨٠/ ١: ١٣٧ - ١٤٠.
- ٣- ينظر: المدرسة القرآنية: السيد محمد باقر الصدر: ٢١٠، والتسهيل لعلوم التنزيل: القاسم بن محمد الكلبي الفرناطي، دار الكتب العربية - بيروت، ط١: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م: ٥/١.
- ٤- ينظر: التحرير والتطوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) - ط١ - مؤسسة التاريخ - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٧٠.
- ٥- ينظر: مناهل العرفان: الشيخ عبد العظيم الزرقاني: ١/ ١٣، وفي رحاب القرآن الكريم، الدكتور محمد سالم محسن، ط١: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م: ١٨ - ١٩.

- اللغة / ٢٣٤.
- ١٦ - فقه اللغة : الزيدي: ١٧٠ .
- ١٧ - المعجم المفصل: ٣٧٤.
- ١٨ - ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٣.
- ١٩ - ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ٢٣٨.
- ٢٠ - ينظر: المعجم المفصل: ٣٧٥.
- ٢١ - أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ٢٤١.
- ٢٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٥.
- ٢٣ - ينظر: مناهل العرفان: ١/ ١٤، التمهيد في علوم القرآن: الشيخ محمد هادي معرفة: ١/ ١٥، موجز علوم القرآن: ٤٢.
- ٢٤ - هذه الأسماء هي المشهورة عند العلماء وقال بها المفسرون القدماء: ينظر: جامع البيان: ١/ ٧٧، والتبيان في تفسير القرآن: ١/ ١٧-١٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ٤١.
- ٢٥ - علوم القرآن: الدكتور محسن عبد الحميد وآخرون، مطبعة وزارة التربية - بغداد، ط٤: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م: ٩.
- ٢٦ - ينظر: المصدر نفسه: ٨.
- ٢٧ - ينظر: مناهل العرفان: ١/ ١٣.
- ٢٨ - دراسات في علوم القرآن: ١٢.
- ٢٩ - المصطلح الشرعي: ما استعمله الشارع المقدس في معنى خاص وبلغ الرسول ﷺ ذلك. أمثال: الصلاة التي كانت تعني الدعاء في العربية وانتقل اللفظ ليدل على الصلاة الشرعية المتكونه من أفعال مخصوصة، ومنها الصيام والزكاة وغيرها.
- ينظر: معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للنشر - بيروت، ط١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ٨٠/١.
- ٣٠ - موجز علوم القرآن: ٤١.
- ٣١ - ينظر: المدرسة القرآنية: ٢٠٩-٢١٠.
- ٣٢ - ينظر: المدرسة القرآنية: ٢١٠، وعلوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم: ١٧-١٨.
- ٣٣ - علوم القرآن: الدكتور محسن عبد الحميد: ٩.
- ٣٤ - مواهب الرحمن: السيد عبد الأعلى السبزواري: ٢/ ٢٩.
- ٣٥ - ينظر: قواعد اللغة العربية: الدكتور مبارك مبارك، الشركة العلمية للنشر - بيروت، (د.ت): ٢١.
- ٣٦ - اسم الجنس: هو الذي لا يختص بواحد دون غيره من أفراد جنسه، ينظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب: ١/ ١٤.



العصمة

وأثرها في تلقي النص القرآني

م.د. صباح عيدان حمود العبادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخَوِّضُ الْغَوَّاصِينَ
الَّذِي يُصَوِّرُ السَّحَابَ
كَمَا يَشَاءُ أَلْوَانًا
مُتَنَوِّعًا إِنَّهُ عِنْدَ
رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخَوِّضُ الْغَوَّاصِينَ
الَّذِي يُصَوِّرُ السَّحَابَ
كَمَا يَشَاءُ أَلْوَانًا
مُتَنَوِّعًا إِنَّهُ عِنْدَ
رَبِّهِمْ يُرَوِّدُونَ



المقدمة :

المبدع ليكون جزءاً من الخطاب فلا بد من توفر خواص جديدة فيه ومختلفة عن غيره لأن هذا (الغير) لا يستطيع ان يتلقى ثقل الوحي فكانت النبوة أكثر انضباطاً والتزاماً بتحمل ثقل الرسالة لما تحمل من صفات وخلق يجعلها أكثر قبولاً من المتلقي الآخر

إن الوظيفة التي وجد من أجلها الخطاب الإلهي اقتضت أن يبين النص القرآني أثر المتلقي في عملية الاتصال الذي هو البيان والتبيين ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

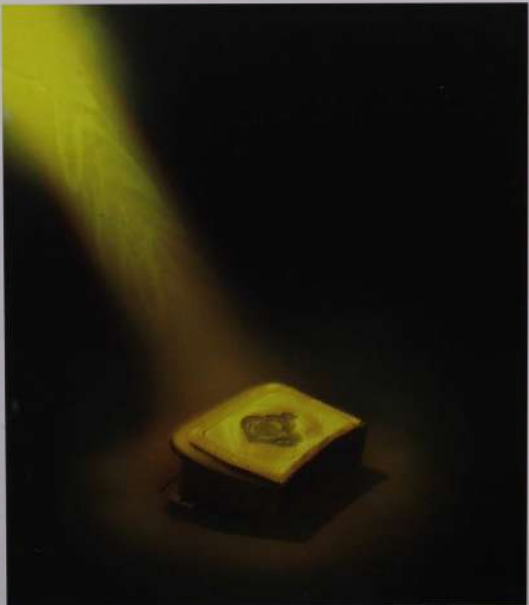
قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٩) وان هذا المتلقي أعطي التفويض الكامل في تبليغ النص القرآني فهو المؤهل الأوحد لقراءة النص وبيان دلالاته التي أرادها المبدع في لحظة ولادة النص لتكتمل ركائز الخطاب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) ولكي تكون الدلالة أكثر اطمئناناً عند المتلقي الثاني ربط المبدع النص به عن طريق الوحي، الذي يمثل الطريق الأمين لنقله وتحقيق عملية الاتصال ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤)، فالمتلقي إذن مختار ومقصود لذاته لما يحمله من مؤهلات التلقي وقد اصطفاه



يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكِبِ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴿٦﴾ (فصلت: ٦)
 و(الكهف: ١١٠)، فهو بشر وعربي (بلسان
 قومه) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ.
 لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤) هذه الآيات
 القرآنية ونظائرها تبين الفرق بين الذات
 الإلهية الأمرة والملقية (المرسلة) والذات
 المحمدية المطيعة المتلقية. وبين ذات الله
 المتكلم منزل الوحي وصفاته وبين ذات
 رسوله المخاطب متلقي

في كل زمان ومكان.
 وشاءت حكمة المبدع أن يضع الأمور في
 موازينها واقتضت أن يكون حامل الرسالة
 من جنس المرسل إليه ولما كان جنسهم هو
 البشرية، كان المرسل بشراً أيضاً وجاء
 النص القرآني ليؤكد جنسية المتلقي الأول
 وبصيغ وأساليب نصية متعددة، لعل بلغها
 ما جاء بصيغة الأمر ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

الوحي وصفاته وقربها
 من صفات من أرسل
 إليهم فمسألة المطابقة
 بين المرسل والمرسل
 إليه في الجنس واللسان
 كانت حاضرة ومهمة
 ليتم الاتصال فلو كان
 المرسل ملكاً أو بلسان
 آخر لأصبحت عملية
 الاتصال بحاجة إلى
 أطراف أخرى فتكون
 متسلسلة و معقدة لذا
 حرص المبدع على إيجاد
 المطابقة الجنسية بين
 طرفي الاتصال اللساني



وان ليس للمتلقي المباشر أي دخل بإيجاد النص وبنائه التركيبي . وهذا ربما يثير في أذهاننا فهماً سلبياً لأثر النبي بان يكون مجرد متلق ومبلغ عن المبدع إلا أن هناك فسحة إبداعية تركها المبدع لكي يبرز فيها أثر المتلقي التبليغي، فاحتاج إلى ملكة وصفة يتمتع بها تمنعه من هذه الاتهامات لكي يتم تبليغ النص في إطار ثقافي موحد وتحت نظام لغوي مشخص ولغة مركزية موحدة بواسطة الرسول (البشر) والوحي (الملك) فيحمل الأول مؤهلات الاتصال مع جنسه البشري ويخول الثاني بالاتصال بالمبدع لطبي المسافة التكوينية بين المبدع والمتلقي المباشر فاحتاج المتلقي إلى مواصفات تقربه من المبدع مع المحافظة على بقاء (البشرية) المشترك التكويني بينه وبين الآخرين وكان معصوماً في تبليغ النص. وهل استمرت هذه العصمة بعد وفاة النبي؟ ومن هو المعصوم بعده عند المذاهب الإسلامية؟ هذا ما يحاول البحث بيانه مقارنة بين آراء المذاهب التفسيرية لإيجاد بؤرة دلالية موحدة يمكن أن تكون أساً للفهم المشترك .

مفهوم العصمة :

يجتمع اللغويون عند تعريفهم العصمة

﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمُوعُونَ مُظْمِئِينَ لَأَزَلُّوا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٥)، ونرى في ذلك سرّاً من إسرار الإعجاز القرآني لأن إمكانية النبي (البشرية) اللغوية واضحة لأبناء جنسه ولسانه وكذلك إمكانياته البدنية والحسية والعقلية فحين يريد ان يثبت صحة رسالته لا بد من ان يأتي بشيء خارق لعادته وصفاته المعروفة عند وسطه الثقافي واللغوي مع عجز أقطاب هذا الوسط عن الإتيان بمثله لتكون الحجة بالغة فلو كانت الطاقات والصفات التي يتمتع بها المتلقي مختلفة لما وقع الإعجاز أصلاً لذا نرى أنهم عندما عجزوا عن مجازاة لغة القرآن اتهموا النبي بأنه تعلم القرآن من شخص آخر فأجابهم: ﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَرٌّ إِسَاءُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل: ١٠٣)، كما أن هذا الاتصال اللساني او غير اللساني بين الوحي والمتلقي المباشر، ليس اتصالاً خاصاً بهما بل هو رسالة يراد إيصالها إلى الآخرين فلا بد من ان يفهموها لذا يجب ان تكون بلسانهم كما يشترط أن تصل إليهم سالمة وتامة ومحفوظة من الزيادة والنقصان

الموجه حسب النصوص والسياقات التي وردت فيها تلك المفردة، وكان لتأكيد النص القرآني على بشرية النبي أثر في فهم معنى العصمة الاصطلاحي فهي عند الامامية «لطف يفعلُه الله تعالى بالملكف بحيث يتمتع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما»^(٤) وهذا التعريف بهذه الكيفية مقتبس من أقوال الأئمة، كما روي عن الصادق عليه السلام: «المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله...»^(٥)، فالعصمة إذن مرتبطة بمعرفة الله تعالى وهذا يقتضي الإيمان به حتى قبل ان يبعث الرسول على رأي من قال ان النبي معصوم عصمة مطلقة قبل البعثة وبعدها وهو ما عليه الامامية إذ يرون «ان نبينا محمدا عليه السلام ممن لم يعص الله عز وجل منذ خلقه الله عز وجل إلى أن قبضه ولا تعمد له خلافاً ولا أذنب ذنباً على التعمد ولا النسيان»^(٦)، أما تعريفها عند مدرسة الصحابة فإنها تدل على وجود مشتركات مع تعريف الامامية لها فالإيجي الأشعري يقول: «وهي عندنا أن لا يخلق الله فيهم ذنبا، وعند الحكماء ملكة تمنع عن الفجور وتحصل بالعلم بمطالب المعاصي ومناقب الطاعات وتتأكد

في أصل دلالي واحد وهو (المنع) وربما أشاروا الى التمسك فيرى الخليل أن معنى اعتصمت بالله أي: امتنعت به من الشر.^(٧) ويقول ابن فارس في مقاييسه: «العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة والمعنى في ذلك كله معنى واحد»^(٨) وفي اللسان العصمة: المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه عصما: منعه ووقاه.^(٩) والعصمة بهذا المعنى من المعاني القرآنية إذ وردت بمعنى المنع في مشتقاتها الصرفية كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَدِينُنِي وَإِنَّ رَبِّيَ لَخَبِيرٌ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (ال عمران - ١٠٣)، او بمعنى الحفظ الذاتي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُنَّ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ فَانطَبَقْنَّ عَلَيْهِنَّ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الصَّامِرَاتِ سِتْرًا وَلَقَدْ رَوَدُّهُنَّ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ فَانطَبَقْنَّ عَلَيْهِنَّ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الصَّامِرَاتِ سِتْرًا وَلَقَدْ رَوَدُّهُنَّ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ فَانطَبَقْنَّ عَلَيْهِنَّ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الصَّامِرَاتِ سِتْرًا﴾ (يوسف - ٢٢).

إلا إن الاتفاق على أصل واحد في معنى العصمة اللغوي لم يكن سبيلاً للاتفاق على المعنى الاصطلاحي لان هذا الأخير تدخلت فيه آراء مختلفة خضعت للتأويل والفهم

ببتابع الوحي بالأوامر والنواهي والاعتراض على ما يصدر عنهم من الصفات وترك الأولى فإن الصفات النفسانية تكون أحوالاً ثم تصوير ملكات بالتدرج^(٧)، وإدراج رأي الحكماء بهذه الكيفية يعني القبول به؛ لذا اختصرها الجرجاني في تعريفاته بأنها «ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها»^(٨) وهذا تقارب بين التعريفين إلا ان التطبيق سيكون مختلفاً كما سنرى لاحقاً .

وقد استعمل القرآن الكريم العصمة بمعناها الاصطلاحي الذي يفهم منه ان هناك تدخلاً إلهياً في اختيار المعصوم كما في قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهَا الرُّسُولُ بِغَيْرِ مَأْزِلٍ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة 67-)

لذا تبه الامامية في تعريفاتهم للعصمة الى هذه المسألة فأضافوا (مع قدرته عليهما) أي — فعل المعصية وترك الطاعة — لثلا يقعون في مسألة الجبر فيكون معنى العصمة ملازماً للنسبة التي هي جزء من الامامة الإلهية .

وقد توضح معنى العصمة المتعلقة بالنبي بصورة مباشرة بالتلقي والتبليغ في مواقف المذاهب الإسلامية بمفسيها ومتكلميها في

بعض الآيات القرآنية التي يدل ظاهرها على انتفاء العصمة بالمعنى الذي أسسه الامامية ففي قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ صَالِحًا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: ٧) نقل الرازي عن الجمهور انهم اتفقوا على أنه ﷺ «ما كفر بالله لحظة واحدة ثم قالت المعتزلة: هذا غير جائز عقلاً لما فيه من التفسير وعند أصحابنا هذا غير ممتنع عقلاً لأنه جائز في العقول أن يكون الشخص كافراً فيرزقه الله الإيمان ويكرمه بالنسبة إلا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى: ﴿مَاسَلٌ صَاحِبُ كُرُومًا غَوِيٌّ﴾ (النجم: ٢)»^(٩) فالاحتكام الى النص لإثبات عدم وقوع المعصية قبل البعثة وعدم الارتكاز إلى الأمور المذهبية التي فرضت بعد وجود النص شيئاً يتطلب الإشادة إذا سلم من المداخلات المعرفية الأخرى من هنا لم يكتف من قال بعدم وقوع المعصية من النبي بدليل النص القرآني الذي ذكره فكان الدليل العقلي عندهم لا يمنع الكفر عن النبي لأن العصمة ما وراء التبليغ بالرسالة والقرآن غير واجبة عقلاً إذ لا دلالة عندهم عليه من العقل، وامتناع الكباثر عن النبي خارج التبليغ بالرسالة

مستفاد من الأدلة النقلية إذ ينقل الإيجي عن محققي الأشاعرة «أن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً إذ لا دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبائر عنهم عمداً مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين في ذلك»^(١٠). وهذه نقطة خلاف بينهم وبين الامامية الذين يرون أن عصمة النبي عن الكفر أثبتتها العقل قبل الشرع وإنما النصوص جاءت مؤيدة لذلك^(١١). فلا نعجب بعدها إذا جوز غير الامامية الصفائر على الأنبياء ومنهم نبينا محمد ﷺ فقد ذهب الإيجي الى إجماع الجمهور على جوازها قائلًا: «وأما الصفائر عمداً فجوزها الجمهور إلا الجبائي وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً إلا الصفائر الخسيسة كسرقة حبة أو لقمة وقال الجاحظ: بشرط أن ينهبوا عليه فينتهوا عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين وبه نقول هذا كله بعد الوحي»^(١٢)، فالكفر ممكن عقلاً قبل البعثة وبعدها، والصفائر جائزة وواقعة بعدها عقلاً في الفكر الاسلامي الاشعري وهذا ما سيوضح في المباحث الآتية.

العصمة القولية :

ترتبط عصمة القول بكفاءة المتلقي من

جهتي التلقي والتبليغ في الخطاب الشفاهي، والمهم لدينا هنا هو ما يؤثر في عملية تلقي النص القرآني وإيصاله إلى الآخرين وهو حق أعطي للنبي ليكون شاهداً على تبليغ النص وبيان دلالته . وان هذا الحق لم يكن سابقاً على مرجعية النص القرآني بل أن أسبقية النص ولاسيما المحكم والظاهر منه ربما لا تحتاج الى الإصرار على معرفة رأي النبي في دلالته إلا أن النص القرآني تضمن مساحة جديدة لفهمه تركها للمتلقي الأول. وهذا التسلسل في فهم الخطاب لا يختلف فيه المسلمون، ولاسيما في مسألة تبليغ الخطاب نفسه لأن جميع الفرقاء متفقون على عصمة النبي في تبليغ الخطاب وهو في تبليغه يُعد جزءاً منه لأنه هو الذي يشكّله تشكيلاً جديداً من خلال نطق النص الذي تتحول الكلمة في فضائه من إلهية سماوية إلى إنسانية لغوية لذا فان المبدع قد بين مكانة هذا المبلغ حتى لا يتهم في تبليغ الخطاب. ومن هنا رأى المسلمون ضرورة العصمة في هذا الجانب - تبليغ الخطاب - على الأقل ولكن مع هذا نجد ان بعض أنواع الفهم تحاول ان تبين ان النبي قد كان شخصية غير مكتملة بعد

قد ذكر آلهتنا فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ وقال : اعرض علي كلام الله فلما عرض عليه فقال : أما هذا فلم آتك به هذا من الشيطان فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْوَالِدُ أَنْ يَبْعَثَ نَجِسًا مِنْ بَنِيهِمْ فَاسْتَخَىٰ اللَّهَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ جَعَلْنَا اللَّهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج: ٥٢) ^(١٢) فنجد أن الإيجي الذي يمثل مرحلة متقدمة من مراحل الفهم الأشعري ^(١٣)، حين يمرّ بذكر حادثة الغرانيق يقول في جوابه عن هذه الرواية : «إنه من إلقاء الشيطان وإلا كان ذلك كفراً، وأيضاً ربما كان قرآناً وتكون الإشارة إلى الملائكة فنسخ تلاوته للإيهام

لتحمل الرسالة وتكاملها كان تدريجياً لأنّها تتأثر ببعض الأمور النفسية؛ كما هو الحال في مسألة (الغرانيق) وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْوَالِدُ أَنْ يَبْعَثَ نَجِسًا مِنْ بَنِيهِمْ فَاسْتَخَىٰ اللَّهَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ جَعَلْنَا اللَّهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج: ٥٢) التي ذكرها سبباً لنزولها و هو ان النبي قرأ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٢ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۝١٣ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝١٤ ﴾ (النجم ١٩- ٢١) فآلقى الشيطان على لسانه (تلك الغرانيق العلى وشفاعتهم ترتجى) فخرج بذلك المشركون وقالوا:



إذا قرأ فيكون توجيه الآية السابقة ﴿لَا إِتَاتُكَ الْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّيَّتِهِ﴾ أي قرأ وتلا فألقى في تلاوته ما ليس فيه ^(١٧)، وجاراهم المفسرون من المذاهب الإسلامية في قبول هذا المعنى معتمدين على دليل واحد هو ما قاله حسان بن ثابت في مرثية عثمان بن عفان :

تمنى كتاب الله أول ليلة

وأخره لاقى حمام المقادر ^(١٨)

وهذا البيت كما هو واضح متأخر وجوداً عن النص القرآني فكيف يكون دليلاً على ترجيح دلالة معينة في معناه الذي يربك مفهوم الآية؟ وهو يخالف أساً معرفياً ثابتاً عند المسلمين جميعاً وهو عصمة النبي في مقام التبليغ لذا يذهب الباحث الى ما ذهب اليه المتأخرون من المفسرين في توجيه هذه الآية إذ يرى ابن عاشور أن إسناد التمني إلى الأنبياء دال «على أنه تمنى الهدى والصلاح وإسناد الإلقاء إلى الشيطان دل على أنه إلقاء الضلال والفساد، فالتقدير: أدخل الشيطان في نفوس الأقوام ضلالات تقسد ما قاله الأنبياء من الإرشاد» ^(١٩)، وعندها لا يكون عذر لمن يحاول الطعن في مقام النبي وهو المعنى نفسه الذي رجحه

أو المراد ما يتمناه بوسوسة الشيطان أو هو استفهام إنكار ^(٢٠) فهو يريد هنا ان يثبت حقيقة هذه الواقعة ويعطي لتفسيرها وثلاثة احتمالات وكلها تثبت أنها قرآن قرأه الرسول وهي من المطاعن الخطيرة في سلامة النص القرآني ومنها الى عدم عصمة المتلقي إذ لم يؤمن عليه من وسوسة الشيطان الذي لم يكن مقبولاً عند كثير من المسلمين لأن النبي من المخلصين الذين عجز الشيطان عن إغوائهم كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِعْرَكَ لَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ^(٢١) ^(٨٢-٨٣) وهنا يمكننا ان نشير الى مدى سوء الفهم الذي وقع من المفسرين الذين اعتمدوا على سبب النزول في توجيه معنى الآية وسبب النزول هذا رواية خاضعة لضوابط الضعف وعدم القبول والواقع أن الرجوع الى معنى الأمنية السائد الذي هو بمعنى حديث النفس بما يكون وبما لا يكون، أو السؤال للرب في الحوائج كما يقال : «تمنيت الشيء أي قدرته وأحببت أن يصير إلي من المنى وهو القدر أو الإرادة» ^(٢٢)، وهذا المعنى هو الأقرب في فهم الآية . ويسجل اللغويون في مصنفاتهم أن معنى تمنى الكتاب قرأه أي

في عملية التبليغ والاتصال. هذا مضافاً إلى أن النص القرآني يصرح بأن الله يحفظ نبيه ويصونه صيانة كاملة حتى يبلغ الوحي الإلهي بصورة صحيحة كما قال: ﴿عَلِمُ الْعَلَمِيبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى عَشِيَةِ أَحَدًا﴾ (٣١) ﴿لَا مَن أَرَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٣٢) ﴿لَعَلَّكُمْ أَن تَقْبَلُوا مِن رَّبِّهِمْ وَأَنتُمْ كَالشُّعْرَى﴾ (الجن: ٢٦-٢٨).

وكذلك نجد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَطْبِقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ (٢) ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَسُولٌ يُبَيِّنُ﴾ (النجم: ٣-٤) وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (١١) ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْفَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٦) وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، ففي هذه الآيات ذكر القرآن الكريم نوعين من وسائل صيانة الوحي الأول: الملائكة الذين يحيطون بالنبي من كل ناحية وجانب ويرصدون تبليغ النص. والآخر: إن الله تعالى نفسه يحيط بالملائكة والنبي. وهذه النظارة الشديدة والمراقبة الكاملة إنما هي لتحقيق غرض النبوة وهو إيصال النص (الرسالة) وتبليغه إلى الآخرين سالمًا من النقص والزيادة. (٣١)

العصمة التداولية:

لم يكن القرآن في حالة التلقي الأولى

صاحب الميزان من الامامية إذ يرى أن معنى «لقى الشيطان في أمنيته وداخل فيها بوسوسة الناس وتهييج الظالمين وإغراء المفسدين فأفسد الأمر على ذلك الرسول أو النبي وأبطل سعيه فينسخ الله ويزيل ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته بإنجاح سعى الرسول أو النبي وإظهار الحق والله عليم حكيم» (٣٠) وهذه التوجيهات في فهم الآية مهمة في إثبات العصمة في زمن التبليغ وقراءة النص القرآني لأن تسربها بأية صورة موحية بسهو النبي أو تمكن الشيطان من تلاوته للنص؛ يعني أننا لا نستطيع أن نعرف صحة هذا النص ومدى إمكان جعله قرآنًا إلهيًا لذا لم نجد خلافاً واضحاً بين المذاهب في ذلك، إلا في آيات الفهم ومناهجه ولكنها في النهاية تصل الى دلالة واحدة وهي عصمة النبي في تلقيه وقراءته للنص وبيان دلالاته.

وعصمة النبي في هذه المرحلة موضع اتفاق الجميع لأن احتمال الخطأ والالتباس في هذه المرحلة يؤثر في وثوق الناس بالنص القرآني واطمئنانهم لصحة صدوره عن المبدع ويوجب أن لا يعتمد الناس على أقوال النبي التي هي جزء مهم من الخطاب، وركن

إليه بدءاً تداولياً مع بعده اللغوي. ولا يستطيع أحد أن ينكر أن القيم التعبيرية في تحويل النص القرآني الى خطاب شفاهي قد سُحنت بطاقات دلالية تَظهر فيها مقومات الخطاب الشفاهي الصوتية كالنبر والتنغيم والقطع والإدغام والسيمائية التي تعكس تعابير وجه النبي من غضب ورضا وتقطيب الحاجبين وحركة الرأس واليدين وذلك على وفق ما يتطلبه الموقف الاتصالي مع الآخرين.

فهذه العلامات والإشارات التي استعملها النبي في لحظة تلقي النص وفي حالة بثه الى

نصاً مكتوباً بل كان خطاباً شفاهياً منطوقاً والشفاهية تضيق معها دلالة النص أكثر من حالة كونه مكتوباً لما يحويه الخطاب الشفاهي من بعد سيميائي وعلاماتي بين الوحي والمتلقي الأول من جهة وبين المتلقي الأول والمتلقي الثاني من جهة أخرى. ف جاء النص على لسان النبي وقد فرغ فيه كل ما كان يستشعره من معان ودلالات نقلها له الوحي أو فهمها هو وحاول ان يوصلها الى المتلقين، كل حسب قابليته الاستقبالية فيكون قد شارك في الإبداع فيتشكل عندها الخطاب القرآني تشكلاً جديداً لأنه أضاف



نفسه إذ ظهر ذلك من التحريض على عدم كتابة كل شيء يسمع من الرسول فضلاً عن الذي يرى من أفعاله وحركاته تحت ذريعة انه بشر يتكلم في الغضب والرضا^(٢٢). عندها «لم يكن بإمكان الثقافة الشفوية ان تحفظ النص المتلقى كما هو لأن الإنتاج في الثقافة الشفوية متحرك أبداً وليست له نهاية ما لم يدون وليس له اكتمال ما لم يكتب ويظل متامياً ومتحولاً ومتبدلاً بالزيادة والنقصان»^(٢٣). وهذا يؤكد تماماً غياب التدوالية النبوية لأنها تعرضت لما يشبه الغربة الخاضعة لطبيعة المتلقين وتوجهاتهم النفسية والفكرية وإذا جزمنا بمحاولة تعييب السنة النبوية وذلك بمنع تدوينها فمعها غابت هذه القيم التعبيرية والشحنات الدلالية لأن الدلالة التي يراد إيصالها من المبدع الى المتلقي يُختار لها علامات وأنظمة معينة ترافق النص المقروء ولاسيما في نص مثل النص القرآني الذي فيه العام والخاص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه فيكون اللفظ بمفرده عاجزاً عن إظهار دلالاته المقصودة فاحتاج الى هذه الأنظمة السيميائية «كونها من مصاحبات اللغة اللفظية فتصبح لغات

المتلقين له أنتجت حينها تداوليات مختلفة مثل تداولية المدح أو التوبيخ أو الإعراض أو التهديد والوعيد والتبشير فمع كل نوع تداولي كانت تظهر علامات سيميائية تناسب المقام الاتصالي الذي أنتج فيه النص وتحوّل الى خطاب شفاهي فحينها لا نشك أن عمليات الفهم كانت أسرع وأسهل في تلك اللحظات التي رافقت ولادة النص مع وجود هذه التداوليات التي أعطت عمقا دلالياً أضيف الى الدلالة اللفظية الظاهرة لكي يخرج النص من دائرة الاحتمال الدلالي الى دائرة الدلالة القطعية التي يريدها المبدع .

ولكن السؤال الذي يبرز هنا هل حُفظت هذه التداولية النبوية كما كانت لحظة ولادة النص؟ أم تعرضت الى التبدل والتغيير؟ وإذا فرضنا وجودها هل تدخل ضمن حدود العصمة التبليغية للخطاب القرآني إذ يمثل النبي جزءاً مهماً منه ؟

والجواب هنا يمكن ان يكون بالنفي لأنه لا يمكن بحال من الأحوال ان تكون هذه الإشارات الدقيقة قد حفظت مع وجود حقيقة مهمة هي منع تدوين السنة النبوية وكان هذا المنع حاضراً في زمن وجود النبي

بديلة أي أنها الى جانب وظيفتها المساعدة التي تبدو ثانوية فإن لها وظيفة تواصلية أساسية تستقل بها عن غيرها من وسائل التواصل والخطاب كي تكون لنفسها نطاقاً خاصاً...»^(٢٤)

وهذه الوسائل أصبحت اليوم ضرورة لغوية وجزءاً مهماً في دراسة الدلالة في العصر الحديث كما ان القدماء لم يهملوا ذلك فقد ذهبوا الى أن هذه الحركات لغة خاصة ومنفردة سميت لغة الجسد او اللغة الصامتة وهي لغة ليست تابعة للغة الألفاظ، كما ذهب الغزالي الى «أن حركة المتكلم وأخلاقه وعاداته وتغيير لونه وتقطيب وجهه وجبينه وحركة رأسه وتقلب عينيه نافع للفظه بل هذه أدلة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علوماً ضرورية»^(٢٥)، فهذا منهج دلالي يقرره الغزالي من قبل نجد صدهاء عند بعض المحدثين في دراسته لهذه اللغة الجسدية إذ يرى أن «الكلمة في اللغة الصائتة والحركة في اللغة الصامتة (الجسدية) تتألف من دال ومدلول واعلم ان الفرق بينهما غير متعين في المدلول بل في ماهية الدال إذ انه في الصائتة صوتي ذو طبيعة رمزية وفي الصامتة حركي ذو طبيعة

رمزية أيضاً»^(٢٦)، فالدلالة المتعيّنة بهاتين اللغتين واحدة على الرغم من اختلاف المدلول. والمهم هنا ان القدماء شعروا بالحاجة الى سنة النبي الفعلية فضلاً عن سنته القولية فهي مهمة لما فيها من علامات وإشارات تعمل على بيان الدلالة المستقلة في النص فلا يكتفي المخاطب باللغة اللفظية في تشكيل بعض الخطابات بل يحتاج الى الإشارات الجسمية التي «تعد جزءاً من السياق الخارجي أو سياق الموقف فهي تساعد وتعضد النص اللغوي من هذا المنطلق بل قد يستغنى ببعض الإشارات عن أجزاء النص اكتفاء بها والإشارات الجسمية تتأثر أيضاً بالسياق الخارجي بحيث انها تدين في ظهورها لذلك السياق أحياناً فموقف التعجب والغضب يستدعي إشارات جسمية معينة...»^(٢٧) والباحث يريد هنا ان يبيّن هل استثمر النص القرآني هذه السيميائية في بيان حقيقة المتلقي الأول؟ لكي لا يكون معها شك في عملية التبليغ التداولي والسيميائي للنبي الذي يُعد ركناً مهماً في عملية التواصل الرسالي، ولا سيما إذا عرفنا حضور شخصية المتلقي الأول في الخطاب القرآني بقوة فلا يمكن بحال من

إطار العملية التبليغية وفي إطار الوحي الرسالي فالإتيان الذي عبرت عنه الآية ليس بالضرورة ان يكون قولاً وإنما قد يكون فعلاً تداولياً عبر فيه الرسول عن دلالة معينة لبيان مفردة في النص أو تفسير عبارة ولاسيما إذا كانت هذه المفردة توحى بدلالات متعددة فالتواصل الذي يكون من خلال اللغة المنطوقة ربما تكمن فيه مفارقات حاصلة بين الدلالة في حالة التلفظ التي يريدها الباث وبين الدلالة في حالة سماعها من المتلقي وهنا تكمن خطورة الانحراف في الدلالة التي أرادها المبدع للنص فيفيض عليها الرسول إعادة تشكيل دلالي بإضافة حركات وعلامات معينة تحصر الدلالة في مجال واحد وتبعدها عن الانفلات بسبب الأهواء والميول المحفوظة في ذهن المتلقي الآخر ولاسيما إذا كان هذا المتلقي متعدد ومتفاوتاً من حيث الكفاءة اللغوية والاستعداد الإدراكي لذا نجد أن الرسول ﷺ على الرغم من اهتمامه بقراءة النص القرآني لكنه استعمل الحركة والسكوت والدمج بين الأصابع والأطراف وحركة الرأس والابتسامة فهذه كلها علامات تلبى حاجات أساسية في

الأحوال أن يتصور النص القرآني دون أن يتصور معه وجود المتلقي الأول «بل لا يمكن قراءة القرآن من دون استحضار الذي نطق به النبي نيابة عن الله إذ نجد ان كل معنى من معاني آياته يستدعي في الذهن شخص النبي بطريقة أو أخرى»^(٢٨) لأن تداولية النص القرآني بلسان النبي تحضر معها العلامات والحركات النبوية لتكون بمثابة الخطاب الموازي للخطاب اللغوي فالوحي لم ينحصر بالقرآن فقط لأن «القرآن وما يصدر عن النبي كانا في سياق الدعوة شيئاً واحداً لم يكن المبلغون يفرقون بينهما أصلاً بحكم وحدة القائل ووحدة السياق والإيقاع وتطابق منطلق الخطاب... فالوحي والقرآن والنبوة مكونات متعددة لحدث واحد وواقعة واحدة وانبثاق واحد فرض الفهم البشري القائم على التقسيم والتجزئة انفصالهما واستقلالهما»^(٢٩)؛ لذا نجد أن النص القرآني يؤكد على هذه الحقائق كثيراً وفي مواطن عدة كما في قوله تعالى وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) فهذه الآية المباركة تؤكد على حقيقة واحدة هي أن الذي يقوم به الرسول من قول وفعل يجب ان يدخل ضمن

تَطْهِيراً ﴿(الأحزاب: ٢٣)﴾ إذ تذكر الروايات عن أم سلمة «ان النبي ﷺ كان في بيته فاتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة^(٢٠) فدخلت عليه فقال لها : ادعى زوجك وابنيك قالت فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيربي قالت: وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿ قال: فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده

فهم المعنى وإيصاله الى الآخرين. وذلك لأنه علم ان دلالة الألفاظ قد تكون مبهمة لوجود مصاديق خارجية متعددة لها، أو انه خشي من انصرافها الى دلالة غير مقصودة عند المبدع في النص القرآني وهو الخبير بمستويات المتلقين وأغراضهم فرأى أن من واجبه الإبلاغي أن يوضح بعض الدلالات بعبارات وأفعال تكون قطعية الدلالة على المعنى المقصود وهذا ما فعله كثيراً، كما في بيانه لمعنى أهل البيت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ



على السياق الخارجي للآية وقطعها عن سياقها النصي (الداخلي)، والإفادة من العلامات التي ذكرتها الروايات المسجلة في كتب الطرفين وعلى العلاقات التي ربطت النص بالمتلقي في ساعة وجود النص؛ لأن هذه كلها تعد «عوامل تساعد على فهم النص ولو بالإشارة والإيماء لأن أي تصور أو فهم للنص بعيدا عن هذه المؤشرات مجتمعة يجعل الأحكام القائمة على هذا التصور غير دقيقة وكلما أحيط النص بعوامل كثيرة من المؤثرات كان عطاؤه أغزر وفهمه أدق...»^(٢٢)، وقد يتسرب هذا الفهم إلى حياة النبي الشخصية حتى في جانبها الأخلاقي الذي يعد معلماً مهماً في ترسيخ القبول بالرسالة فصفة الصدق والأمانة التي عرف بها النبي ﷺ كان لها الأثر الأكبر في قبول بعض الناس بدعوته، وهذه لم تكن غائبة عن ساحة النص القرآني إذ خاطبه ﴿وَأَنَّكَ لَمَعَنَ ثُلُوعِي عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطَّاعِظًا لَنَنْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (ال عمران: ١٥٩) وقد ترتب على بيان هذه الصفات ان يأمر الله المؤمنين بالتأسي بأخلاق النبي في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) التي

فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله؟ قال إنك إلى خير إنك إلى خير»^(٢٣) وهذا فعل دلالي مهم لإيضاح دلالة النص القرآني وهي مسؤولية المبدع الذي أوكل مهمة الاتصال إلى المتلقي المباشر بأنه يفهم الناس ويدلهم على معاني القرآن فلم يكتف باللفظ لإمكان حمله على معان متعددة فانقل إلى الحركة وال فعل لأنهما أكثر رسوخاً من اللفظ وأكثر تشبيهاً للمخاطب لكي لا يكون الرسول مجرد متلق سلبي ليس له أثر في عملية تشكيل الخطاب القرآني ولكي لا يكون الفصل بين المرسل والرسالة .

ولكن المسلمين لم يكونوا بمسافة واحدة من فهم هذه النصوص وغيرها التي تخص شخص المتلقي الأول ولها علاقة بأفعاله اليومية في حين نجد الامامية يتمسكون بهذه السيميائية التداولية لإثبات دلالة تركيب (اهل البيت) لا يعيرها الآخرون إهتماماً كثيراً فقد اعتمد الامامية في ذلك

في أكثرها تحمل الجانب الفعلي دون القول
لأن الأقوال ربما لا تتطابق مع الأفعال لذا
حذر منها القرآن في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) كبر مقتاً عند الله أن
تقولوا ما لا تعملون ﴿ (الصف: ٢- ٣) هذه
النصوص القرآنية وغيرها كثير، تحمل
دلالات توحى بان ما يقوم به النبي من أفعال
إضافة الى الأقوال يدخل في عملية التواصل
اللساني وفهم الخطاب القرآني فلا بد إذن
ان يكون تداوله في إيصال النص معصوماً
أيضاً فأفعاله وكلماته تدخل في ضمن دائرة
التبليغ عن الله فلا يمكن بحال ان يفصل بين
أفعاله وأقواله الخاصة به عن عصمة النص
القرآني المتفق عليها عند جميع المذاهب
الإسلامية فقد وقف الجميع يدافعون عن
هذا الجانب التبليغي ولاسيما ان الله تعالى
قد قرن طاعته بطاعة الرسول ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَن
رَسُولًا لِّكَيْ يَكْفِيَ السُّيُوفَ﴾ (المائدة: ٩٢)، فالطاعة
مطلقة لذا يعلق الطوسي على ذلك بقوله:
«ولا يجوز إيجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من
كان معصوماً مأموناً منه السهو والغلط» (٣)
والرازي يرى أن المنقول عن الرسول ﷺ «أما
القول فيجب إطاعته لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا

اللَّهِ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وأما الفعل فيجب على
الامة الاقتداء به إلا ما خصه الدليل» (٢٤).
مستعيناً بدلالة فعل الأمر (أطيعوا) على
الوجوب ومستفيداً من قول آخر يأمر بإتباع
الرسول (فاتبعوه) فيصلى الى نتيجة مفادها
أن متابعتها واجبة ويعرف المتابعة: بأنها
عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير، لأجل
أن ذلك الغير فعله فثبت ان قوله: (أطيعوا
الله) يوجب الاقتداء بالرسول في كل أفعاله
وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يوجب الاقتداء به في
جميع أقواله (٢٥). فالرازي هنا يثبت وجوب
الاقتداء بفعل النبي لأنه مأمور به ولكن
يستثني بقوله: (الا ما خصه الدليل)، وفي
استثنائه هذا إشارة الى عدم العصمة في
الأفعال وفي هذا فرق بين الامامية وغيرهم
عند بيان العصمة الترددية للنبي ﷺ،
اتضح جلياً في فهم قوله تعالى: ﴿عَسَى وَتَوَكَّنْ
١﴾ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَعْمَى﴾ (عبس ١-٢) ففي فهم
هذه الآية وقع اضطراب كبير من المفسرين
في توجيه فعل العبوس (٢٦)، فهل كان هذه
الفعل السيميائي فعلاً للرسول أم انه فعل
لغيره ؟ . وإذا كان من الرسول هل يتلاءم
مع عصمة التبليغ والاتصال ولاسيما ان
الرسول ﷺ حينها كان في مقام التبليغ ؟ .

وَأَنَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

آحاد فلا تقبل في هذه المسألة وذكر إنها معارضة بأمور :

(الأول) أن النص وصفه بالعبوس وليس هذا من صفاته عليه السلام في قرآن ولا خبر مع الأعداء والمعاندين فضلاً عن المؤمنين والمسترشدين. (الثاني) وصفه بأنه تصدى للأغنياء وتلهى عن الفقراء وذلك غير لائق بأخلاقه عليه السلام.

(الثالث) أنه لا يجوز أن يقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم **عَلَيْكَ الْأَيْدِي** ﴿ فَإِنْ هَذَا الْإِغْرَاءُ يترك الحرص على إيمان قومه فلا يليق بمن بعث بالدعاء والتشبيه. ^(٢٧)

فالرازي استعمل عدة أموراً عدة هنا في فهم الآية منها: دلالة العبوس لما فيها من التفسير بما لا يليق بعصمة النبي والتلهي الذي لا يليق بخلقه العظيم وفهم الرازي هذا يتسجم مع ما قاله الطوسي ومن قبله الشريف المرتضى من الامامية إذ يريان

فقد ادعى الرازي إجماع المفسرين على أن الذي عبس وتولى هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم وقال: « والمراد منه الإنكار عليه واعلم أن في الأخبار عما قرط من رسول الله ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار كمن يشكو إلى الناس جانبا جنى عليه ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهها بالتوبيخ والزام الحجة» ^(٢٨) فهذه العبارة تدل على ان الرازي سلم دلالياً بما أجمع عليه المفسرون ولكن اللافت ان الرازي أعطى فهماً جديداً للآية عندما انبرى للدفاع عن عصمة الأنبياء فهو لا يسلم أن هذا الخطاب متوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكأنه أجل رده على رأي المفسرين في ان الخطاب كان مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لذلك توجه الى الطعن في سبب حمل هذا المعنى الى الرواية التي اعتمدها أكثر المفسرين لأنه عدّها رواية

الأقل عصمة بمرتبة أدنى وهذا ما لا يمكن القول به عند المذاهب الإسلامية لأنهم لم يثبتوا عصمة احد من الخلفاء الراشدين ولا الذين جاءوا بعدهم بخلاف الامامية الذين اثبتوا عصمة الائمة الذين جاءوا بعد النبي ﷺ. فان إثبات العصمة المطلقة لا يسمح بتصرفات الخليفة الذي يريد ان يسمع الغناء مثلاً أو يريد ان يشرب الخمر أو يريد ان يعبس ويغفل على الرعية فلا بد من وجود مسوغ شرعي يتصرف الحاكم الإسلامي تحت إيطاره حتى وان خالف ذلك النص القرآني لكنه موافق لسنة النبي خارج إطار التبليغ .

والبحث لا يريد ان يخوض في مسائل ربما تعد تاريخية بقدر التفكير بالخلاف الدلالي الذي تم بسبب توجهات فهم النص القرآني نفسه ومعرفة حيثيات الخطاب الذي تكون وأنتج لهداية البشرية وتحديد هوية المتلقي الأمثل والجهة التي صدر عنها، حتى ارتقى الى مستوى الإبداع المقنع والمتع حتى صار معجزا ومدى تعرضه الى التغيير والتبديل على مستوى التركيب اللغوي، او الدلالي لأن لحظات تلقي الخطاب عن المبدع لحظات خطيرة وفيها من الارتباك المعرفي

ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها إلى النبي ﷺ بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل على أن المعني بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي ﷺ، مع الأعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين. ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَضَعُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فالظاهر أن قوله: ﴿عَسَى رَبُّوْنَ﴾ المراد به غير الرسول الاكرم ﷺ (٣٨).

العصمة والسياق المقامي:

يبدو أن القول والخلاف في درجات عصمة النبي ﷺ، كان قد خضع لأمر كثيرة فيها الجانب السياسي والقبلي أكثر مما هي خاضعة للنص وفهم النص لأن في إثبات العصمة يقع حرج كبير لكثير من خلفائه الذين يجب ان يتصفوا بصفات قريبة من صفات المخلوف على الأقل ولاسيما اذا كان المخلوف خليفة لله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) فالإقرار بعصمة مطلقة للنبي يقتضي ان يكون خليفته يتمتع بعصمة مطلقة أو على

كانت نتائج واضحة من موقف الأشاعرة من عصمة النبي وتجويز الصغائر عليه وهي متأثرة بطابع الروايات التي صورت النبي خائفاً في حالات تلقي الوحي الأولى لذا يصف أحد باحثي الامامية المعاصرين مثل هذه الآراء بأنها «لا تخلو من غرابة إذا علمنا أنه ما من واقعة إلا ولها حكم في الشريعة الاسلامية كما هو مقتضى شموليتها ولا يفرق في ذلك بين ما تقتضيه طبيعته البشرية كالأكل والشرب وغيره إذا كان صادراً منه عن إرادة وبين غيره من تجارب . وإذا تم ما سبق أن عرضناه من أدلة العصمة له فإن كل ما يصدر عنه بطبيعة الحال يكون موافقا لاحكام الشريعة ومعبرا عنها وما دام الأكل والنوم والشرب من أفعاله الإرادية فهي محكومة حتما بأحد الاحكام فأصل الأكل محكوم بالجواز بالمعنى العام وأكله لنوع معين يدل على جوازه كما أن تركه لأنواع أخرى يدل على جواز الترك لها فالقول بأن ما كان من شؤون طبيعته البشرية لا يعبر عن حكم لا يتضح له وجه . كما أن ما يتصل بالقسم الثاني من شؤون خبرته وتجاربه هو الآخر معبر عن حكمه...»^(٢١) . فعلى التقسيم

والخلط المتوقع ولاسيما انه لا شاهد عليها الا شخص واحد وهو المتلقي المباشر للوحي وقد حصر تبليغ النص بشخصه فما دون عن ملاسبات هذه اللحظات كان مثار جدل في الرؤية الحديثة التي تحاول توجيه عملية الاتصال الأولى معتمدة على ما أثر من السابقين. فهذا أحمد شلبي يقول: «جاز لنا أن نثبت أن الرسول عندما يتحدث أو يعمل كرسول أي مبلغاً أو داعياً أو معلماً فهو معصوم أما إذا كان يتحدث أو يعمل من عند نفسه في الأمور العامة التي ليست جزءاً من الرسالة فهو بشر يمكن أن يخطئ ويغلب أن يصيب»^(٢٢)، وهذا الكلام يتواءم مع الفهم الاشعري لحياة الرسول، وهو أمر سوغ له ان يقسم حياة الرسول على قسمين: قسم فيه هو رسول ومعلم داع ومبلغ وقسم فيه يعيش حياة عامة كغيره من البشر يصيب ويخطئ ويعلمه أصحابه ويسددون له رأيه وفي ضوء ذلك فهمت «الآيات التي فيها عتاب للرسول على بعض تصرفاته لم يقرها العزيز الحكيم وهي كما رأيت هنات خفيفة وزلات سهلة وهي كذلك صادرة من محمد الإنسان لا من محمد الرسول»^(٢٣) فان هذه الآراء وأمثالها

من ذلك ذريعة للنيل من الخطاب الديني وكأن عصمة النبي تؤثر في تقديس أسياده الذين ينتمي الى منظومتهم الفكرية فهي عنده «خصيصة الخطاب الأسطوري والايديولوجي الذي يقوم بترميز العمل المادي المحسوس الذي قام به النبي وتحويله الى نوع من التصورات الاسطورية للحظة خلاقة»⁽¹⁷⁾ وهذا ما كانت تردده الجاهلية وهي ترد على معجزة القرآن الكريم:

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أَكْتَنَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُعْثَرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿ (الفرقان: 5).

ونحن نقول لم يكن تبليغ الوحي بحال منفصلاً عن حياة محمد الإنسان لان القرآن وما يصدر عن النبي كله سياق واحد في تبليغ الرسالة ولم نجد فرقاً بينهما لان مصدر الخطاب واحد فوحدة السياق ووحدة المقام لم يمكن الفصل بينهما «فالرابط بين القرآن والنبوة ليس مجرد تناغم في الإيقاع او تزامن مبرمج بينهما بل هو أقرب إلى أن يكون رابطاً عضويّاً بينهما يجعل أحدهما عين حقيقة الآخر ورابطاً وجودياً يجعل بدء الوحي بداية النبوة وموت النبي اختتاماً للوحي واكتمالاً لحلقته»⁽¹⁸⁾ من هنا نرى انه قد توفرت فيه صفات وخواص غير

السابق لحياة الرسول لا ندري متى اكتسب العصمة إذن ؟

لأنه حتى في حالات استقبال الوحي لم يكن منضبطاً بل هو في حالة من الهلوسة والتردد ولا ندري أيضاً كيف نميز حياة محمد من محمد الإنسان؟ ومتى نستطيع أن نقرر أن قول النبي وفعله وإقراره - الذي يمثل السنة والمصدر الثاني للتشريع- مما يجب الأخذ به أو طرحه لأنه ليس معروفاً هل هو من عند محمد الرسول او من محمد الإنسان ؟ ولا ادري كيف ميز أصحابه ما يجب أن يكون سنة مما لا يجب، فمع هذا تكون الأمور أكثر تعقيداً وأشد ثقلاً على الذين تلقوا الخطاب القرآني وان الذين تلقوا القرآن والوحي عن النبي كانوا في حيرة بين محمد الرسول ومحمد الإنسان. وذلك بسبب غياب السياق المقامي في حالات التبليغ لان النبي كانت له عدة سياقات في حياته. فلا نعجب بعدها إذا هوجمت السنة النبوية من قبل اشخاص مثل محمد أركون إذ يقول : «إن السنة التي خلع عليها التعالي والتقدیس بهذا الشكل تستطيع عندئذ ان تكون رديفاً ومكملاً للقرآن لكي تمدّ وتوسع من عملية التعالي والتقدیس»⁽¹⁹⁾؛ ليتخذ

ان تمتلك مقومات التلقي الحقيقي^(١٦).

التلقي وعصمة أولي الأمر :

إن الخلاف في تحديد دلالة (أولي الأمر) كان له أثره الواضح في توجيه عملية فهم النص القرآني، وفي تحديد هوية المتلقي الآخر ومرجعية التلقي، كما اتضح في قراءات المسلمين التفسيرية ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩) وقع حوار جدلي بين الطرفين.

أما الأشاعرة، فقد انصرفت عندهم دلالة أولي الأمر الى مصاديق متعددة بحسب الفهم الذي استظهروه من الآية أو فرضته سياقات خارجية وظروف موضوعية. فان الذي يحمل هذه الصفة التي تؤهله الى مرتبة التلقي بعد النبي ﷺ، هم الصحابة بصورة عامة وهذا ما نقرأه في أفكار زعيمهم أبي الحسن الأشعري إذ يرى بأن الصحبة للنبي أولاً وأخيراً هي اختيار من الله تعالى وهذا المقام الإلهي يجعل أتباع المذهب يأخذون بفهم الصحابة «ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه

متوفرة عند غيره لأن هذا الغير لا يستطيع ان يتحمل ثقل النص وأهميته الدلالية، ﴿إِن سَأَلْتَنِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَبَيَّلًا﴾ (المزمل: ٥) فتلقي الوحي بهذه الكيفية يحتاج الى صفات وعلامات مقبولة عند المرسل. وإذا عرفنا ان النبي هو المخاطب بالقرآن أولاً وبالذات في الأقل من خلال النص الأول وهذا ما أكده النص إذ يقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَمَعُدُ رِسَالَتَهُ﴾ (الانعام: ١٢٤). وإذا أضيف الى ذلك ما نقله الامامية في رواياتهم التي ينقلونها عن أئمتهم «انما يعرف القرآن من خوطب به»^(١٧) إذ يؤسسون منهجاً معرفياً في إمكانية المتلقي الأول فهو المقصود من المبدع كمتلقٍ ومشارك في عملية التواصل للرسالة التي أريد لها ان تكون لكل الناس، وهو الذي يمتلك الحد الأقصى في الفهم ولا يشاركه به أحد من الذين أحاطوا به فالفهم الأقصى هو من نصيب الإنسان الكامل الذي يمثل النبي المصداق الأمثل له فهو الذات العارفة المطلقة وبذلك يمتاز عن الذات العارفة غير المطلقة التي ستحتل المقام الثاني في التلقي الذي تعتمد معرفته على المتلقي الأول بالنص وتكون مهمة الذات العارفة هي إيصال الذات المتلقية عنها بعد

التابعون الذين تشملهم دلالة أولي الأمر الذي حددته مقالات أصحاب الحديث فقد ذكرت عدة دلالات لأولي الأمر فهم اما: الخلفاء الأربعة ومن يجري على سننهم قاله: ابن عباس. أو هما أبو بكر وعمر خاصة قاله: عكرمة. أو أمراء السرايا قاله: السدي ومقاتل وابن زيد. أو العلماء من الصحابة ومن تبعهم قاله: الحسن وقتادة وابن جريج^(٥٠).

وإذا عرفنا بأن أولي الأمر يتمتعون بصفتي التلقي فلم يتوقف فهم النص القرآني إذن عند قول النبي أو تداوله للخطاب الذي أيضاً يمر بقناة الصحابي وربما أضاف له هذا الصحابي فهماً جديداً دون على انه منقول عن المتلقي الأول ويضاف الى ذلك ما مر به الفهم من فرض الشفاهية وسلبياتها من النسيان والضياع المقصود أو غير المقصود .

ولو تقدمنا قليلاً في مساحة الفهم الطولي لدى الاشاعرة لوجدنا أن الفخر الرازي قد أفاد بطريقته العقلية ومنظومته القرائية للنص القرآني دلالة عصمة (أولي الأمر) من داخل النص نفسه بدليل «أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في

لصحبة نبيه ﷺ... ويقرّون (كون) الخلفاء الراشدين المهديين أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ... ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِن نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩) ويرون إتباع من سلف من أئمة الدين... فهذه جملة ما يأمرهم به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب»^(٥٧)، وهذا ما يؤمن به الأشعري ويعدّه منهجاً يسير عليه .

ومنهج الأشعري هذا في بيان سلسلة المرجعية المعرفية عند مذهبه سار عليه أكثر أتباعه^(٥٨)، ورتبوا على ذلك أهمية كبيرة في فهمهم للنص القرآني إذ ان ما ينقل عن هؤلاء السلف هو المقدم ولا تجوز مخالفته بما يقره العقل وهذا ما يتميز به الاشاعرة في موقفهم من سنة النبي وأصحابه، ولاسيما في آيات العقيدة المتعلقة بمعرفة الله «فقد مثل الدليل السمعي عندهم السلاح الأكبر وما من جزئية من العقيدة إلا استفادوا لها دليلاً من النص القرآني أو السنة النبوية وجعلوه أصلاً وأساساً لإثباتها»^(٥٩)، فالمستفاد من هذا ان المتلقي بعد النبي هو الصحابة وبعدهم

لم تكن متوقعة عند مدرسته الفكرية لأنها أوصلته الى نتيجة دلالية لم تكن معروفة في قاموس مذهب العقائدي فلم تكن العصمة من متبنيات الذين سبقوه في تأصيل الفكر الأشعري لذلك لما أراد تطبيق المفهوم على مصاديقه الخارجية اخضع قراءته الفعالة الى قراءة إسقاطية وابتعد عن نتائجه السياقية التي استظهرها من قراءة النص الى مسبقاته الفكرية لذا رأى ان «ذلك المعصوم إما مجموع الأمة أو بعض الأمة

هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ والخطأ لكونه خطأ منهي عنه فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وانه محال ... فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً»^(٥١)، وقراءة الرازي هذه



ترسيخ مفهوم عصمة الإجماع ولا يريد ان يفارق مذهبه الفكري والعقائدي وانتماءه الى منظومة الفهم الأشعري فهرب هروبا فنياً حين اعترف بالعجز عن معرفة أفراد معصومين بعينهم. ونحن نقول له: إذا كانت الأمة عاجزة عن معرفة أفراد فهي عن معرفة جماعة أهل الحل والعقد بصفاتها وأعدادها أعجز و يحق لنا ان نعاتب هذه الأمة التي أمرها الله بإطاعة مجموعة من الأفراد من الأهمية بمكان إذ قرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله لماذا لم تسأل المتلقي الأول عن مصاديق هذه المجموعة؟ وتركت المشتغلين بعملية الفهم يذهبون مذاهب مختلفة في البحث عنهم وجعلتهم عاجزين عن فهم النص الذي جاء من أجل هدايتهم ألم يسألوا عن أشياء لم تكن بتلك الأهمية مثل الأهله والروح والحيز وغيرها؟ .

أما الامامية فإنهم ذهبوا الى ان (أولي الأمر) هم المعنيون بعملية التلقي بعد الرسول ولما انهم أثبتوا عصمة الرسول ﷺ في عملية التلقي كما مر بصفحات البحث السابقة وكشفوا ما استبطنه فعل الأمر (أطيعوا) من دلالة الوجوب توصلوا الى

لا جائز أن يكون بعض الأمة»^(٥٧) لأن القول بعصمة بعض الأمة يوقعه في إشكال معرفي يخرج من نسقه الثقافي فتظاهر بالعجز الذي لم يبين لنا أسبابه فيقول: «ونحن نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم عاجزون عن الوصول إليهم عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأمة ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله: «وأولي الأمر» أهل الحل والعقد من الأمة وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة»^(٥٨). وهذا استدلال يصل فيه الرازي الى فهم لمعتقد يؤمن به، ونتيجة كانت سابقة على فهمه مفاده انه لا يمكن لأحد ان يتصف بالعصمة غير إجماع أهل الحل والعقد.

ويرى الباحث أن الرازي حين استجاب لظاظة النص الدلالية واستكشف بنيته العميقة في وجوب عصمة أولي الأمر، أراد ان تكون المصاديق مما يتناسب مع مسبقاته الفكرية لذا أثبت المعنى الذي لا يخرج من مذهب السلف الذي كانت له اليد الطولى في

من آل محمد ﷺ الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على علو رتبتهم وعدالتهم»^(٥٦)، واستمر هذا الفهم أيضاً عند المحدثين من الامامية فصاحب الميزان يوضح معنى الإطلاق في معنى أولي الأمر لذا يرى لا مناص «من أخذ الآية مطلقة من غير أي تقييد ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر، كما اعتبر في جانب رسول الله ﷺ من غير فرق، ثم إن المراد بالأمر في أولي الأمر هو الشأن الراجع إلى دين المؤمنين المخاطبين بهذا الخطاب أو دنياهم»^(٥٧).

كما أنهم استعانوا على فهمهم هذا بالروايات التي سجلوها في مراجعهم التدوينية عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ وهي واضحة الدلالة في إن أولي الأمر هم الإمام علي ﷺ وبنوه إذ نقل الصدوق عن جابر الجعفي قال : «سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : لما أنزل الله عز وجل ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَطِغُوا وَاللَّهُ وَأَطِغُوا أَرْسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) على نبيه محمد ﷺ قلت : يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: هم خلفائي

مستوى دلالي مفاده ان طاعة (أولي الأمر) واجبة ومساوية لطاعة الرسول لذلك تجب عصمتهم ومعنى العصمة هذا ظهر من المؤشرات النصية والسياقية التي أدركها المفسرون بسبب قوة طاقة النص التركيبية على إنتاج المعاني والا لا توجد إشارة لفظية ظاهرة توحى بهذه العصمة لذا أدخلوا الآية السابقة في منظومتهم الكلامية وصنفوها ضمن الآيات التي تدل على إثبات العصمة وظهر ذلك جلياً في ما فهمه الطوسي من تلك الآية في مقام بيان وجوب الطاعة المسلم بدلالتها من صيغة الأمر «ولا يجوز إيجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من كان معصوماً مأموناً منه السهو والغلط»^(٥٨) ثم يثبت مصداق الأفراد المعنيين بهذا المصطلح إذ «ليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء وإنما هو واجب في الأئمة الذين دلت الأدلة على عصمتهم وطهارتهم»^(٥٩)، وقد تبعه على ذلك من المفسرين الطبرسي فرأى أن الله تعالى «لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا وأولو الأمر فوق الخلق جميعاً كما أن الرسول فوق أولي الأمر وفوق سائر الخلق. وهذه صفة أئمة الهدى

أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته»^(٥٩)، كما نقل المفيد قولاً عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام يتضح فيه موقف أهل البيت من عملية تلقي القرآن وفهمه فيقول: «فالمعول علينا في تفسيره لا نتظنى^(٦٠) تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩)»^(٦١)، وهذه الرواية تكتسب قيمة تفسيرية؛ لأنها استعانت بأية أخرى تضح حلاً لفهم مراتب التلقي. والروايات التي أعتمد عليها الامامية في إثبات دلالة (أولي الأمر) كثيرة وهي واضحة في حصر دلالتها على الأئمة من ولد الإمام علي عليه السلام ويكون حينها الإمام علي هو أول من تلقى فهم القرآن عن النبي فالرد إلى الله يعني الرد إلى النص نفسه والرد إلى الرسول يعني الرد إلى فهمه المتجسد في سنته القولية والتداولية والرد إلى أولي الأمر يعني الرد إلى علي عليه السلام، ثم إلى الأئمة من بعده.

يا جابر وأئمة المسلمين بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن والحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر و ستدرکه يا جابر فإذا لقيته فأقرأه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى ابن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سمي وكني حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاريها»^(٥٨)، إضافة لما أراده الامامية من دلالة تفسيرية في هذه الرواية نرى فيها دلالة مهمة أخرى تتمثل في طلب الفهم الذي توجه فيه (جابر) لمعرفة دلالة (أولي الأمر)، وهو ما يستبطن ضرورة معرفية نهج عليها بعض الصحابة ربما غيبتها ملاسبات التدوين عند المذاهب الأخرى.

ثم ينقل الصدوق حديثاً لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يبين إهمية العصمة المفترضة عند أولي الأمر جاء فيه «...إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مظهر لا يأمر بمعصيته وإنما أمر بطاعة

عن المبدع وكشف عن بيان المتلقي المباشر فهو صادر عنه بصورة غير مباشرة لذلك لا يميز الفهم الإمامي فهم النبي من فهم الإمام المعصوم لأن «الإمام لا يكون عالماً بشيء من الأحكام إلا من جهة الرسول وأخذ ذلك من جهته»^(١١)، إضافة إلى ذلك إعتقاد الامامية بطهارة أئمتهم الطهارة المقصودة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣) ويقابلونها مع آية أخرى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة:

من هنا تبين ان عصمة الإمام عند الامامية من المؤهلات التي تجعل قوله وتداوليته ترتقي من الناحية الدلالية والسيماثية إلى تداولية النبي وهذا يتضح من خلال القول الذي يروى عن الأئمة أنفسهم «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي وحديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عز وجل»^(١٢) فبيان الدلالة القرآنية من قبل الإمام وحسب هذا الحديث هو بيان



(٧٩) فلا يصل الى معاني القرآن وفهمه إلا من طُهر بالإرادة الإلهية المقصورة بأقوى أدوات الحصر (إنما) والمؤكد بها وباللام وبالتكرار، ولا يبين دلالة النص إلا من كان عدلاً للقران وأحد الثقلين اللذين ساوى بينهما رسول الله ﷺ في قوله المشهور: «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض، عترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»^(٦٣) هذه كلها أدلة يسوقها الامامية لبيان أحقية أهل البيت في وراثة تلقي القرآن وفهمه عن المتلقي الأول فإنهم إنما يفهمون النص ويبيّنون دلالاته بتلك الهبات الإلهية التي تمثل الضوابط التي رسمها المبدع لتكون دلالات وعلامات في مسيرة حركة النص ومن ثم مسيرة المفسر والمستفهم ولتمثل عوامل تمنع الخروج عن حدود الطريق الذي يرسمه النص القرآني أولاً ثم هي مانعة من تخلف الفهم في مسيرته عن النص وحركته ثانياً^(٦٤)، وهذا منهج تسير عليه فرقة الامامية في مسألة تحديد ضوابط التلقي وصفات المتلقي لأنها عندهم توقيفية من المبدع فهو الذي له الحق في تحديد صفات

من يفهم النص ولاسيما المتشابه منه. فكان فهم أهل البيت ﷺ وسنتهم مساوية لسنة الرسول أو هي في امتداده الطولي فإذا لم يكن فهم الرسول ﷺ للنص حاضراً «إما لأن الناس عدلوا عن نقله أو لأنهم لم يخاطبوا به وعول بهم على قول الإمام القائم مقام الرسول ﷺ كلفنا فيه الرجوع إلى أقوال الأئمة المستخلفين بعد الرسول»^(٦٥) لذا كان الإجماع عند الامامية يتخذ مجالاً آخر وصفة جديدة تميزه عن مفهوم الإجماع عند الأشاعرة فهو يكتسب قوته ووجوده بوجود رأي الإمام المعصوم فيه أو أنه كاشف عن فهمه فإجماعهم لا يتحقق «إلا وقول الإمام داخل في جملة أقوالهم»^(٦٦). ولاسيما في الفترة التي يكون فيها الإمام المعصوم حاضراً. إلا إن فهم الإمام المعصوم وبياناته تواجه مشكلة التداول الشفاهي الذي تعرضت له بيانات الرسول ﷺ من جهة التدوين والضياع وذلك بسبب المضايقات المذهبية والمعرفية التي مرت بها فترة التدوين الإمامي فأنحصرت أكثر معارف أئمة أهل البيت في المشافهة التي لها السبب في تغيير أو تغييب كثير من القيم الدلالية التي تداولها الإمام المعصوم

بالتعطيل بدواع كثيرة يذكرها علم القراءة المعاصر، ونظريات التلقي الحديثة. إلا أن الإمامية يرون أن فهم الخطاب الإلهي بحاجة إلى هذا المنهج الذي يكفل للمتلقي عدم الوقوع في الفهم الخطأ أو حتى الظن بل لا بد من تحصيل اليقين في مراتب التلقي ولا سيما فيما عدّ متشابهاً أو مجعلاً في الدلالة من النص القرآني لأن «التشابه والإجمال إنما هو لاحتمال النقيض وهو من عدم العلم اليقيني فأما من علم يقيناً جزماً بمراد الله تعالى من هذا اللفظ وهم المعصومون الذين هم المتقون بالحقيقة وغيرهم بالمجاز فإنهم يعلمون دلالة اللفظ يقيناً، ومراد الله تعالى منه فلا يكون مجعلاً أو متشابهاً بالنسبة إليهم»⁽³⁸⁾ فالنص لا يكون فيه متشابه في فهم الإمام المعصوم عند العلامة الحلي ورأيه هذا يتكأ فيه على ما قاله الإمام الصادق: «والمتشابه ما اشتبه على جاهله»⁽³⁹⁾.

لكن هذا لا يعني أن لا توجد هناك محاولات جادة لكثير من المشتغلين في فهم النص لغير الإمام المعصوم وربما كانت لهم قراءاتهم الخاصة فلم تخل مرحلة وجود المعصوم من عناصر اجتهادية كانت

لذلك كانت في معرض التكذيب أو التشكيك من مخالفيها بعد التدوين .

وبهذا تعد مساحة التلقي عند الأشاعرة واسعة من جهة أفقية لأن تفسير (أولي الأمر) بالصحابة يعني أن الجميع كانوا في مستوى واحد من الفهم وتتهي فترة تلقيهم المباشر بانتهائهم جميعاً اللهم إلا إذا أضيف إلى مساحة الفهم العلماء من المذهب أما من جهة طولية فإن مساحة التلقي عند الإمامية أكثر سعة لأن تلقي الإمام المعصوم يستمر إلى الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر ٢٢١ هـ وهو في كل الأحوال مساوٍ لتلقي النبي ﷺ كما مر في ((حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي (...))⁽⁴⁰⁾. وربما هذا الذي يفسر لنا شبه غياب لفهم الخطاب من غير الأئمة في تلك الفترة التي كانت شخصية المتلقي المفوض لقراءة النص وفهمه حاضرة فيها فإن وجود قارئ آخر للنص - غير المعصوم - في فضاء الفكر الإمامي ليس وجوداً عرضياً في مستوى وجود الأمام فهو وإن وجد فليس في مرتبة واحدة مع الإمام بل أنهم يضعون فهم المعصوم إطاراً نهائياً لفهمهم.

وهذه الطريقة في الفهم ربما تتهم

- محمد تقي الحكيم، مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر الطبعة الثانية - ١٩٧٩
- الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر، مكتبة الألفين الكويت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
 - أمالي السيد المرتضى، الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ رضي الله عنه في التفسير والحديث والأدب الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم - إيران ١٤٠٣ هـ - ق
 - الأمالي لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ تحقيق قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع دار الثقافة الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ
 - الإنصاف فيما يجب الاعتقاد به القاضي ابو بكر محمد بن الطيب النياقاني (ت ٤٠٣ هـ) تحقيق محمد زاهد الكوثري مؤسسة الخانجي مصر، ١٩٦٣
 - أوائل المقالات تأليف الإمام الشيخ المفيد

تتبلور داخل منظومة الفهم الامامي، إلا أن هذه القراءات كانت منضبطة بالعودة الى نظرية لها أصولها الإلهية والنبوية لفهم النص القرآني وهي نظرية الرد لأولي الأمر فكانت اجتهاداتهم في فهم النص تقوم على معايير تحكمها نظرية الرجوع الى فهم المعصوم الذي يمثل أصلاً أوضحه الإمام الصادق في قوله: «إنما علينا ان نلقي إليكم الأصول وعليكم التفریع»^(٧٠)، وان يكون هذا التأصيل والتفریع في عملية التلقي والفهم ينسجم بالضرورة مع الخطاب القرآني ولا يخالفه لما روي عن الأئمة «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»^(٧١).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أسباب النزول سبب النزول تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٤ شارع جواد حسني - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
- إشكالات النص دراسة لسانية نصية جمعان بن عبد الكريم المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط/ الأولى ٢٠٠٩
- الاصول العامة للفقهاء المقارن العلامة

الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر
بن عاشور الدار التونسية للنشر تونس-
١٩٨٤

• تفسير الثعلبي الثعلبي (ت ٤٢٧) تحقيق:
الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة
وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي بيروت
- لبنان إحياء التراث العربي الطبعة :
الأولى: ١٤٢٢ - ٢٠٠٢ م ،

• تفسير السمرقندي ابو الليث السمرقندي
(ت ٢٨٢) تحقيق د. محمود مطرحي
بيروت دار الفكر د.ت

• التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد
بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي
الرازي الملقب بفخر الدين الرازي،
الطبعة الثالثة د.ت

• تلخيص الشافي ابو جعفر محمد الحسن
الطوسي تعليق السيد حسي بحر العلوم
مطبعة الاداب، النجف الاشرف ط٢
١٩٦٣

• تنزيه الانبياء والائمة للشريف المرتضى
علم الهدى تحقيق فارس حسون كريم
مركز الطباعة والنش التابع لمكتب
الاعلام الاسلامي - قم الطبعة الثانية
١٤٣٠ هـ - ق.:

• الجامع الصحيح للامام أبي الحسين
مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري
النيسابوري طبعة مصححة ومقابلة على

محمد بن محمد بن نعمان ابن المعلم
أبي عبد الله العكبري البغدادي (٢٣٦
- ٤١٣ هـ دار المفيد للطباعة والنشر
والتوزيع بيروت . لبنان الطبعة الثانية
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

• تاريخية الفكر العربي الاسلامي، محمد
أركون ترجمة هاشم صالح مركز
الإنماء القومي بيروت - ١٩٨٦

• التأويل وقراءة النص في دراسات الإعجاز
القرآني الدكتور سرحان جفات دار
الينابيع السويد الطبعة الاولى - ٢٠١٠

• التبيان في تفسير القرآن تأليف: شيخ
الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي(٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) - تحقيق
وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي
،مطبعة النعمان - النجف الاشرف
١٣٨٢ هـ-١٩٦٤ م

• التعريفات السيد الشريف علي بن محمد
الجرجاني دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٢٤
٢٠٠٣ : ١٢٣

• تفسير البحر المحيط المؤلف : أبي حيان
الأندلسي (ت ٧٤٥) تحقيق : الشيخ
عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي
محمد معوض لبنان - بيروت دار الكتب
العلمية الطبعة : الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م
• تفسير التحرير والتوير تأليف سماحة

- عدة مخطوطات دار الفكر، بيروت - لبنان د.ت
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- الخصال للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ هـ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة، ذي القعدة الحرام ١٤٠٣
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لإمام أهل التحقيق ورئيس ذوي التدقيق عمدة الأئمة المتقدمين والمتأخرين وخاتمة الحفاظ المحدثين الإمام الكبير والعلم الشهير جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى، دار الفكر، بيروت - لبنان د.ت
- رسائل الشريف المرتضى الشريف المرتضى دار القرآن الكريم - قم مطبعة سيد الشهداء ١٤٠٥ هـ
- الشافي في الإمامة الشريف المرتضى (قدس سره) مؤسسة الصادق - طهران الطبعة: الثانية ١٤١٠ هـ. ق
- ظواهر اسلوبية في الشعر اليميني الحديث د. أحمد قاسم الزمر مركز عبادي
- للدراسات والنشر صنعاء الجمهورية اليمنية ط/١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦
- عصمة الانبياء :فخر الدين الرازي(ت٦٠٦ هـ) مطبعة الشهيد - قم ١٤٠٦ هـ
- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الموضوع سماحة العلامة المحقق الأستاذ جعفر السبحاني بقلم : جعفر الهادي مؤسسة الصادق عليه السلام الطبعة : الأولى التاريخ : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- الفصول المهمة في أصول الأئمة محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق محمد بن محمد الحسين القائيني، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ. ق .
- في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في صول الدين تأليف دكتور احمد محمود صبحي دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م بيروت
- كتاب التفسير مؤلفه المحدث الجليل أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعيشي تصحيح وتحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران سوق الشيرازي، د.ت

- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٠ - ١٧٥ هـ . تحقيق الدكتور مهدي المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة الطبعة الثانية - إيران : ١٤٠٩هـ -
- كتاب الكافي في الأصول والروضة لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني مع شرح الكافي الجامع للمولى محمد صالح المازندراني المتوفى ١٠٨١ هـ مع تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعراني ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد تأليف : العلامة الحلبي قدس سره تحقيق وتعليق : الأستاذ آية الله الشيخ حسن حسن زادة الأملي مؤسسة النشر الاسلامي - قم الطبعة : السابعة المنقحة ١٤١٧ هـ . ق
- كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، المتوفى سنة ٣٨١ ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة إيران - محرم الحرام ١٤٠٥
- لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري نشر أدب الحوزة قم - إيران ١٤٠٥ هـ ١٣٦٣ ق .
- مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية الدكتور مهدي اسعد عرار دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى - ٢٠٠٨ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن تأليف أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين منشورات مؤسسة الأعلمي الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م بيروت- لبنان
- المستصفى في علم الأصول تأليف الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ طبعه وصححه محمد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان د . ت
- مسند احمد الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) دار صادر، بيروت- لبنان د.ت .
- معاني الأخبار للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ عني بتصحيحه علي أكبر الغفاري الناشر انتشارات إسلامي - قم ١٣٦١

- نحو توسيع مفهوم الخطاب عبدالله بن
ظافر الشهري مجلة فصول العدد / ٧٧
ربيع ٢٠١٠.
- النص الديني في الإسلام من التفسير
الى التلقي د. وجيه قانصوة دار الفارابي
بيروت - لبنان الطبعة الأولى - ٢٠١١.
- النكت الاعتقادية ورسائل أخرى الشيخ
المفيد دار المفيد للطباعة والنشر
والتوزيع بيروت. لبنان الطبعة الثانية
١٤١٤ هجرية - ١٩٩٣ ميلادية.

هوامش البحث

- (١) كتاب العين مادة (عصم) ١: ٣١٢
- (٢) معجم مقاييس اللغة مادة (عصم) : ٤: ٣٣١
- (٣) ظ: لسان العرب مادة (عصم) : ١٢: ٤٠٣
- (٤) النكت الاعتقادية ورسائل أخرى: ٣٧ وظ: الامالي
: للمرتضى ٢: ٣٤٧
- (٥) معاني الأخبار: ١٣٢
- (٦) أوائل المقالات: ٦٣
- (٧) المواضع: ٣: ٤٤٨
- (٨) التعريفات: ١٢٣
- (٩) التفسير الكبير: ٣١: ٢١٧
- (١٠) المواضع: ٣: ٤٢٨ وظ: المصدر السابق ٣١ :
٢١٧
- (١١) ظ: تنزيه الأنبياء والأئمة للشريف المرتضى
علم الهدى: ٣٧ وظ: كشف المراد في شرح تجريد
الاعتقاد: ٣٦٧
- (١٢) المواضع: ٣: ٤١٦

- هجري شمسي.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد
بن فارس بن زكريا (- ٣٩٥) تحقيق :
عبد السلام محمد هارون مركز النشر
- مكتب الاعلام الاسلامي مطبعة مكتب
الاعلام الاسلامي جمادي الآخرة ١٤٠٤
- مقارنة الأديان (الإسلام) تأليف الدكتور
أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية
الطبعة الرابعة: ١٩٧٣
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
، تأليف الإمام ابي الحسن علي بن
إسماعيل الأشعري، المتوفى سنة ٢٣٠هـ -
تحقيق وشرح الدكتور نواف الجراح، دار
صادر، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ -
٢٠٠٨م
- مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني
، تأليف الدكتور ستار جبر حمود
الأعرجي بيت الحكمة العراق - بغداد
الطبعة الأولى - ٢٠٠٨
- المواضع عضد الدين الإيجي (- ٧٥٦)
تحقيق : عبد الرحمن عميرة دار الجيل
لبنان - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٧،
- ١٩٩٧م.
- الميزان في تفسير القرآن تأليف العلامة
السيد محمد حسين الطباطبائي،
منشورات جماعة المدرسين في الحوزة
العلمية في قم المقدسة د.ت

(١٣) ظ : أسباب النزول أسباب النزول

(١٤) إذ معه «نصل الى ذروة ما بلغه علم الكلام عند

الاشاعرة، إذ يتميز كتابه المواقف مع شرح الجرجاني

عليه بنسق متكامل شامل في عرض الموضوعات

وترتيب محكم لم يتمكن متكلم أشعري من بعده ان

يزيد عليه فضلا عن ان يجاريه، في علم الكلام)

مصدر سابق) ٢: ٣٥٧

(١٥) المواقف ٣: ٤٢٣

(١٦) لسان العرب (مادة منى) ١٥ : ٢٩٤

(١٧) ظ : مقاييس اللغة (مادة منى) ٥ : ٢٧٧ وظ

لسان العرب(مادة منى) ١٥ : ٢٩٤

(١٨) ظ: التبيان في تفسير القرآن٧: ٣٢٩ وظ: تفسير

السمرقندي ١ : ٩٣ وظ: تفسير الثعلبي: ٧ : ٣٠٠

(١٩) التحرير والتنوير ٩ : ٢٩٣

(٢٠) الميزان في تفسير القرآن ١٤ : ٣٩١.

(٢١) ظ: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل

البيت: ١٣١

(٢٢) بدليل حديث عن عبد الله بن عمرو قال :

((كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى

الله عليه وسلم أريد حفظه فتهتني قريش عن ذلك

وقالوا تكتب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

في الغضب والرضا فأمسكت حتى ذكرت ذلك لرسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب هو الذي نضي

بيده ما خرج منه الإحق)) مسند احمد الإمام أحمد

بن حنبل (ت ٢٤١) دار صادر، بيروت- لبنان ٢

١٩٢ :

(٢٣) النص الديني في الإسلام: ١٦٤

(٢٤) نحو توسيع مفهوم الخطاب عبدالله بن ظافر

الشهري مجلة فصول العدد ٧٧/ ربيع ٢٠١٠: ٨٩

(٢٥) المستصفى ٢ : ٦٧

(٢٦) مباحث لسانية في ظواهر قرآنية : ١٧٢

(٢٧) إشكالات النص دراسة لسانية نصية : ٤٥٤ -

٤٥٥

(٢٨) النص الديني في الإسلام: ١٦٦- ١٦٧

(٢٩) النص الديني في الإسلام : ٦٨ - ٦٩

(٣٠) اليرمة : القدر ظ : مقاييس اللغة (برم) ١ :

٢٢٣ الخزيرة : شبه عسيدة بلحم وبلا لحم عسيدة

أو مرقة من بلالة النخالة . ظ: القاموس المحيط)

خزر : ٢ : ١٩

(٣١) مسند احمد ٦ : ٢٩٢ وفي المعنى نفسه ينظر

صحيح مسلم ٧ : ١٣٠

(٣٢) ظواهر اسلوبية في الشعر الحديث في اليمن:

٤٧-٤٦

(٣٣) التبيان في تفسير القرآن ٣: ٢٣٦

(٣٤) التفسير الكبير ١٠ : ١٤٩

(٣٥) ظ: المصدر نفسه

(٣٦) المصدر نفسه ٣١: ٥٦

❖ فقي المعاجم عيس الرجل يعبس عبوسا : كلع .

وعبس وجهه شدد للمبالغة والتعيس: التجهم عيس

الرجل يعبس عبوسا وهو عايس الوجه غضبان

العايس: الكرية الملقى الجهم المحيا ظ: مقاييس

اللغة ٤: ٢٢١. ولسان العرب ٦: ١٢٨

(٣٧) عصمة الانبياء: فخر الدين الرازي(ت٦٠٦

هـ) مطبعة الشهيد - قم ١٤٠٦ هـ : ١٠٨

(٣٨) ظ: تنزيه الانبياء : ١٦٦ وظ: التبيان ٢٦٩: ١٠٠

(٣٩) مقارنة الأديان (الإسلام): ١١٩

(٤٠) المصدر السابق: ١١٩ - ١٣٠

(٤١) الاصول العامة للفقهاء المقارن: ٢٢٩

- (٤٢) تاريخية الفكر العربي الاسلامي: ١٦٥
- (٤٣) المصدر نفسه
- (٤٤) النص الديني في الاسلام: ١٧٠
- (٤٥) الكافي ٨ : ٢١٢
- (٤٦) ظ التأويل وقراءة النص في دراسات الإعجاز القرآني: ١٢٧
- (٤٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١٧٢ - ١٧٣
- (٤٨) ظ: رأي الباقلاني في كتابه الإنصاف فيما يجب اعتقاده: ١٩ - ٢٠ ورأي الغزالي في كتابه الاقتصاد: ١٧
- (٤٩) مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني: ٤٠١
- (٥٠) ظ: الجامع لأحكام القرآن ٥ : ٢٩١ . وظ: الدر المنثور في التفسير ٢ : ١٧٧ وظ : البحر المحيط ٣ : ٣١٨ . بألفاظ مختلفة .
- (٥١) التفسير الكبير ١٠ : ١٤٤
- (٥٢) المصدر نفسه ١٠ : ١٤٤
- (٥٣) المصدر نفسه ١٠ : ١٤٦
- (٥٤) التبيان في تفسير القرآن ٣ : ٢٣٦
- (٥٥) المصدر نفسه ٣ : ٢٣٦
- (٥٦) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢ : ١١٤
- (٥٧) الميزان في تفسير القرآن ٤ : ٣٩١
- (٥٨) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٣
- (٥٩) الخصال : ١٣٩
- ❖ التظني: أعمال الظن وأصله التظنن أبداً من إحدى التونات ياء . ظ : لسان العرب مادة(ظني)
- ٢٥ : ١٥
- (٦٠) أمالي الشيخ الطوسي: ١٢١
- (٦١) ظ: الكافي ١ : ٥٣
- (٦٢) تلخيص الشافي ١ : ٢٥٢
- (٦٣) مسند أحمد ٥ : ١٨٢ وظ صحيح مسلم ٧ :
- ١٢٢ وظ: أمالي الصدوق: ٥٠ وظ: أمالي الطوسي :
- ١٦٢ وغيرها من كتب الطرفين . بألفاظ مختلفة .
- (٦٤) مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني: ٥١
- (٦٥) الشافي في الإمامة ١ : ١٧٢
- (٦٦) رسائل المرتضى ١ : ١٥ - ١٦
- (٦٧) ظ الكافي ١ : ٥٣
- (٦٨) الأئنين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٢٨
- (٦٩) كتاب التفسير للعباشي ١ : ١٦٢
- (٧٠) الفصول المهمة في أصول الأئمة ١ : ٥٥٤
- (٧١) الامالي للصدوق : ٤٤٩



العقل

وأهميته في فكر الإمام

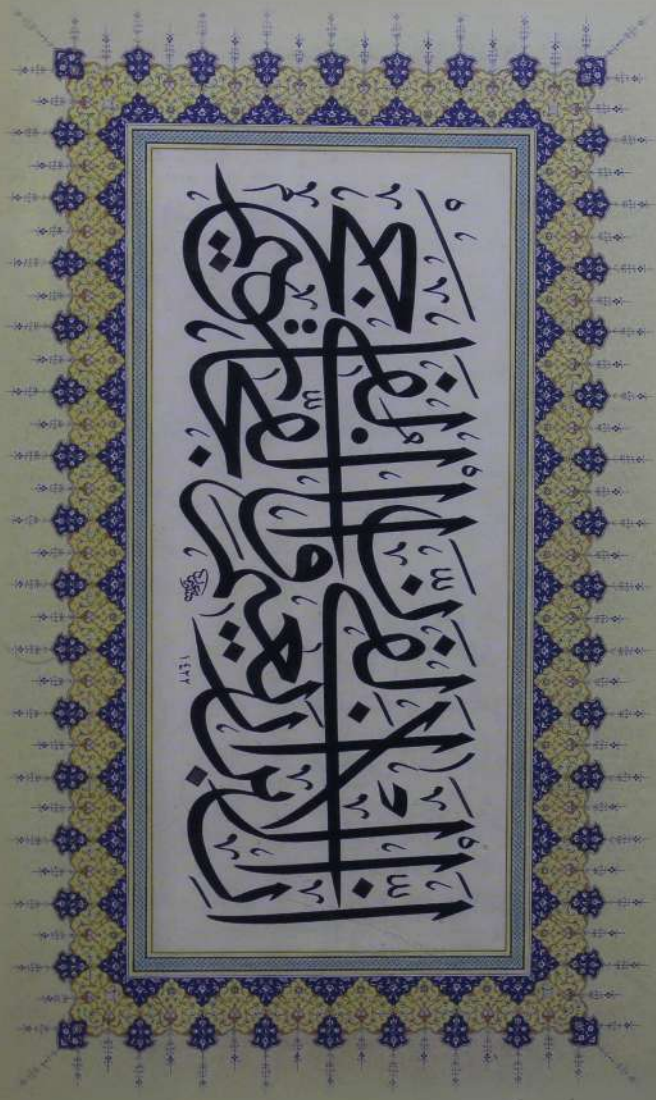
موسى الكاظم عليه السلام

من منظور قرآني

م. د. مياس ضياء القزويني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُصَوِّرُ الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
لَهُ الْإِسْلَامُ
وَالْحَنِيفِيَّةُ الْكَلِيمَةُ
الَّتِي لَا مَلْجَأَ إِلَّا بِهِ
وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَالَّذِي يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَالَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى
وَالَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى
وَالَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى

١٤٧٧



المقدمة

وبذل المال والنفس في سبيل الوصول الى مرضاة الله جل جلاله، والعمل على انقاذ الإنسانية ووضعها على طريق الهدى.

ويظهر ذلك جلياً في عطائه الفكري الذي أكد على العقل وأهميته وعلاقته بالعلم والمعرفة، فالذي بين أيدينا تراث وثورة فكرية وحضارية فذة، تسهم في بناء الإنسان وتصحيح مساره، فنحن عندما نقف على هذه العطاءات الفكرية والتربوية الغنية، علينا ان نستثمرها ونوظفها في بناء

الحمد لله والحمد حقه، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين.

تتمثل عظمة أهل البيت عليهم السلام في كمال ذواتهم الإنسانية، وتميزهم من سائر الناس في معرفتهم بالله تعالى، والتوجه الخالص له، وهو المتصف بالخير والكمال المطلق، وانعكاس هذه المعرفة سلوكاً وعملاً في حياتهم المثالية الخالدة .

إن سيرة الإمام الكاظم عليه السلام الكفاحية، نبراساً ومثالاً للقيم الأخلاقية والتربوية في حياة الامة، ذلك ان هذه المسيرة المعطاء تميزت بالصلاة والصمود، وعرفاناً اصيلاً لسيرة الرسول الاكرم محمد عليه السلام بالسلوك والاداء والعطاء، فلا عجب ان نرى في سيرته عليه السلام الزهد والتضحية،



والعقل: الحِجْرُ والنهي، ورجل عاقلٌ وعَقُولٌ^(٣).

وعقل الشيء :- فهمه وتدبره .

وعقل فلان :- عرف الخطأ الذي كان عليه .

٢- أهميته :-

إن التفكير والتعقل عماد الإسلام، وركيزته الأساسية، فالشريعة السماوية لا تبیح للإنسان تصديق ما لا يراه صحيحاً، والإتيان بما يستقبحه العقل من الاعمال، لذا جاءت الآيات القرآنية الكريمة، واحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام داعية الى التدبر، والتعقل، والتعلم، وأكدت عليها في توجيهاتها أكثر من أي شيء آخر .

فالإسلام يرى ان العقل اساس الإنسان، ومعيار لقيمه ودرجة كماله، وقد جاء القرآن الكريم مليئاً بذكر العقل في آياته الكريمة مانحاً له أهمية واضحة، إذ دعا الى استخدام الفكر واستعمال العقل الذي يؤمن بالاستدلال وينكر التبعية والتقليد الاعمى، يقول سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ يُسْتَفْرَوْنَ كَقِافَةِ فَلَوَا نَقَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَسْتَفْهَمُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا

الحضارة الإسلامية وتربية الإنسان المؤمن، لذا فقد سلطت الضوء على هذا الجانب من عطاء الإمام الفكري ؛ لأنه أكد على العقل وأهميته بشكل كبير من خلال توصياته واقواله .

وهذه دراسة موضوعية تتضمن مبحثان:-

الاول:- تعريف العقل وبيان أهميته وعلاقته بالعلم.

والمبحث الثاني:- تناولت فيه العقل وأهميته في فكر الإمام موسى الكاظم عليه السلام من منظور قرآني.

وأسأل الله جل جلاله ان يتقبل عملي هذا ويجعله في ميزان حسناتي، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم .

المبحث الاول: تعريف العقل وبيان أهميته وعلاقته بالعلم

١- تعريف العقل :-

قال ابن الفارس :- العقل : هو الحابس عن ذميم القول والفعل^(١).

وقال الخليل :- العقل :- نقيض الجهل، ويقال : عقل يعقل عقلاً، إذا عرف ما كان يجعله قبل، أو انزجر عما يفعله، وجمعه عقول^(٢).

العقل وإعمال النظر في المخلوقات الكونية،
وايضاً دعا القرآن الكريم العقل الى امعان
النظر في الحكمة من وراء الصلاة كقوله
﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ نَوَائِجِ الْجُمُعَةِ
فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة: ٩، والصوم كقوله تعالى
﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
البقرة: ١٨٤.

فالإسلام بوصفه آخر دين سماوي جاء
لخير الإنسان، يقدر الطاقة العقلية ويديرها
ليستخدمها المسلم في صلاح الناس الى يوم
القيامة، وقد وضع لذلك المنهج الصحيح
للنظر العقلي، فطلب تدبر نواميس الكون،
وتأمل ما فيها من دقة وارتباط، ولذلك
فقد نعى على الإنسان التقليد المطلق
الذي لا يستخدم العقل، كما بينت الآيات
السابقة، وهذه من المعطيات الثورية للحرية
الفكرية في الإسلام فالحرب التي شنها
على التقليد وجمود الفكر، والاستسلام
العقلي للأساطير أو لآراء الآخرين دون
وعي وتمحيص، و الهدف الذي يرمي اليه
الإسلام من ذلك تكوين العقل الاستدلالي
أو البرهاني عند الإنسان، فلا بد في رأي
الإسلام لإنشاء الفكر الحر أن ينشئ في

إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢، وقوله
تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ
نَتَّبِعُ مَا لَدِينَا عَلَيْهِ، أَبَاءَنَا أَوْ لُؤْلُؤًا مِنْ بَنَاتِهِمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠.
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقْطَعَ أَعْظَمَ مِنْ فِي
الْأَرْضِ يُصِلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام: ١١٦،
فالقرآن الكريم يرفض التبعية الفكرية دون
استخدام العقل لأن ذلك يعد انسياقاً وراء
أوهام التبعية التي لا طائل منها، قال تعالى
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِالْإِذْنِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحج:
٦٥، فאלله سبحانه وتعالى أمر المؤمن ان
يتفكر فيما تحت يده في الأرض، وما فوقه
من أفلاك ليتعرف كنهها، لأنها سخرت له
وذلت لإرادته، لذا دعا القرآن الكريم الى
النظر في الكون والمخلوقات، قال تعالى ﴿قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ
اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ العنكبوت: ٢٠، وقوله: ﴿أَوَلَمْ
يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُهُمْ فَيَأْتِي
حَدِيثٌ بَعْدَهُ، يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٥، فهذه
الآيات وغيرها دعوة واضحة الى استعمال

«لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب»^(٧).

وتتجلى النزعة العقلية في فكر الإمام موسى الكاظم عليه السلام من خلال وصيته لتلميذه هشام بن الحكم التي أكد فيها على العقل من خلال النهج القرآني الذي أكد على أثر العقل كحجة الله على عباده، في مسألة الايمان، والكفر، والضلالة، والاستقامة، والانحراف، والحديث عن السلبيات والايجابيات في سلوك الإنسان من خلال تحريك العقل أو تجميده، فلم يعد العقل لديه مجرد قوة تتصل بالكليات العامة في حياته، بل تحول الى قاعدة للوعي التفصيلي الذي يحدد للإنسان موقع الحكمة في حياته التي سآينها في المبحث الثاني ان شاء الله تعالى .

٢- علاقته بالعلم :-

من أروع مبادئ التربية الإسلامية تعظيم العلم والمعرفة، وقد ذكر العلماء مكانة العلم ومن تحلى به، وتوسعوا في بيانه عن طريق العقل، والتنزيل والسنة النبوية . اما الكتاب فقد أشار الى ذلك في مواضع كثيرة منها قوله تعالى ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)

الإنسان العقل الاستدلالي الذي لا يقبل فكرة دون بحث ولا يؤمن بعبيدة ما لم تحصل على برهان، ليكون هذا العقل الواعي ضمناً للحرية الفكرية وعاصماً للإنسان من التفریط بها، بدافع من التقليد أو التعصب، أو الركون الى الخرافة، وفي الواقع ان هذا جزء من معركة الإسلام لتحرير المحتوى الداخلي للإنسان، فهو كما حرر الإرادة الإنسانية من عبودية الشهوات، كذلك حرر الوعي الإنساني من عبودية التقليد، وبهذا أو ذاك اصبح الإنسان حراً في تفكيره وحرراً في إرادته.^(٨)

وهذا ما أكدته الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يكن احدكم إمعة يقول انا مع الناس ان احسن الناس أحسنت وإن اساؤوا أسأت»، وقال الإمام علي عليه السلام: «إذا اراد الله بعبد خيراً منحه عقلاً قوياً وعملاً مستقيماً»^(٩). وكان الإمام علي عليه السلام يوصي ولده الحسن عليه السلام فيقول : «... يا بني لا فقر أشد من الجهل، ولا عدم أشد من عدم العقل ... ولا عبادة كالتفكر في صنعه الله عز وجل، يا بني العقل خليل المرء .. إنه لا يلد للعاقل من ان ينظر في شأنه ...»^(١٠). وقوله صلى الله عليه وآله:



سَبْعَ سِنَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ وَمِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ
لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ الطلاق: ١، فإنه سبحانه

جعل العلم علة لخلق العالم العلوي والسفلي
طراً وكفى بذلك جلاله وفخراً ﴿ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿ الحج: ٥٤،
والى غير ذلك من الآيات الدالة عظمة
العلم وشرفه .

أما السنة النبوية الدالة على فضل العلم
فكثيرة منها قوله ﷺ: «العالم بين الجاهل

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴿
العلق: ١ - ٥ ، حيث أفتتح كلامه سبحانه
بذكر نعمة الإيجاد واتبعه بذكر نعمة العلم،
فلو كان بعد نعمة الإيجاد نعمة اعلى من
العلم لكانت أجدر بالذكر، وقد قيل في وجه
التناسب بين الآي المذكورة في صدر هذه
السورة المشتمل بعضها على خلق الإنسان
من علق، وبعضها على تعليم مالم يعلم،
انه تعالى ذكر أول حال للإنسان يعني كونه
علقة وهي بمكان من الضعة، وآخر حاله
وهي صيرورته عالماً وذلك كمال الرفعة
والجلالة^(٨) . وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

الحيوانات، ولا شك ان العاقل أشرف، ثم العاقل ينقسم الى عالم و جاهل، ولا ريب ان العالم أشرف، فالعالم حينئذ أشرف المعقولات^(١٢).

وقد بين الإمام الكاظم عليه السلام علاقة العقل والعلم وجعل العقل مع العلم من خلال قوله لهشام بن الحكم :- ان الله يقول ﴿وَتِلْكَ أَلْمُتَلِّينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعُكْلِيُّونَ﴾ العنكبوت: ٤٣، ويقول تعالى ايضاً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَمِيدٌ﴾ لقمان: ١٢، قال :- الفهم والعقل .

يا هشام إن لقمان قال لابنه : تواضع للحق تكن اعقل الناس، وان الكيس لدى الحق يسير، يا بني : ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، وشرعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر .

يا هشام :- لكل شيء دليل، ودليل العقل التفكير، ودليل التفكير الصمت، ولكل شيء مطية، ومطية العاقل التواضع، وكفى بك جهلاً ان تركب ما نهيت عنه .

كالحى بين الاموات، وان طالب العلم ليستغفر له كل شيء حتى حيطان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه، فأطلبوا العلم فإنه السبب بينكم وبين الله عز وجل وإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة العلم^(١٣).

وقد جاء عن الأئمة عليهم السلام في فضل العلم ومكانته اقول كثيرة ايضاً منها قول الإمام علي عليه السلام: «الجاهل صغير وان كان شيخاً، والعالم كبير وان كان حدثاً»^(١٤)، وقوله عليه السلام: «لا علم كالتفكير ولاشرف كالعلم»^(١٥).

فالعلم والعقل امران متلازمان، فقد استدل على فضل العلم بالعقل، فشرف العلم وتقدمه على جميع المعقولات والموجودات أمر قضت به الضرورة وحكم به العقل والوجدان، ففي العلم يكون تمام الكمال، وفي الجهل يكون غاية النقصان، لأنه عندما يلاحظ الإنسان المعقولات فهي اما موجودة أو معدومة، ولا شك ان الموجود اشرف، ثم ان الموجود منه الجماد ومنه النامي، ولا ريب ان النامي اشرف من الجماد، والنامي إما حساس أو غير حساس، والحساس اشرف، ثم الحساس منه العاقل وغير العاقل كالإنسان وسائر

١- بيانه لدلالة العقل في القرآن الكريم :-

فقد بين عليه السلام دلالة العقل من خلال ذكره للآيات القرآنية التي تشير اليه، فقال في بداية وصيته لهشام بن الحكم : (يا هشام ان الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه الكريم: ﴿ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَيْبِ ﴾ الزمر: ١٨.

فبدأ بذكر الآيات الدالة على العقل والتعقل ومدح اولي العقول والالباب، وذم من ترك فرض العقل والتدبير، وبين أيضاً بعض معاني الآيات القرآنية ودلالاتها في مسألة العقل وانها مقصودة به، قال عليه السلام:

(يا هشام : ان الله يقول ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧) ﴿ ق: ٢٧، يعني العقل، وقال : ﴿ وَرَفَعْنَا آيَاتِنَا لِقَوْمِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ لقمان: ١٢، قال : الفهم والعقل) (١١).

وأكد على ذلك المعنى في بيانه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُوا الْأَيْبِ ﴾ الرعد: ١٩، قال : هم اولو العقول (١٢).

وقال عليه السلام: (يا هشام بن الحكم : ان الله عز وجل أكمل للناس الحجج بالعقول وأفضى اليهم بالبيان، ودلهم على ربوبيته

يا هشام :- نُصِب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة الا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعلم يعتقد، ولاعلم إلا من عالم رباني، ومعرفة العالم بالعقل .

يا هشام :- ما بعث الله انبياءه ورسله الى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة لله، واعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، واعقلهم ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة. (١٣)

وبهذه المقتطفات من كلام الإمام الكاظم عليه السلام تبين لنا كيف اشاد بالعقل بوصفه طاقة جبارة تأخذ العلم وتتفرد به لاستجلاء كنه المبهمات .

المبحث الثاني: العقل وأهميته في فكر الإمام موسى الكاظم عليه السلام

ان للعقل اهمية كبيرة وواضحة في فكر الإمام موسى الكاظم عليه السلام فالمدقق في كلامه عليه السلام يلحظ ذلك الاهتمام العجيب لموضوع العقل وعلاقاته الاخرى، سواء كان ذلك من تعليق موضوع العقل بالصفات أو تفسير الآيات القرآنية التي موضوعها العقل، أو ايضاح صفات العقل، الى غير ذلك وسأبين العقل وأهميته في فكر الإمام عليه السلام من خلال الامور الآتية :-

بالإدلاء فقال ﴿وَاللَّهُمُّ لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٦٣.

وقوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٤، يا هشام قد جعل

الله عز وجل دليلاً على معرفته بان لهم مديراً فقال ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُومَ مَسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل: ١٢.

وقال ﴿حَمْدٌ ۝١ وَالكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ الزخرف: ١ - ٣، وقال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْقًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم: ٢٤.

يا هشام ثم وعظ اهل العقل ورغبتهم في الآخرة فقال ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام: ٢٢، وقال ﴿وَمَا أُوتِشْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾ القصص: ٦٠.

يا هشام ثم خوف الذين لا يعقلون عذابه فقال: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ۝١٣﴾ وَإِذْ كُنْتُمْ لَكُرُومًا عَلَيْهِمْ مُصِيبَاتٌ ۝١٤﴾ وَيَالَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الصافات: ١٣٦ - ١٣٨.

يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْبِئُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبِئُ مَا آفَنَانَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا أَوْ لَوْ كُنَّا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠، وقال ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنفال: ٢٢.

وقال ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقمان: ٢٥، ثم ذم الكثرة فقال ﴿وَإِنْ قُطِعَ أَعْدَدٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلِكُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام: ١١٦، وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلِ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٢٧.

يا هشام ثم مدح القلة فقال ﴿وَقِيلَ لِمَنْ عِبَادِي الشُّكُورُ﴾ سبأ: ١٣، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقِيلَ مَا هُمْ﴾ ص: ٢٤، وقال: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود: ٤٠.

١- علاقة العقل بمعرفة الله سبحانه

وتعالى :-

يُبين الإمام موسى الكاظم عليه السلام الصلة الوثيقة بين العقل ومعرفة الله تعالى، فلمعرفة لا تتم إلا بالعقل، يقول عليه السلام:

يا هشام ان الله جل وعز حكى عن قوم صالحين انهم قالوا ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْعَابُ ﴾

آل عمران: ٨ ، حين علموا ان القلوب تزيغ وتعود الى عماها ورداها، إنه لم يخف الله من لم يعقل الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على المعرفة الثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون احد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصداقاً، وسره لعلانيته موافقاً، لأن الله لم يدل على الباطل الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه ^(١٦).

ويقول عليه السلام ايضاً (يا هشام : نصب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة الا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالعقل يعقد، ولا علم الا من عالم رباني ومعرفة العلم بالعقل) ^(١٧).

فالعقل أساس كل شيء حتى معرفة الله سبحانه وتعالى .

الإنساني يستطيع ان يدرك حقائق العلوم وان يستنبط الفروع والأصول، وان يجرد الكليات من الجزئيات، إلا انه لا يستطيع ان يجاوز الطور الذي خلق له، لأن العقل ميزان يستطيع الإنسان ان يزن به أمور الحس والتجربة، لكنه لا يستطيع ان يزن به أموراً هي خارج طوره كأمر التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الالهية .

فالعقل السوي وبوجود الفطرة السليمة يدرك ويعي علة وجوده بين الموجودات معتمداً التفكير والتدبر ومستعيناً بأدواته في الحجة والبيان والدليل، وهذا الذي يقصده الإمام عليه السلام بحجية العقل في قوله: (ان لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول)، وفي قوله عليه السلام: (ان الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة) ^(١٨).

فالإمام يعتقد بالمصاديق التي توصل الى اليقين كالحجة والبيان والدليل .

٣- العقل وعلاقته بالدنيا والاخرة :-

أكد الإمام الكاظم عليه السلام في أقواله الرابط

٢- حجية العقل :-

أكد الإمام الكاظم عليه السلام أن العقل

بين الدنيا والاخرة، وشدد بألفاظ عديدة على خطورة التمسك بالدنيا والاعتزاز بزخرفها، وترك طلب الاخرة أو تهوينها، فهذا خلاف العقل الذي يعد الحجة الباطنة لله تعالى، وخلاف ما أمر الله تعالى به على لسان أنبيائه ورسله وهم الحجة الظاهرة، لذا فقد أكد وجوب الزهد في الدنيا وجعلها الوسيلة الى الاخرة وهذا تمام التعقل فقال عليه السلام: (يا هشام : إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورجبوا في الاخرة، لأنهم علموا إن الدنيا طالبة مطلوبة، والأخرة طالبة مطلوبة، فمن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته) ⁽¹⁹⁾.

وقوله عليه السلام: (يا هشام : ان مثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل، يحذرها الرجال ذووا العقول، ويهوي اليها الصبيان بأيديهم، يا هشام : اصبر على طاعة الله، واصبر على معاصي الله، فإنما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي انت فيها فكأنك قد اغتبطت) ⁽²⁰⁾.

ولا يخفى ما لهذا الكلام من أثر في ايضاح المعنى وتوكيد الفكرة، وبيان صحة سلوك من أعمل العقل وجعل له مقاماً حياً .

٣. بيانه عليه السلام للصفات التي يتصف بها العقلاء :

بعدما بين الإمام الكاظم عليه السلام أهمية العقل وصفته، امتدح العقلاء وبين مقامهم وصفاتهم التي يتصفون بها، هذه الصفات التي يتحلون بها لا يجتمعون بها مع غيرهم، لأنها صفات تسائر افعالهم، فهم الملتزمون بحدود الله تبارك وتعالى الشاكرون له في جميع احوالهم قال عليه السلام في وصفه لهم (يا هشام: ان العاقل لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلّب الحرام صبره، يا هشام: قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود، يا هشام : ان العاقل رضي بالدون من الدنيا بالحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارتهم، يا هشام: ان العقلاء تركوا فضول الدنيا، فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض) ⁽²¹⁾.

وقال عليه السلام ايضاً في مدح العقلاء ومفارقتهم ذميم الصفات: (يا هشام: ان العاقل لا

العاقل لا يكذب وان كان فيه هواه) (٣٣).
فهذه الصفات التي بينها الإمام عليه السلام لا
يمكن ان تكون لدى انسان من دون ان يكون
عقله راجحاً على هواه.

٤- علاقة العقل بالحكمة :-

الحكمة ثمرة العلم، ومصداق التعقل،
ولا تتال إلا بالعلم، لذا أكدها الإمام
الكاظم عليه السلام، وحث على طلبها وعدم
اضاعتها، فالدنيا كلها لا تساوي الحكمة
عند اهلها، ولا تصل حدودها، يقول عليه السلام :
(يا هشام: لا تمنحوا الجهال الحكمة

يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من
يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا
يرجو ما يعنف برجائه، ولا يتقدم على ما
يخاف العجز عنه، وكان امير المؤمنين عليه السلام
يوصي اصحابه فيقول: (أوصيكم بالخشية
من الله في السر والعلانية، والعدل في
الرضا والغضب، والاكتماب في الفقر
والغنى، وان تصلوا ارحامكم، وتعفوا عمن
ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم، وليكن
نظركم عبرا، وصحتكم فكرا، وقولكم ذكر،
وطبيعتكم السخاء، فإنه لا يدخل الجنة
بخيل، ولا يدخل النار سخي) يا هشام: ان



٥. العقل والجهل :

يُبين الإمام عليه السلام صفات العقل وصفات الجهل، وهي مجموعة من الصفات تتصل بالعقل وماله من امور كريمة يتصدرها الخير، و ما للجهل من اوصاف سقيمة يتصدرها الشر، لذا كان الإمام عليه السلام يؤكد لتلميذه هشام بن الحكم هذه الصفات فيقول (يا هشام : اعرف العقل وجنده، والجهل وجنده تكن من المهتدين) ^(٢٣).
فالهداية متعلقة بالمعرفة والمعرفة طريقها العلم ولا علم من دون تعقل، ومعرفة العقل وجنده ثمرتها الهداية .

ومن المقابلة بين صفات العقل وصفات الجهل يتضح لنا ذلك التوجه الدقيق واللطيف للترغيب بإعمال العقل، والتخلي بصفاته، والترهيب من صفات الجهل والتخلي عنها .

والمقارنة واقعة لا محالة بين الاثنتين طالما وهب الإنسان عقلاً مفكراً، ولباً مدركاً، فسوف يختار ما هو أصح لحاله، وأقوم لنفسه، وارجى ما عند ربه، فإذا عرف الإنسان معالم التعقل، ونهج طريق معرفة الله، ومعرفة نفسه والآخرين، ادرك مفاهيم العقل وصفاته وكيفية مخالطة الآخرين، والتعايش معهم، فليس للتعقل

فتظلموها، ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم، يا هشام كما تركوا لكم الحكمة، فاتركوا لهم الدنيا) ^(٢٣).

ويقول عليه السلام : (يا هشام : مجالسة اهل الدين شرف الدنيا والاخرة، ومشاورة العقل الناصح يُمن وبركة ورشد وتوفيق من الله، فاذا أشار اليك العاقل الناصح فياك والخلاف فإن في ذلك العطب) ^(٢٤).

فالحكمة تقتضي مراعاة اصناف الناس واختيار افاضلهم معايشة، واعلمهم بالحق واهله، واقرّبهم الى الله تعالى.

ثم يبين عليه السلام ضرورة العمل بالحكمة وليس فقط أخذها، فربط العلم بالعمل فلا فائدة من الحكمة اذا لم نعمل بها، فقال الإمام عليه السلام ناقلاً عن المسيح عليه السلام قوله: (يا هشام : ان المسيح عليه السلام قال للحواريين ... بحق اقول لكم : ان الناس في الحكمة رجلان: فرجل أتقنها بقوله وصدقها بفعله، ورجل أتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله، فشتان بينهما، فطوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالفعل، يا بني اسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الركب، فان الله يحيي القلوب الميتة بتور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر) ^(٢٥).

الاعاقلاً، حتى يكون عقله افضل من جميع جهد المجتهدين، وما ادى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه) (17).

فالعقل عند الإمام عليه السلام آلة للتمييز والتدقيق في أمور الحياة، وبه ينظر الى مبادئ الامور ولوازمها وعواقبها، وإرادة للخير، صارفة عن الشر، وبهذا العقل يميز الإنسان خيراته وشروره، والحق والباطل، والحسن والقبح والعلم والجهل، والطاعة والمعصية، فالعقل نور يضئ الطريق للفضائل والمحاسن .

الخاتمة

يمكن استخلاص النتائج الآتية من البحث :

- 1- تفرد الإمام الكاظم عليه السلام بمقتضيات العقل وما يتعلق بمفهومه من جوانب متعددة، كالكشف عن غاياته ومعالجة انحرافاتهِ، وصغ كمالاته وبلورة مقاصده .
- 2- التعريف بالعقل وبيان أهميته، وبيان صفاته، وفضائله وتحديد دلائل العقل وحجتيه .
- 3- بيان علاقة العقل بالعلم، وكونه يسلك بالإنسان طريقاً الى معرفة الله تعالى.

قيمة من دون تطبيقاته وليس للتطبيق أثر من دون صوابه وصحته، والصواب والصحة تكون بالطاعة والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل، كما نص عليه الإمام الكاظم عليه السلام، فقد أشار عليه السلام الى تلك الصفات التي منها : التواضع، والصدق، وتزكية العمل، والحياء، والتقرب الى الله تعالى، والتراحم، والشكر... وغيرها، وأشار ايضاً الى صفات الجهل والتي منها : الكبر، والتعاضم، والافتتان بالدنيا، واثار الهوى عن الرغبة الى الله تعالى... وغيرها.

6- دور العقل في الفضائل :-

العقل أساس الفضائل وينبوع الآداب، فلا يسمى الإنسان فاضلاً حتى يكون عاقلاً، يعرف ما ينبغي له ان يؤثر من خير، أو يتجنب من شر، لأن الاخلاق الفاضلة من موجبات العقل الصحيح، فإذا تم عقل المرء سهل عليه التغلب على مشكلات الحياة وصعوباتها، فالعقل أذن هو الهادي الى الرشاد والصواب، والموصل الى الخير، والجالب للرحمة، وفي ذلك يقول الإمام الكاظم عليه السلام : (يا هشام : ما قسم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل افضل من سهر الجاهل، وما بعث الله نبياً

المصادر

القران الكريم

- ١- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، محمد باقر المجلسي، منشورات مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت - لبنان، د.ت .
- ٢- تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : احمد عبد الغفور، منشورات دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧ هـ .
- ٣- تحف العقول، ابن شعبة الحراني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ت .
- ٤- غرر الحكم ودور الكلم، عبد الواحد الامدي، جامعة طهران، ط١، ايران، ١٣٦٠ هـ .
- ٥- الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، دعلاء الدين السيد أمير القزويني، مكتبة الفقيه، ط٢، الكويت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٦- الكافي، ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق : علي أكبر غفاري، المطبعة الحيدرية، ايران، ١٣٨٨ هـ .
- ٧- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٨ م .

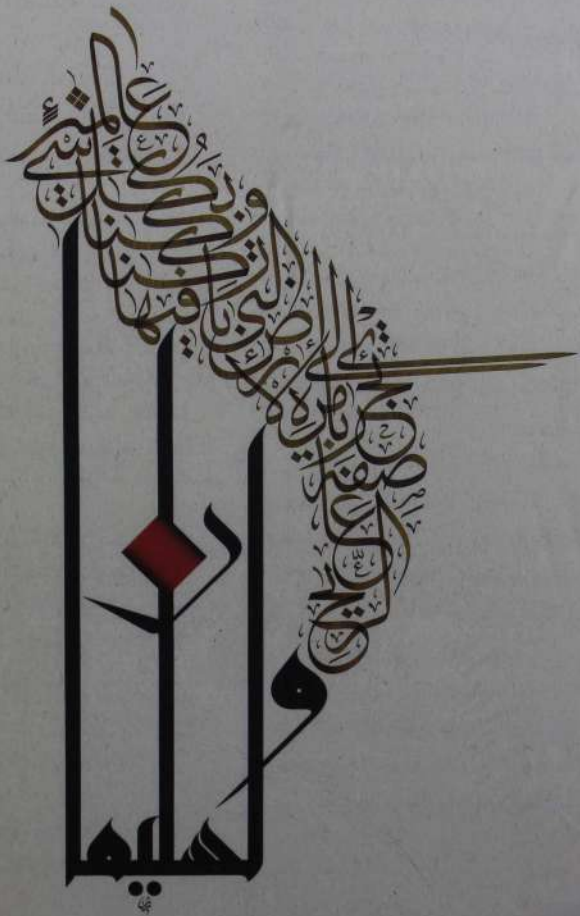
- ٤- مدح العقلاء وذكر صفاتهم ومحاسن اعمالهم وعاقبة سلوكهم وقربهم من الله سبحانه وتعالى .
- ٥- تقرير صفات العقل وصفات الجهل
- ٦- كيفية بناء الإنسان ذاتاً وسلوكاً، وانعكاس ذلك على تصرفاته .
- ٧- ان الإمام يؤمن بالعقل السليم والقطرة النقية فيما لو اشتراكا بمسار واحد يكون مؤداه الى توحيد خالص من الشوائب، فقد ربط بين العقل ومعرفة الله تعالى وبين ما يقرره العقل بعد التأمل في ملكوت الله جل جلاله وبين توحيد الناتج من لزوم وجود مدبر لهذا الملكوت في الخلق والابداع.
- ٨- ان الفكر الذي يعبر عن المستوى الناضج في الرؤية والمنهج والإنجاز حري ان يظهر بمعطياته الاصلية الى الناس لان هذا الفكر لا يوجد إلا عند أهل البيت عليهم السلام بوصفهم منهل هذا الفكر الضخم الذي يتخذ من العقل السوي والقطرة النبيلة حكمة عالية مفادها توحيد الله تعالى، فلا يوجد من يساوم أهل البيت عليهم السلام في نتائجهم الفكرية لانهم مبتكرو هذا المنهج الواضح.

٢. ط، الكويت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٩- الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق، علي أكبر غفاري، ج ٢، ٥٢٢، ٥٢٦، المطبعة الحيدرية، إيران، ١٣٨٨ هـ .
- ١٠- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، ج ١/ ١٨٢ .
- ١١- نفسه، ج ١/ ١٧٩ .
- ١٢- الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، ١٥٧ .
- ١٣- تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٨٢- ٣٩١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د . ت .
- ١٤- تحف العقول، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ١٥- نفسه، ٢٨٢، ٣٩١ .
- ١٦- تحف العقول، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ١٧- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ١٨- تحف العقول، ٢٨٦ .
- ١٩- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢٠- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢١- تحف العقول، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢٢- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢٣- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢٤- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢٥- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢٦- نفسه، ٢٨٢ - ٣٩١ .
- ٢٧- ٢٨٢ - ٣٩١ .

- ٨- المدرسة الإسلامية، محمد باقر الصدر، دار الزهراء للطباعة والنشر، ط ٢، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٩- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، القاهرة، ١٩٨١ م .

الهوامش

- ١- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٤ / ٦٩، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، القاهرة، ١٩٨١ م .
- ٢- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي الخزومي، وإبراهيم السامرائي، ج ٦ / ١٢٠، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨ م .
- ٣- ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق، أحمد عبد الغفور، مادة عقل، منشورات دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت ١٤٠٧ هـ .
- ٤- المدرسة الإسلامية، محمد باقر الحكيم، ١٢٦ - ١٢٧، دار الزهراء للطباعة والنشر، ط ٢، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م .
- ٥- غرر الحكم ودور الكلم، عبد الواحد الامدي، ٢٢٧، جامعة طهران، ط ١، إيران، ١٣٦٠ هـ .
- ٦- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، محمد باقر المجلسي، ج ١ / ٨٨، منشورات مؤسسة الوفاء، ط ٢، بيروت - لبنان، د . ت .
- ٧- نفسه، ج ١، ١٧٩ .
- ٨- الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، د. علاء الدين السيد أمير القزويني، ١٥٤، مكتبة الفقيه،



الشعراء في القرآن الكريم

د. كاظم جاسم منصور العزاوي



من الأنصار والآخر من قوم آخرين وأنهما تهاجيا، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء»^(٢). وعنه أيضاً قال: «هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والإنس»^(٣). وهذا الوصف (الغواية) يجري مجرى التعميم ويشمل كل من غوى وابتعد عن الهدى لذلك يقول الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال فيما قال الله جل ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجن، وذلك أن الله عم بقوله ﴿وَالشُّعْرَاءُ

ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، أن الذين يتبعون الشعراء هم «أهل الغي لا أهل الرشد والهدى»^(١). وقد بين أن أهل التأويل قد اختلفوا في الذين وصفوا بالغي في هذه الآية «فقال بعضهم: رواة الشعر، وعن ابن عباس: هم الرواة، وعن مجاهد وقتادة: هم الشياطين، وعن عكرمة: هم عصاة الجن، وقال آخرون: هم السفهاء»^(٢). وعن سبب نزول الآية الكريمة قال ابن عباس: «كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ: أحدهما



الشعراء إلا من كان من شاكلتهم»^(٧).
ومن هنا فإن الشعراء يتبعون (المزاج والهوى)، وهم المشركون الضالون الحائدون عن الحق، ومن ثم يتبعهم الغاؤون الهائمون مع الهوى، الذين لا منهج لهم ولا هدف، على حين نجد أن المقصود بالشعراء عند علي بن ابراهيم القمي — من مفسري القرن الرابع الهجري — شيئاً مختلفاً تماماً. فهو يرى أن الآية الكريمة «نزلت في الذين غيروا دين الله

بآرائهم وخالفوا

أمر الله»^(٨). دالاً

على ذلك بقوله:

«هل رأيتم شاعراً قط

تبعه أحد، إنما عنى بذلك الذين

وضعوا دنيا بآرائهم فاتبعهم الناس

على ذلك»^(٩)، مؤكداً رأيه بقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، «يعني

يناطرون بالأباطيل ويجادلون بالحجج

المضلة وفي كل مذهب يذهبون {...} يعطون

الناس ولا يعطون وينهون عن المنكر

ولا ينتهون ويأمرون بالمعروف

ولا يعملون»^(١٠).

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿ فلم تخصص بعض الغواة دون بعض، فلذلك عم جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية»^(٥).

أما الزمخشري فقد حاول أن يخصص الغاوين بعد أن بين حال الشعراء بقوله: «إنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم، وماهم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهاز ومدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاؤون والسفهاء والشطّار. وقيل الغاؤون: الراوون، وقيل الشياطين، وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم»^(٦).

وعلى وفق ذلك يكون الشعراء هم الغاوين

فيتبعهم أمثالهم، ولا سيما «القدامى منهم،

فإنهم كانوا يعيشون في الأحلام والأوهام

{...} وقديماً قيل: (أحلام الشاعر) وقيل

(أعذبه أكذبه) أي الشعر، ولا يتبع هؤلاء

﴿الْعَاقِبَةُ﴾ فقال: هم القصاص^(١٣). ولما ذكر القصاصون عنده قال: «لعنهم الله. إنهم يشتمون علينا»^(١٤).

وتأسيساً على ذلك فإن الآية الكريمة لا تعني بـ(الشعراء)، الشعراء المعروفين بنظم الشعر فحسب، وإنما تدل على ما هو أوسع من ذلك وأشمل من هذا المعنى، فتعني فيما تعني، الناس الذين حاولوا أن يغيروا دين الله بأرائهم وأفكارهم، وتعني من تقفه بغير علم فضل

وقد أكد العياشي ذلك بالإسناد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «هم قوم تعلموا وتفقها بغير علم فضلوا وأضلوا»^(١٥).

ويذهب الطوسي إلى أبعد من ذلك، فيذكر أن «المراد بالشعراء (القصاص) الذين يكذبون في قصصهم، ويقولون ما يخطر ببالهم»^(١٦). ومما يؤكد ذلك ما جاء في الاعتقادات للشيخ المفيد الصدوق (ت ٢٨١هـ). من أن الإمام الصادق سئل عن قول الله - عز وجل -

﴿وَالشُّعْرَاءُ بئعهم﴾

توجيه الآية الكريمة بعد قراءتها قراءة جديدة تستعين بالقرائن اللفظية من دون التوقف على القرائن الحالية ومنها أسباب النزول. وهذا الأمر يدعونا إلى الرجوع

وأضل، وتعني القصاص الذين يستميلون قلوب الناس وأفكارهم بقصصهم ورواياتهم المضلة فيغيرون دين الله فيتَّبِعهم الغاوون الضالون من الناس.

وتعني الذين يشنَّعون على آل البيت أمرهم تشنيعاً، قال الأزهري: شَنَّع على فلان أمره تشنيعاً^(١٥).

وبهذا المعنى تكون الآية قد جمعت بين الشعراء — الذين يقولون الباطل ويهيمون في أودية الضلال الفكرية — والقصّاص الذين حاولوا أن يغيروا دين الله بأرائهم وشنَّعوا على آل البيت أمرهم. فهؤلاء جميعاً هم المعنيون بالغواية دون سواهم.

ولو سلّمنا بأن موضوع الذم في الآية هم الشعراء المعنيون بنظم الشعر، فيمكن



بردي حبرة»^(٢٠). وقوله هذا يعني أنه «عد شعراً ما ليس موزوناً ولا مقفى وما لا يتميز إلا بالتشبيه»^(٢١). وهذا الموقف ألا يدل على أن العرب قديماً كانوا يطلقون الشعر على النثر المشتمل على الخيال المؤثر في الوجدان كما يطلقونه على الموزون المقفى؟ ويقال نظمت الشعر: أي أخذت الكلام المعبر عن الأحاسيس والشعور فجعلته منظوماً، أي موزوناً ومقفى. فأصبح الكلام متصفاً بكلا الأمرين، الوزن والأحاسيس معاً.

ومن هنا يمكن القول بأن ما بين مفهوم النظم ومفهوم الشعر نسبة العموم، من حيث أن الكلام يمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام^(٢٢): الشعر المنظوم وهو ما كان مشتملاً على الوزن ومعبراً عن الأحاسيس والشعور النفسي. والنظم وهو ما كان مشتملاً على الوزن دون الأحاسيس والشعور وهو الذي يعبر عن الجهات العلمية، والشعر المنثور وهو ما كان معبراً عن الأحاسيس والشعور النفسي وفاقداً للوزن. والكلام العادي وهو ما كان فاقداً لكلا الأمرين سواء أكان بليغاً أم اعتيادياً. وإذا كان الشعر بهذا المعنى، ما يرجع إلى العواطف النفسية والخلجات القلبية

إلى المدلول اللغوي لجذر كلمة (شعر) في المعاجم القديمة كـ(لسان العرب). إذ إن الرجوع بكلمة ما إلى معناها اللغوي في المعاجم القديمة يعني في حقيقة الأمر الرجوع بها إلى مجالها التداولي الأصلي. وهذا يعني «أن الكلمة التي يرجع بها إلى معناها اللغوي إنما يطلب مدلولها كما كان يتحدد داخل المنظومة اللغوية التي تنتمي إليها. وبالتالي فهي لا بد أن تحمل في معناها اللغوي قليلاً أو كثيراً من خصائص رؤية أهلها للعالم {...} وطريقة تفكيرهم في ظواهره وحوادثه»^(٢٣). فشعرٌ شعراً: بمعنى يعلم، وليت شعري أي ليت علمي أو ليتني علمت. وسمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر ما لا يشعره غيره، أي يعلم. وشعرت به واستشعرت به إذا أحسست به^(٢٤). فكل كلام يعبر عن الشعور والأحاسيس النفسية أو يكون سبباً لإثارتها هو شعر، سواء أكان منظوماً أو منثوراً^(٢٥).

وقديماً قال حسان بن ثابت وهو شاعر الجاهلية قبل مجيء الإسلام وشاعر الرسول بعد مجيء الإسلام لابنه: «قال ابني الشعر وربّ الكعبة»^(٢٦)، حين سمعه يصف زنبوراً لسعه بقوله: «كأنه ملتف في

عن الشعراء وأتباعهم من الغاوين ولا ربط لصدر الآية بذيلها و (الواو) هنا: استثنائية وليست حرف عطف، وبذلك فلا علاقة بين ما يسبقها وما لحقها^(٢٣). ثم أن الشعر سواء بمعنى النظم أو العاطفة، فيه ما هو حق وما هو باطل، ومن البديهي أن الشياطين لا تنزل على ما هو حق، وإنما تنزل على ما هو باطل. والحق ليس فيه إثم ولا إفك ولا كذب، إنما يكون ذلك في الباطل^(٢٤).

أما طبيعة هؤلاء الشعراء وطبيعة غوايتهم التي بينها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿الرَّثَرِ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فسيقف الباحث عندها متابعاً أقوال المفسرين وآراءهم فيها.

لقد قال ابن عباس في معنى ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾: في كل لغويخوضون، وقال مجاهد: في كل فن يفتنون، وقال قتادة: يمدحون قوماً بباطل ويشيخون قوماً بباطل^(٢٥). وقال ابن عباس في معنى ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: أكثر قولهم يكذبون، وعنى بذلك شعراء المشركين^(٢٦).

ويرى الطبري أن الشعراء «في كل وادٍ

(الشعور والإحساس) سواء أكان منظوماً أم منثوراً^(٢٧)، ولا ربط له — ربطاً حقيقياً — بالنظم، فإن مضمون الآية يختص بمن يكثر شعوره النفسي لا بمن يكثر نظمه للشعر. وإن النظم بما هو نظم ليس موضوع الآية، بل الشعور النفسي منظوماً أو منثوراً. وهذا معنى غير معنى الشعر المتعارف. وإن المذموم من هذه الأحاسيس النفسية والخلجات القلبية ما هو باطل لا ما هو حق، بدليل قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾. وبما أن الغواية ضد الهداية^(٢٨)، فإن الغاوين يتبعون ما هو باطل والمهتدين يتبعون ما هو حق، وليس العكس.

ولرب معترض يقول: إن الله سبحانه تعالى — عطف قوله: (وَالشُّعْرَاءُ) على قوله: ﴿هَلْ أَنتُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٤﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾. فقد ألحقت الآية فعل الشر بالشياطين ونسبته إلى الإفك والإثم والكذب.

وجواب ذلك: عدم ارتباط هذه الآية السابقة على آية الشعراء بالشعراء أنفسهم، بل هو حديث مستقل عن الشياطين وأتباعهم. ثم يبدأ حديث مستقل جديد

«ذكرُ الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالفلو في المنطق ومجازة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشجعهم على حاتم، وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي»^(٢٢).

ومن هنا فإن الغواية تتجلى في أدق صورها في الكذب والمغالاة والحياد عن الحق، لأن الشعراء الموصوفين بهذا الوصف يتبعون عواطفهم التي هي في اضطراب وعدم استقرار، فتضطرب مواقفهم وتتبدل تبعاً لذلك .

وفي ضوء ما تقدم من آراء المفسرين، يبدو أنهم مجمعون على أن طبيعة الشعراء المعنيين في الآية الكريمة وطبيعة غوايتهم تتمثل في الخوض في فنون القول والحياد عن الحق واتباع الباطل، جرياً وراء أهوائهم ومشاعرهم وانفعالاتهم. إلا أن علياً بن ابراهيم القمي يرى أن الغواية التي عنتها الآية المباركة تعني أمراً آخر مختلفاً عما ذكره المفسرون الذين سبقت الإشارة إلى أقوالهم وآرائهم. فهو يرى أن الغواية تعني المناظرة بالباطل والجدال بالحجج المضلة «يعني يناظرون بالباطل ويجادلون بالحجج

يذهبون كالهائم على وجهه على غير قصد بل جائراً على الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل، وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل، ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور»^(٢٣). وهذه هي إذن طبيعة الشعراء المعنيين في الآية وطبيعة غوايتهم كما يراها الطبري وأهل التأويل من قبله .

أما الطوسي فيذكر قول الجبائي في طبيعة الشعراء وطبيعة غوايتهم فهم «يصغون إلى ما يلقيه الشيطان إليهم على جهة الوسوسة لما يدعوهم إليه من الكفر والضلال»^(٢٤).

وقد بين الطوسي سبب وصف الشعراء بالغي بقوله: «وإنما صار الأغلب على الشعراء الغي باتباع الهوى، لأن الذي يتلو الشعر — في الأكثر — العشاق ولذلك يقبح التشبيب، مع إن الشاعر يمدح للصلة ويهجو على جهة الحمية فيدعوه ذلك إلى الكذب {...} والآية تتناول كل شاعر يكذب في شعره»^(٢٥).

وقد شاطر الزمخشري الطوسي الرأي مبيناً معنى الوادي والهيوم بقوله:

وإجمالاً تبرز طبيعة هؤلاء الشعراء - الغاوين - وطبيعة غوايتهم عند فريق من المفسرين. على أنهم يخوضون بالباطل ويزيفون عن الحق، وهم في حل من أي التزام ديني وأخلاقي، وأن النعوت والأوصاف شملت كل الشعراء الغاوين في كل زمان ومكان. وقد كشف بعض المفسرين - وكما أشرنا - عن هوية الشعراء الغاوين الذين خصتهم الآية وسَمَّوهم بأسمائهم، ورأوا أن الآية نزلت بحقهم. بينما تكون طبيعة الشعراء الغاوين المعنيين في الآية الكريمة وطبيعة غوايتهم عند علي بن إبراهيم القمي والعاشي والطوسي، طبيعة أخرى لا علاقة لها بمن ينظم الشعر وإنما علاقتها بمن غير دين الله بأرائه وخالف أمره من القصص والرواة والخطباء والمتكلمين. وقد صدر هؤلاء المفسرون في رأيهم هذا عن الإمام الصادق عليه السلام. ومن المسلم به أن ما يُوخذ من آل البيت يكون حجة معتمدة لأنهم أقرب إلى دين الله من غيرهم بوصفهم الامتداد الطبيعي لرسول الله، وهم أهل بيت الوحي ^(٢١). وقد قال رسول الله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» ^(٢٢)، وعندما يكون الإمام علي باب مدينة رسول الله،

المضلة وفي كل مذهب يذهبون، يعظون الناس ولا يتعظون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون» ^(٢٣). وفي ضوء هذا المعنى، فإن الغواية لا تختص بالشعراء المعروفين بنظم الكلام الشعري الموزون، لأن المناظرة والجدال والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يختص به الخطباء والمتكلمون وليس الشعراء. وهؤلاء إنما يناظرون ويحاولون لأجل مبدأ أو فكرة، وهم ربما يفعلون ذلك بالباطل أو نصرة للباطل. وهذا الفهم يقود إلى أن الآية الكريمة تعني بالشعراء معنى أشمل وأوسع من المعنى المتعارف عليه، وهذا المعنى يدعم ما ذهب إليه القمي والطوسي من أن الشعراء هم القصاص - على تأويل الإمام الصادق عليه السلام - الذين غيروا دين الله بأرائهم وخالفوا أمره، والذين تفقهوا بغير علم فضلوا وأضلوا، وكما اشرنا إلى ذلك في أثناء البحث.

وتأسيساً على ذلك فلا مجال للشبهة بالشعراء ولا مجال لذمهم والقدح بهم. إنما الشبه والذم والقدح بهؤلاء الذين غيروا دين الله وخالفوا أمره. وهؤلاء هم المعنيون بالغواية وطبيعتها.

شعراء الرسول، حسان بن ثابت وكعب بن مالك ثم هو لكل من كان بهذه الصفة التي وصفه الله بها^(٣٧). وقيل: لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى الرسول ليكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية إنا شعراء، فتلا النبي قول الله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٣٨). وعن ابن عباس قال: ثم استثنى المؤمنين منهم — يعني الشعراء — فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٣٩).

فإن أبناءه يرثون علم تلك المدينة ولا يصدرون إلا عن علم النبي. وقد روي أن الإمام الباقر قال: «إن علياً كان عالماً والعلم يتوارث»^(٤٠).

وردت في الآية الكريمة طائفة مستثناة من قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾. وللكشف عن هوية هذه الطائفة سيتابع البحث آراء وأقوال المفسرين.

ذكر الطبري أن هذا الاستثناء نزل في



الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح الرسول ﷺ والصحابة والأئمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلخون فيها بذنب ولا يلبسون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾^(٤٦)، وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(٤٧)،^(٤٨) بينما يرى القشيري أن الشعراء المستثنين هم ممن «يكون شعره خالياً من هذه الوجوه المعلولة المذمومة، وهذا كما قيل: الشعر كلام إنسان فحسنه كحسنه وقبيحة كقبيحة»^(٤٩)، وأما القمي فيرى أن الشعراء المستثنين «هم آل محمد ﷺ وشيعتهم المهتدين»^(٥٠).

ويبدو أن المعيار الذي تم بموجبه الاستثناء في الآية الكريمة هو (الحق) فالإيمان وصالحات الأعمال تردع الإنسان

أما عن حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء الشعراء المستثنين فقال بعض أهل التأويل: هي حال منطقتهم ومحاورتهم الناس، وعن ابن عباس، أن المقصود بذلك في كلامهم، وذهب آخرون إلى أن المقصود به في شعرهم^(٥١). بينما يرى الطبري أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: «إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين، بذكر الله كثيراً، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيراً في كل أحوالهم»^(٥١).

ومن صفات هؤلاء المستثنين قوله تعالى: ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ فيقول الطبري: «وانتصروا ممن هاجمهم من المشركين ظلماً بشعرهم وهجائهم إياهم وإجابتهم عما هجوهم به»^(٥٢)، وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ قال: «يردّون عن الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين»^(٥٣)، وعن مجاهد قال: «عبد الله وأصحابه»^(٥٤)، ويمثله قال الطوسي^(٥٥) أيضاً.

بينما وضّح الزمخشري طبيعة هذه الطائفة المستثناة، فذكر أن الله عز وجل قد «استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين

اعتنقوه»^(٥٢). والشعراء الذين يعبرون عن أمني المستضعفين ويقفون مع المظلومين ويناصرون العدالة ويثرون على الطغاة والعتاة وعلى الجهل والتخلف يقفون في طليعة المجاهدين في سبيل الله. وقد قيل لرسول الله: «ما تقول في الشعر؟ فقال: إن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما تتضحونهم بالنبل»^(٥٣). وقال الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٥٤).

ومما لا شك فيه أن الشعر أعلى فنون البيان أو أبلغها تأثيراً في النفوس وأنه ثروة اللغة وكنزها الثمين. ولذا «استثنى سبحانه الشعراء الطيبين المجاهدين {...} أي انتصر الشعراء للحق وأهله ممن اعتدى عليهم ونافحوا عن الإنسان وحرته وكرامته {...} وهذا نص صريح من الله سبحانه وتعالى على أن شعر الثورة ضد الظلم والطغيان هو من صميم الدين والأيمان وصالح الأعمال»^(٥٥).

ولعل ما ذهب إليه محمد جواد مغنية يأتي سنداً لما قال به علي بن إبراهيم القمي من أن الشعراء المعنيين بالاستثناء هم آل محمد وشيعتهم الذي جاهدوا وانتصروا للحق ممن تفقه بغير علم فضل

عن ترك الحق واتباع الباطل، ثم أن الذكر الكثير لله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان مقبلاً إلى الحق مدبراً عن الباطل. وفي ضوء هذا يظهر وجه تقييد الاستثناء بالإيمان وعمل الصالحات وذكر الله والانتصار والانتقام من المشركين الذين هجوا النبي بقصائدهم أو طعنوا فيها بالدين وقدموا في الإسلام والمسلمين»^(٥٦).

إن الله سبحانه وتعالى وصف الشعراء بالوصف العام في قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٥٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٩﴾، هذا الوصف الذي في ظاهره يشمل كل الشعراء وفي كل زمان ومكان. أما الاستثناء الذي ورد في الآية من قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾^(٦٠)، فهذا يعني أن هؤلاء الشعراء المستثنين ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام «فهؤلاء آمنوا فامتلت قلوبهم بعقيدة الإيمان، واستقامت حياتهم على منهج، وعملوا الصالحات، فاتجهت طاقاتهم إلى عمل الخير الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام، وانتصروا من بعد ما ظلموا، فكان لهم كفاح يفتنون فيه طاقاتهم ليصلوا إلى نصره الحق الذي

الشر والخير ويجري في كل فن، وأن الخيال عند الشعراء سائب لا يقف عند حد معين. وأن الشعر يفسد الأخلاق في بعض الأحيان ويقود الغاوين، وأن الشعراء قوم غير (عمليين) يقولون ما لا يفعلون⁽⁶¹⁾. وهو ما يدعم الفكرة التي تقول: إن الذم مختص بالباطل ولا يمكن أن يكون شاملاً للحق. ومن ثم لا بد من الالتفات إلى أن الآية الكريمة لم تقل إن الشعراء إنما يكونون مؤمنين ذاكرين الله كثيراً إذا عرضوا عن الشعر ولم يكونوا شعراء. بل يمكن أن يكونوا — في الشعر — مع الإيمان وذكر الله وعمل الصالحات، بل هو (أي الشعر) يكون ذاكراً لله ومن عمل الصالحات، ولا يمكن أن يكون مذموماً سواء فهم الشعر على أنه من النظم أو العاطفة⁽⁶²⁾. لذا لم يطرد القرآن الشعراء جميعاً من دولته المثلى — وإنما استثنى منهم هؤلاء الشعراء الذين وصفهم بهذه الأوصاف التي تخرجهم من الغواية، وينأى بهم عن أودية الشر والظلاله، ويدخلهم في أودية الخير والهداية، ويخلق تماثلاً بين ما يقولون وما يفعلون. مما يفضي إلى حلول (الأخلاقي) في الشاعر فيفوق (الأخلاقي) في غير الشاعر في أداء

وأضل وغير دين الله بأرائه وشنَّ على أمر آل محمد.

وإجمالاً يمكن القول بأن المفسرين رأوا أن الشعراء الذين شملتهم الآية الكريمة بالاستثناء هم خارجون عن الوصف العام للشعراء الذي يوحى بالذم، وهم ممن اتصف بالإيمان وعمل الصالحات وذكر الله الكثير والانتصار للحق. وهذه الصفات تمثل في حقيقتها الحق بكل أشكاله وألوانه. وعليه فمن اتبع سبيل الحق من الشعراء فهو معني بهذا الاستثناء في كل زمان ومكان.

ولرب معترض يقول: إن السياق في الآية الكريمة يشعر بأن المدوحين غير الشعراء الذين سبق ذكرهم والذين يتصفون بالغواية، وعلى وفق هذا الفهم فإن الشعراء ليسوا من المدوحين وإنما يكون منهم من أعرض عن صفته تلك وتاب عنها وعمل الصالحات وذكر الله كثيراً.

وجواب ذلك أنه تبين من خلال البحث أن لكلمة الشعراء شمولاً وإطلاقاً لجانبي الحق والباطل فيكون الاستثناء بمنزلة القرينة المقيدة لذلك الإطلاق. إذ إن السياق يكشف لنا عن أشياء كثيرة منها: أن الشعر لا حدود لميادينه، يطرق أودية

والفعل (أمنوا) بسعته وخلوه من القرائن ينبسط عاماً شاملاً لا يقتصر على الإيمان بمفهوم دون آخر ولا ينحصر في الاستسلام لفكرة بعينها . ذلك أن الإيمان هو ضرب من الاعتقاد الصميم الذي يختص بالقلوب، كما يتجلى في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّمَ تُوْمِنُوْا وَلَكِنْ قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ﴾ (٦١) ومن هنا، فإن الشعراء الذين آمنوا إيماناً مطلقاً وتشربت قلوبهم به، على أنه (أي الشعر) أولى ملكات فن القول، ينساب قولهم الصادق متسللاً إلى قلوب المتلقين (٦٢)، ومن ثم، فإن هذا الشعر الذي يصور ثمرة الإيمان يكون مكسوا بثوب جميل هو ما يدعو إليه القرآن ويستثني قائله من قائمة المذمومين.

ثم يأتي (عمل الصالحات) مقياساً آخر للشعراء المستثنيين من الذم في القرآن الكريم» ويتعين أن أعمال المؤمنين الصالحات تفيض بين يدي القرآن الكريم بما لا مجال للإحاطة به، تجارب نضالية ومواقف إنسانية، قولاً وفعلاً وكفاءة ونزاهة والتزاماً، لأنهم شعراء مؤمنون تشكل قصائدهم من منابع الحق صوتاً للإيمان النظري والموقف العملي» (٦٣).

الرسالة لبلوغ غاياتها المثلى (٥٨).

وخلاصة القول: وفي ضوء ما تقدم، فإن الآية الكريمة تصح أن تكون تشريعاً عاماً ومقياساً من مقاييس مضمونية ولغوية في بنية دعوة الالتزام بالشعر (٥٩). وأن القرآن الكريم قد رسخ أساسين متلازمين للتمييز بين الشعراء الصالحين والطاغين، وفرز الخطوط الدقيقة لأسلوب الشعر الذي ينبغي للشعراء أن يحدوا عنه ويجعلوه دبراً، وحدد المضمون الفكري الذي لا بد للشعراء من الصدور عنه. وهذان الأساسان يتمثلان في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْتَنِبُكَ يَا رَبُّ الْعَذَابَ مَا لَأَنفَعُكَ مِنْهُمْ إِذْ يُقَالُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فاتباع مختلف السبل في القول من غير الاحتفال بأدنى قيد أو شرط وإلى درجة إظهار الباطل في صورة الحق، أمر يبتعد عن القانون العام الذي سنه القرآن للحياة، ويكون على طرفي نقيض من الآداب العامة. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ آية في تشخيص حال هؤلاء الشعراء المذمومين الذين يطلقون الكلام على عواهنه، فتأتي دعاوى أقوالهم مخالفة لحقيقة أفعالهم.

إن المقاييس التي وطدها القرآن الكريم قواعد للقول الشعري هي (٦٠): (الإيمان)

وهذا هو شأن القرآن . فهو وإن كان يعالج مسألة ما عرضت للمجتمع المكي أو المدني آنذاك، لا يهمل مكاناً غير مكة أو المدينة، ولا يقتصر النظر عن زمان حدوث تلك المسألة أو زمان نزوله فيها .

ومما يدعم هذا ويشفع له ما رواه العياشي بإسناده عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٦٤) : «إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ثم ماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين»^(٦٥). ويؤكد هذا صاحب تفسير الفرات بقوله: «ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره مادامت السماوات والأرض»^(٦٦).

وبحسب ذلك كان لا بد لهذا القرآن — صاحب تلك الشريعة المتكاملة الشاملة — من أن يحدد موقفاً صريحاً من الشعر ويخلق منه أدباً يعتمد على أصول تلك الشريعة، فرسم — القرآن — منهجاً للشعر وحدد مساره وأطره بأطر الأخلاق والعفة والصدق والحق، ورفض القول الفاحش

و(ذكر الله) يأتي مقياساً ثالثاً لهؤلاء الشعراء المستثنيين. وأما رابع هذه المقاييس — (الانتصار من بعد الظلم) وهو الانتصار للدين وللرسول ولآل بيته وللمسلمين، وهذا يشكل بمجمله الانتصار للحق بعد أن ظلم الدين والرسول وآل بيته والمسلمون .

وهذه المقاييس الأربعة بمؤشراتنا تشكل هوية الشعراء المدوحين الخارجين عن المذمومين لتستوي بين يدي القرآن معالم ينبغي أن يسير في هديها الشعر والشعراء، خدمة للإسلام والمسلمين والمجتمع الإنساني بأسره في جميع قضاياها ومشاكله ومعالجتها. وخلاصة القول، فإن القرآن الكريم، سواء عنى بآية الشعراء، الشعراء المشركين الغاوين أم القصاص الذين غيروا دين الله بأرائهم وخالفوا أمره. وتفقهاوا بغير علم فضلوا وأضلوا، والشعراء المؤمنین، فإنها جاءت لتقرر منهجاً يرسمه الشعراء في كل زمان ومكان. إذ إنه وضع مقاييس بين بموجبها الغواية وطبيعتها من جهة، والهداية وطبيعتها، من جهة أخرى، وبموجب هذه المقاييس يقوم الشعر والشعراء. ثم أنه — أي القرآن — بين طبيعة الشعر، من أنه علم وأن مصدره بشري لا صلة له بالسماء.

- بولاق ، ط ٢٠١٨ هـ : ٢٠٢٢ / ٢ .
 (٧) م . ن : ٥٢٤ / ٥ .
 (٨) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ،
 تصحيح وتعليق ، السيد طيب الموسوي ، مطبعة
 النجف ، ١٣٧٨ هـ : ١٢٥ / ٢ .
 (٩) م . ن : ١٢٥ / ٢ .
 (١٠) م . ن : ١٢٥ .
 (١١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ،
 تح : السيد هاشم الرسول المحلاتي ، دار إحياء
 التراث العربي ، بيروت : ٢٠٨ / ٧ .
 (١٢) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، تح :
 أحمد حبيب العاملي ، مطبعة النعمان ، النجف ،
 ١٩٦٢ : ٦٩ / ٨ .
 (١٣) الاعتقادات ، الشيخ المفيد ، تح : عصام عبد
 السيد ، دار المفيد ، ط ٢٠١٤ هـ : ١١٠ .
 (١٤) م . ن : ١٠٩ .
 (١٥) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت :
 مادة (شنع) .
 (١٦) بنية العقل العربي ، محمد عابد الجابري ،
 مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٦ ، بيروت ،
 ٢٠٠٠ : ١٥ .
 (١٧) لسان العرب : مادة (شعر) .
 (١٨) ينظر : ما وراء الفقه ، محمد الصدر ، مطبعة
 القضاء ، النجف الأشرف : ١٣٢ / ١٠٠ .
 (١٩) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تح :
 ريتز ، استانبول ، ١٩٥٤ : ١٥٧ .
 (٢٠) م . ن : ١٥٧ .
 (٢١) نظريات الشعر عند العرب ، مصطفى الجوزو ،
 دار الطليعة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨١ : ١٦ .
 (٢٢) ينظر : ما وراء الفقه : ١٢٣ / ١٠ .
 (٢٣) ينظر : م . ن : ١٢٧ / ١٠ .
 (٢٤) لسان العرب : مادة (غوى) .
 (٢٥) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٢ .

وإدعاء الكذب والدعوة للباطل . بمعنى
 أنه أرادوا من الشعر أن يكون مثالياً يؤكد
 كل ما من شأنه المساهمة في بناء المجتمع
 الإسلامي الجديد ، وطرح تلك العادات
 الجاهلية البغيضة التي من شأنها تمزيق
 المجتمع . وبعبارة أخرى فإنه يريد من الشعر
 أن يكون واقعياً مثالياً يبحث عن الحقيقة
 (الحق) ويؤكدها ، وأن يبتعد عن كل ما هو
 خيالي غير واقعي ومغالي فيه ويدعو إلى
 الباطل وتزيينه في نفوس الناس .

وفي ضوء ما تقدم فإن القرآن لم يحرم
 الشعر ولم يقف موقفاً معادياً ومناوئاً
 له «وإنما وجهه وجهة أخرى : ربطه
 بالدين والقيم المنبثقة عنه ، فجعله أداة
 لخدمته»^(٦٧) ، ومن ثم ، فهو (أي الشعر)
 أداة لخدمة المجتمع الإسلامي شريطة أن
 يسير على وفق المنهج الذي رسمه القرآن .

الهوامش

- ١) جامع البيان عن تفسير القرآن ، الطبري ،
 مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، مصر ،
 ١٩٥٤ : ١٢٦ / ١٩ .
 (٢) م . ن : ١٢٧ / ١٩ .
 (٣) م . ن : ١٢٧ / ١٩ .
 (٤) م . ن : ١٢٧ / ١٩ .
 (٥) م . ن : ١٢٧ / ١٩ - ١٢٨ .
 (٦) الكشاف ، الزمخشري ، المطبعة الكبرى الأميرية

- (٢٦) ينظر: ما وراء الفقه ١٠٠/ ١٢٧.
- (٢٧) ينظر: م. ن. ١٢٩/ ١٠٠.
- (٢٨) ينظر: جامع البيان ١٩/ ١٢٨.
- (٢٩) ينظر: م. ن. ١٠٠/ ١٢٨.
- (٣٠) ينظر: جامع البيان ١٩/ ١٢٨.
- (٣١) التبيان في تفسير القرآن ٦٩/ ٨.
- (٣٢) م. ن. ٧٠/ ٨.
- (٣٣) الكشاف ٣٥٣/ ٢.
- (٣٤) تفسير القمي ٢: ١٢٥.
- (٣٥) جاء في أصول الكافي أن «الأئمة كونهم معصومين كالأنبياء إن لم يكن في جميع الأخطاء فعلى الأقل من الكبائر مثل الكذب. فهم أولياء والولاية في التصور الشيعي سلطة إلهية خص الله بها الأنبياء والأولياء سواء سواء فالوالم يمتازة النبي يبلغ عنه ويتحدث باسمه وتعد تعاليمه من تعاليم النبي أو هي نفسها». أصول الكافي، الكليني، طبعة طهران، ١٣٢٨ هـ: ٦٥.
- (٣٦) التبيان في تفسير القرآن ٢٠٧/ ٢.
- (٣٧) أصول الكافي ٦٥.
- (٣٨) ينظر: جامع البيان ١٩/ ١٢٨.
- (٣٩) ينظر: م. ن. ١٢٨/ ١٩.
- (٤٠) ينظر: م. ن. ١٢٨/ ١٩.
- (٤١) ينظر: م. ن. ١٩/ ١٢٩.
- (٤٢) م. ن. ١٩/ ١٣٠.
- (٤٣) م. ن. ١٩/ ١٣٠.
- (٤٤) ينظر: م. ن. ١٩/ ١٣٠.
- (٤٥) م. ن. ١٩/ ١٣٠.
- (٤٦) م. ن. ١٩/ ١٣٠.
- (٤٧) النساء ١٤٧.
- (٤٨) البقرة ١٩٤.
- (٤٩) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٧١/ ٨.
- (٥٠) لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تج، إبراهيم بيوتي، دار الكتاب العربي، القاهرة
- الإشارات: ٥: ٢٢.
- (٥١) تفسير القمي: ٢: ١٥٢.
- (٥٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٩٩٧: ١٥/ ٣٣٢-٣٣٣.
- (٥٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية، ط١: ١٩/ ١٢١.
- (٥٤) مسند أحمد بن حنبل، دار صادر بيروت: ١٣٨٧/ ١. وينظر الكشاف: ٥/ ٢٢٥.
- (٥٥) الرحمن ٣-٤.
- (٥٦) الكاشف ٥/ ٢٢٥.
- (٥٧) ينظر: مواقف في الأدب والنقد، عبد الجبار المطليبي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠: ١٣٨.
- (٥٨) ينظر: ما وراء الفقه ١٠٠/ ١٢٧.
- (٥٩) ينظر: مواقف في الأدب والنقد: ١٣٨-١٣٩.
- (٦٠) ينظر: أثر القرآن في الصورة الفنية لدى شعراء صدر الإسلام، الطيب بوشيبه، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥: ١٠٨.
- (٦١) ينظر: م. ن. ١٠٨، وما بعدها.
- (٦٢) الحجرات ١٤.
- (٦٣) ينظر: أثر القرآن في الصورة الفنية ١٠٩.
- (٦٤) م. ن. ١٠٩.
- (٦٥) الرعد: ٧.
- (٦٦) تفسير العياشي، أبو النظر محمد بن سعود بن عباس القمي السمرقندي المعروف بالعياشي، تج: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ٢٠٢/ ٢.
- (٦٧) تفسير الفرات، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، ط١، طهران، ١٩٩٠: ٢٠٦.
- (٦٨) الثابت والمنحول: أدونيس، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤: ١٤٦.



سبل تعزيز القيم الروحية

قراءة في النص القرآني

د. نضال حنش شبار الساعدي

وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقُ
وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقُ
وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقُ
وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقُ
وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقُ
وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَرْزُقُ



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الأمين، وآله الطيبين الطاهرين. أما بعد:

لا يخفى على كل ذي علم في المجتمع الإسلامي اهتمام القرآن الكريم بالمنظومة القيمية في مواجهة العالم المادي، والذي فصل فيه تفصيلاً كثيراً، مما لا نجده في الأنظمة الأخرى؛ إذ إن للقرآن الكريم المنهج الروحي والتربوي في تهذيب النفس الإنسانية، وتغذيتها للعقل والقلب بالقيم الروحية النبيلة، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْوَأُ إِلَّا لِيَسْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (١)، وهو الدين الذي يتحقق بمنهجه المجتمع الإسلامي المثالي، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

وهنا لا ينحصر تفكير الفرد في مصالحه ومنافعه الشخصية؛ وإنما الشعور بالمسؤولية إزاء سائر الأفراد أيضاً في الالتزام بالنظام القيمي، والسلوكي لهذا

الدين المقدس، سواء أكان ذلك في مجال أخلاق أم في مجال الحقوق، وهو كثيراً ما تحث عليه التربية وتسعى إلى غرسها وإكساب الفرد مجموعة من القيم منها على سبيل المثال (القيم الإنسانية) حب الناس، والتعاطف، والرحمة، والشجاعة، والعلم والعمل، والتسامح والإيثار، والحكمة والتضحية والأمانة، وغيرها من القيم الروحية التي وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ (٣) تسعى من خلالها التربية الإسلامية إلى بلوغ الكمال الإنساني، والكمال لله تعالى؛ إلا أن الإنسان لا بد له أن يتصف بالكمال الروحي بغية تحقيق التوازن في الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَمَرَكَ اللَّهُ الذَّارِ الْأَخْرَجَ وَلَا تَنسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤).

وهنا صار لزاماً علينا أن نفصل القول في القيم الروحية وسبل تعزيزها في مواجهة العلم المادي، وبما أن منظومة القيم الروحية لا يمكن حصرها؛ لذا سنقتصر في ورقتنا هذه بـ(سبل تعزيز القيم الروحية في مواجهة العالم المادي) (قراءة في النص

وترغب الملائكة في خلقتهم؛ لأن العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف، وينزل الله حامله منازل الأحياء، ويمنحه مجالسة الأبرار في الدنيا والآخرة)، وهو كما روي عن أمير المؤمنين (لا كنز أنفع من العلم).

ثانياً: مفهوم التسامح في اللغة والاصطلاح والقرآن

التسامح في اللغة من: سَمَحَ سماحةً، وسمح ككرم؛ معناه صار من أهل السماحة^(١)، والمراد من السماحة في الاصطلاح هي ترك بعض ما يجب عند الحاجة الى ذلك^(٢) وهي المساهلة والسماحة التي تشمل معنى الجود^(٣).

وعرّفها السيد الطباطبائي بسماحة الوجه، وعدم صغره وميله عن العنف^(٤) وجاء في حديث للنبي ﷺ قال: (رحم الله عبداً سمحاً، إذا باع سمحاً، إذا اشترى سمحاً، إذا اقتضى)^(٥) وفي الحديث دعوة صريحة إلى التسامح، ونبذ العنف ودعوة للتخلي بالتواضع والمحبة والمواخاة اتجاه الآخرين، لأن المجتمعات تتسم بالتنوع الدينية والمذهبية، والقومية وهذا الاختلاف والتفاوت بين الناس أكد عليه القرآن الكريم

القرآني) ويمكن تفصيل القول فيها بما يلي:-

أولاً: قيمة العلم:

العلم عالم له قدسيته ومكانته، كلمة من أحرف ثلاثة تحمل في طياتها كل ما فيه صلاح البشرية والمعصية لذا فضل الله في كتابه العظيم أهل العلم ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٦)، فقد ربط الشارع الحكيم العلم بالإيمان وعظمته وشرفه، فهو فرض وواجب على كل مسلم ومسلمة، كما أثر عن الرسول ﷺ قوله: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وهو يرفع شأن الإنسان عند الخالق والمخلوق فيجعله في مقام رفيع تعزه بين الناس وترفع من قدره، فتجعله كما قال فيه ﷺ: (تعلموا العلم، فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، وسالك بطالبه سبيل الجنة، ومؤنس في الوحدة، وصاحب في الغربة، ودليل على السراء، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدي بهم، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم،

محمد باقر الصدر (قدس سره) وغيرها. والملاحظ من خلال دراستنا لمفهوم التسامح أننا لم نجد هذا المفهوم بهذا اللفظ في القرآن الكريم: بل في لفظ الصفح والعتو في أكثر من موضع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

(١) ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. (١٥)

(٢) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (١٦)

(٣) ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. (١٧)

(٤) ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. (١٨)

(٥) ﴿فَأَصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾. (١٩)

(٦) ﴿وَلِعَفُوا لِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (٢٠)

(٧) ﴿وَلَمَنْ صَدَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. (٢١)

ثانياً: منظومة التعايش السلمي بين الأديان والثقافات

يتضح مما تقدم أن الإسلام دين رحمة وعتو، ومسامحة، ومؤاخاة، كما أنه دين

في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. (١١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١٣) ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. (١٢)

وفي رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله عفوه). (١٢)

ويتضح مما تقدم أن مفهوم التسامح ضد العنف، وعدم رد الإساءة بمثلها كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١١)، فالتسامح قيمة تربوية أهتم علماء المسلمين بدراستها في باب الأدب الأخلاق والفضائل بحيث لم تخل كتب التفسير عن آية أو حديث أو فقه من الإشارة إليه؛ بل كتبت مؤلفات كثيرة منها: اللاعنف في الإسلام للسيد محمد الحسيني الشيرازي، والتسامح ومنافع اللاتسامح لمجد الغرباوي، والمدرسة الإسلامية للسيد

الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، إذ تسببت في قتل الأبرياء، وتهجير الأمنين، مما تسبب في تغيير البناء الديمغرافي للمجتمع بمختلف فئاته تنفيذاً لأجندات سياسية ذات توجهات استعمارية، كان لها الأثر السلبي في بلدنا الجريح الذي عانى الكثير من الفتن الطارئة والغريبة على مجتمعنا العراقي، وما يؤسفنا أن آثارها مازلت مستمرة إلى وقتنا الحاضر بسبب التجاذبات والمصالح السياسية.

وللأسف لو كان هذا التعصب للدين لا للطائفة، ولوحدة الوطن لا لتمزيقة وتشريد أبنائه لما آل إليه حال بلدنا الحبيب، ولو أنا تمسكنا بالقرآن، وحثه على ثقافة العفو والصفح: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾^(٢٤)، وبسنة رسولنا الكريم ومن اهتدى بهديه، وبهذا قال ﷺ: (المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى ها هنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)^(٢٥). ويمتهج آل بيته الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)، الذين عُرف عنهم العفو والصفح عن المسيء، والذي تميزوا به حتى مع

للتألف، والوثام، والتعاون والسلام ودين طمأنينة وأمان، وهي من الأسس الثابتة التي يتعامل بها مع غيره من العقائد، والطوائف، ومختلف الأجناس، إذاً فهو دينٌ مسيرٌ للحياة، ونظام كامل وشامل لإدارتها بأحسن وجه فهو كامل لسعادة البشر في الدنيا، وهو كامل لسعادته في الآخرة^(٢٦).

فالإسلام منظومة اجتماعية أساسها العدل الإلهي، وقوامها إفضاء خلق العفو والتسامح، ونبذ العنف المتطرف بين الناس بمختلف أجناسهم وطوائفهم والتواضع في التعامل مع الآخرين القائم على أساس التعايش السلمي، وقبول الآخر والتعامل معه بكل محبة وإخوة، وهذا لا يعني تنازلاً عن ثوابتنا الإسلامية، بل هو فلسفة راقية في التعامل مع الآخر، وصورة حية للمنظومة القرآنية وشموليتها الربانية في التعايش مع الآخر، والاحترام المتبادل مع طوائف المجتمع في إفضاء الأمن، والسلام، ومضمون ذلك في قول سيد الشهداء أبي عبد الله ﷺ قال: (من تعصب عصبه الله عصبه الله بعصاة من نار)^(٢٧)، فكانت العصبية من الفتن التي، جرت المجتمعات الى التقاتل، الطائفي والقومي اختلفت أبعادها،

فما أوجنا اليوم إلى هذا النهج الرباني في نبذ العنف المتطرف بجميع أشكاله، واستبداله بالحوار الموضوعي بما يحمله من قيم الديمقراطية، والتعددية، والتعبير بحرية الرأي، واحترام الرأي الآخر بعيداً عن التعصب، والعدوانية بمجرد الاختلاف مع الآخر؛ وإنما يكون بفسح المجال الى الحوار المفتوح، والاستماع إلى الآخر بكل هدوء وموضوعية من دون طعن، أو تجريح تجاه من يخالفنا الرأي في الدين أو الدنيا.

المبحث الثاني: ضروب التسامح في المنظور القرآني

إن المتدبر لكتاب الله العزيز يجد أنه قد اتخذ الصفح والعتو سبيلاً للتسامح، ودعوة إلى الرفق بالآخرين، والذي اتخذ أساليب متنوعة، وطرق مختلفة تتناسب مع طبيعة النفس البشرية في إشاعة قيم التسامح ونشر العدل والمحبة والمؤاخاة وفق نظرية التعايش السلمي واحترام الآخر بدلاً من ثقافة الإرهاب وما تحدثه من أعمال عنف ذات طبيعة إجرامية، والقتل العشوائي، وإلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض أخرى، وهذا مما يخلق حالة من الرعب والفوضى والاضطراب الذي

أعدائهم، وبهذا السلوك علموا الأمة كيف تحيا متألفة متحابّة كأنها الجسد الواحد، وكسبوا الاعداء قبل الأصدقاء بسيرتهم الطيبة مجسدين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٢﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦﴾ إلى واقع عملي فقد عفا أمير المؤمنين عليه السلام بعد انتصاره في معركة الجمل عن مروان بن الحكم، وعن عبد الله بن الزبير، وغيرهم فمن خرج لقتاله ونكث بيعته، وقد قال عليه السلام: (إذا ظفرت بعدوك فليكن العفو أحلى الظفرين).^(٢٧)

فالتقرآن يؤكد على تعميق مفاهيم وقيم العفو والصفح، والثبات على القيم الإنسانية، واستلهاهم روح المحبة والسلام، والمودة والوثام في التعايش السلمي بين فئات المجتمع باختلاف أجناسها، وأطيافها وفق القاعدة العلوية: الرعية صنفان فإنهم، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفححه.^(٢٨)

حَظٌّ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾.

كما يدل أن القرآن الكريم دستور المسلمين يقوم على قاعدة العدل والمساواة

يستهدف تحقيق أهداف سياسية من قبل أفراد أو جماعات نهى الشارع الحكيم عنها بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢١﴾.

وهناك دعوة أخرى لنهذ العنف كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٠﴾ والصعر عند الراغب هو ميل الى العنف وهو ما ينهى عنه الشارع الحكيم لأن المؤمنين إخوة كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢١﴾، فأساس العلاقة بين الناس تقوم على الأخوة الإيمانية والمحبة والإنسانية التي تقوم على الانسجام والعيش باستقرار وطمأنينة من الحقائق والتبصر بها والإنشداد إليها والإنسان عندما يخضع نفسه ويسيرها وفق العقل والمنطق فإنه سوف يصبح مؤمناً ﴿٢٢﴾ بتقوى الله ومخافته كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْإِنْسَانُ مَا يَلْقُنَهَا إِلَّا أَلًا دُرُّ

والتألف والتعايش واحترام الآخر من دون
 تمييز أو عنصرية أو طائفية، نهى الشارع
 عنها وتوعد فاعلها بأشد العذاب في أكثر
 من موضع قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ
 مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا
 فِيهَا وَعَظِيمٌ لِلَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةٌ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

منهم لارتدادكم عن دينكم وإيمانكم، فلا يكون كشفكم لسوء نيتهم الرد بالقسوة والعنف بل معالجة رذيلتهم بالصفح عنهم والتخلق باخلاق القرآن في الصبح عما كان منهم من جهل في ذلك، ويحذر القرآن المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعتو والاحتمال والصبر عليهم حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح^(٢٦) حتى يأتي الله بأمره؛ فيحدث لكم من أمره ما يشاء، ويقضي فيهم ما يريد .

وأشار الطبري أن الله جل ثناؤه نسخ العفو عنهم والصفح بفرض قتالهم على المؤمنين حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة أو يؤدوا الجزية عن يد صغاراً^(٢٧).

إذ إن الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام كانوا يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، وكان الرسول ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم بالقتل، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش.

عَظِيمًا^(٢٨)، ويتضح مما سبق أن القرآن الكريم يحث الناس الى ما فيه صلاحهم من الخير وحسن العاقبة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (١٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٢٩). ونهيهم عن ما فيه من الشر وسوء العاقبة وتوعدهم بمعيشة ضنكا في الدنيا والآخرة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾^(٣٠) وفي الآية الكريمة وعيد لمن يعرض عن امره فيفضل عن الحق ويكون وعيده النار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣١) وَرَأَىٰ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٢) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٣٣).

١- التجاوز عن أخطاء الآخرين

قال تعالى: ﴿وَدَكَّثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُتِنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣٤).

من اللافت للنظر أن هذه الآية الكريمة قد تكررت في أكثر من موضع أكدت فيه على تجاوز أخطاء الآخرين عما كان منهم من إساءة وخطأ في رأي أو نصيحة أشاروا عليكم في دينكم إرادة صدكم عنه، ومحاولة

روح التسامح والعفو عند المقدرة علما أن هذا لا يكون في موقف يستهين الآخر منا في ضرورة وموقف يستحق أن نترث ونصفح ونعفو ونلقي إليهم السلم إذا ما القوه الينا أولاً كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَهُمْ وَكَمْ حَصَرْتُمْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقُولُواكُمْ أَوْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسِنَهُمْ فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ لُكْمًا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿١٢٧﴾.

واستطراداً لما ذكرنا فإن القرآن الكريم يشير في سياق الآية الكريمة الى التآني في رد الإساءة بالمثل، والتحلي بالصبر وإتباع أفضل السبل في كسب الآخر وامتصاص عدوانيته فيما يخدم الإسلام والمسلمين وتحضرني بعض الشواهد التاريخية عندما دخل المسلمون الى مكة المكرمة، وكان الصحابي الجليل سعد بن عبادة يحمل إحدى رايات النصر أخذ ينادي بصوت عالٍ (اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل

الحرمة) فسمع العباس (رضي الله عنه) فأتى النبي ﷺ وأخبره بما سمع من سعد، فأمر النبي ﷺ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ أن يدرك سعداً ويأخذ الراية منه ونادي اليوم يوم المرحة اليوم تصان الحرمة^(١١) وهذا لا يعني تنازل المسلمين عن المبادئ والقيم بل هو التعامل مع الأحداث ومحدثها بروية وحكمة تعكس صورة مشرقة عن



٢- العفو والصفح عن صلة الأرحام

قال تعالى: ﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوا لَكُمْ فَأَحْدَرُوهُمْ وَإِن تَعْمُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٣).

فالقرآن الكريم يشير في هذه الآية الكريمة على صورة تربوية تشير إلى حقيقة عميقة في سلوكيات الحياة البشرية التي تمس وشائج متشابكة ودقيقة في التركيب العاطفي، والحدث في هذا الموضوع، أن الرجل كان يسلم، فإذا أراد الهجرة منعه أهله وولده، وقالوا: نتشذك الله أن تذهب وتدع أهلك وعشيرتك، وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال فمنهم من يرق لهم، ويقيم فلا يهاجر، فلما هاجر أولئك ورأوا الناس قد فقها في الدين همّوا أن يعاقبوا أهلهم الذين منعوهم. (١٤)

فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوا لَكُمْ فَأَحْدَرُوهُمْ وَإِن تَعْمُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٥)، وإفشاء خلق التسامح

بين صلة الأرحام يحمل أبعاداً بعيدة لا تنحصر في هذه الحادثة؛ بل هي أشمل من الحادث الجزئي للإنسان قد يحتمل في نفسه ما لا يطيق من زوجه، وأولاده إلا

أنه لا يحتمل أن يصيبهم مكروه، وإن آذوه أو عوقوه عن تحقيق غاية وجوده الإنساني العليا، ومن ثم اقتضت هذه الحال المعقدة والمتشابكة، تحذير الشارع الحكيم من ضغط بعض المؤثرات السلبية بين أفراد العائلة الواحدة، ومواجهتها بالمؤثرات الإيجابية في إشاعة قيم التسامح بين صلة الأرحام.

خلاصة القول أن دلالة العفو والصفح في الآية الكريمة رد الإساءة، والأذى الذي لحق بالأبناء، أو الآباء بالتسامح الذي هو ضرب من ضروب العفو وهو مصداق من مصاديقه البارزة في الابتعاد عن العنف بشتى أنواعه. فالمحور الذي تدور عليه الآية الكريمة هو محور التربية التي تشدد وسائلها إلى درجة الحدود، وترقى إلى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة التي تصل القلب بنور الله وآياته المبثوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة. (١٦)

٣- الصبر في تحمل أذى الآخرين

يُعد قانون اللين، واللاعنف هو أحد القوانين التي لها أثر مهم في تقدم المسلمين ونجاحهم في مختلف الميادين (١٧) ولا يخفى علينا أن صور العفو والصفح في القرآن

إهانةً له، وإغظةً له، فبقي الرسول ﷺ ساجداً حتى جاءت ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ﷺ، وألقت السلام عن ظهره، فقام من السجود، ولما سلم رفع يديه يدعو الله على هؤلاء الملامن من قريش⁽⁵¹⁾ فالشاهد أن الرسول ﷺ كان يؤذي أشد الأذى، لاسيما إذا أؤذي في الله، فإنه يتحمل ويصبر، ويحتسب إلى الله تعالى.

فكان الرسول ﷺ لا يضرب أحداً على شيء من حقوقه، وهو من كرمه وعضوه على الناس في حق من حقوقه: لأن له أن يعفو ويصفح عن حقه، وله أن يأخذ بحقه⁽⁵²⁾؛ ولكن إذا انتهكت محارم الله؛ فإنه ﷺ لا يرضى بذلك، ويكون أشد ما يكون أخذاً بها؛ لأنه لا يقر أحداً على ما يغضب الله سبحانه وتعالى، وهكذا ينبغي علينا أن نحصر على أخذ العفو والصفح، ونقتدي بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُفْقِرُونَ فِي الثَّرَاءِ وَالْفُرْأِ وَالْكَظِيمِينَ النَّيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁵³⁾.

فالصبر على الأذى، والعفو عن الناس إسوةً بالرسول الكرام (صلوات الله عليهم وسلامه)، وفي ذلك روي عن الرسول ﷺ

الكريم متفاوتة في دلالتها؛ إلا أنها لا تتعد كثيراً عن مفهوم التسامح، والتصبير كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصِّحٌ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ﴾⁽⁵⁴⁾.

يتضح من سياق الآية الكريمة أن دلالة الصصح هنا لتصبير الرسول ﷺ والإعراض عن سفاهة قومه فإنه إذا سمع أن الأمم السالفة كانوا يعاملون أنبياء الله بمثل هذه المعاملات الفاسدة سهل تحمل تلك السفاهات على النبي ﷺ؛ إنه تعالى لما صبره على تحمل أذى قومه، ورغبه بعد ذلك في الصصح عن سيئاتهم فقال: ﴿فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ﴾⁽⁵⁵⁾، أي أعرض عنهم، وتحمل ما تلقى منهم بالقول الجميل، والخلق الحسن، والعفو والصفح⁽⁵⁶⁾.

ومن أعظم صور العفو، ورفعها درجةً ما أصيب به رسول الله ﷺ عندما كان ذات يوم ساجداً تحت الكعبة، يصلي لله، والمسجد الحرام لو يجد الإنسان فيه قاتل أبيه ما قتله، فقال بعض السفهاء من قريش، والمعتدين منهم أذهبوا إلى جزور آل فلان فأتوا بسلا الجزور، والرسول ﷺ ساجد تحت الكعبة، فوضعوه على ظهره

المتطرف ابتداءً من الأسرة ثم المنظومة التعليمية ثم بقية مؤسسات الدولة.

٥- الإيمان بتعددية الأديان، والطوائف والقوميات، وترسيخ روح الولاء للدين والوطن.

٦- استلهام المفاهيم والقيم العليا من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأثار السلف الصالح.

٧- بناء العلاقات الاجتماعية على أساس الإخوة الإيمانية والمحبة الإنسانية بين المسلمين، وبقية الأديان وغيرهم .

٨- الإنطلاق في بناء المجتمع على أساس قاعدة العدل والمساواة والتألف والتعايش السلمي.

٩- احترام الرأي الآخر بكل شفافية وموضوعية .

١٠- التأكيد على قيم الصفح والعتو في أكثر من موضع في القرآن الكريم ما هو إلا دلالة على أهمية قيمة التسامح، وما تحمله من معاني الإخوة الإيمانية والإنسانية.

١١- تجاوز أخطاء الآخرين، وعدم ردّ الإساءة بمثلاها أو بأعنف منها.

١٢- إتباع أفضل السبل في كسب الآخر، وامتصاص عدوانيته فيما يخدم الإسلام والمسلمين.

قال: (من كظم غيظاً، وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً)^(٥١)؛ أي لا يعملون غضبهم في الناس، ويعفون عن ظلمهم كما قال: (من سرّه أن يشرق له البنيان، وترفع له الدرجات، فليعفُ عن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه)^(٥٢).

الختام

بعد أن منّ الله علينا بإتمام بحثنا الموسوم بـ(سبل تعزيز القيم الروحية في مواجهة العالم المادي (قراءة في النص القرآني)، يطيب لي أن أوجز القول في أهم النتائج التي تم بعونه تعالى الوصول إليها وهي كما يلي:-

١- التسامح هو ضرب من ضروب الصفح والعتو، وهو مصداق من مصاديقه البارزة في الابتعاد عن العنف بشتى أنواعه.

٢- صور الصفح والعتو في القرآن الكريم متفاوتة في دلالتها؛ إلا أنها لا تبتعد كثيراً عن مفهوم التسامح، وتحمل أذى الآخرين.

٣- يؤكّد القرآن على وجود التفاوت بين الناس من حيث أديانهم، وأجناسهم، وهو ما يؤكّد حتمية التسامح والتعايش السلمي.

٤- ترسيخ قيم التسامح، ونبذ العنف

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الهزمة

- (١) أسباب النزول (علي بن أحمد النيسابوري) (ت ٤٦٨)، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهي، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
(٢) إحقاق الحق (نور الله الحسيني) مكتبة النجيفي (د - ت ٩).

مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

- (٦) تفسير مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير (لشيخ محمد بن فخر الدين الرازي (٥٤٤هـ - ٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
(٧) تفسير الميزان (للسيد محمد حسين الطباطبائي)، مكتبة دار الأعلمي لمطبوعات، بيروت - لبنان.

السين

- (٨) سلوك المالك في تديير الممالك (ابن أبي الربيع أحمد بن محمد)، مطبعة جمعية المعارف العربية (١٢٨٦هـ -).
(٩) سير الأئمة الإثني عشر
(١٠) سنن الترمذي (محمد بن عيسى بنسور الترمذي) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط ١، ١٩٣٧.

الباء

- (٣) بحار الأنوار (للعامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي)، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

التاء

- (٤) تفسير القرآن العظيم (عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي) (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى السيد محمد، وآخرين، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

الشين

- (١١) شرح رياض الصالحين (لابن عيثمين) تحقيق: محمد محمد تامر، ط ١، دار التقوى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
(١٢) شرح نهج البلاغة (عز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢، دار إحياء

- (٥) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن (لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري) (ت ٣٢٤ - ٢١٠هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر،

التراث — بيروت — لبنان (١٣٨٧هـ —).

الفاء

(١٣) في رحاب الإيمان (للسيد محمد تقى المدرسي).

(١٤) في ظلال القرآن (سيد قطب) ط٧، دار إحياء التراث العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت — لبنان (٣٩١هـ — ٩٧١م).

(١٥) في ظلال نهج البلاغة (محمد جواد مغنية).

اللام

(١٦) اللاعنف في الإسلام ((للسيد محمد الحسيني الشيرازي).

(١٧) لسان العرب (للعامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري)، دار صادر، بيروت — لبنان.

الميم

(١٨) المستدرك على الصحيحين (لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكنى العلمية، بيروت — لبنان.

(١٩) المسلك الثالث في التعاطي مع

الطرح المفاهيمي للإسلام (للشيخ سعيد العكيلي) تقديم الدكتور صالح العلوي.

الهوامش

(١) سورة البينة: الآية ٥٥.

(٢) سورة النور: الآية ٥٥.

(٣) سورة البينة: الآية ٣.

(٤) سورة القصص: الآية ٧٧٦.

(٥) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٦) ينظر: لسان العرب (مادة سمح) ٣٤/٢.

(٧) ينظر: سلوك المالك في تدبير الممالك: ابن أبي

الربيع احمد بن محمد ٢٨.

(٨) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب: للرازي ٣١٢.

(٩) ينظر: تفسير الميزان، في تفسير قوله تعالى: (ولا

تصعر خدك للناس...).

(١٠) ينظر: إحقاق الحق: للحسيني نور الله ١١ —

٤٣١.

(١١) سورة الشورى: الآية ٨.

(١٢) سورة هود: الآية ١١٨ — ١١٩.

(١٣) نهج البلاغة: رسالة ص ٥٣، من كتابه للأشتر.

(١٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(١٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(١٦) سورة التفاضل: الآية ١٤.

(١٧) سورة الأعراف: الآية ١٣٤.

- (١٨) سورة الأعراف الآية ١٩٩.
- (١٩) سورة الحجر: ٨٥.
- (٢٠) سورة النور: الآية ٢٢.
- (٢١) سورة الشورى: الآية ٤٣.
- (٢٢) ينظر: المسلك الثالث في التعاطي مع الطرح المفاهيمي للإسلام: للشيخ سعيد العكيلي ٢١٩.
- (٢٣) بحار الأنوار ٧٠/٢٨٤ ب ١٢٣ ح ١٨٩.
- (٢٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.
- (٢٥) سنن الترمذي ٥٣٧.
- (٢٦) سورة فصلت: الآية: ٣٤—٣٥.
- (٢٧) ينظر: سير الأئمة الإثني عشر: ١٥٨/٢.
- (٢٨) ينظر: نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٩٠، ٥١١.
- ٥٣٤.
- (٢٩) سورة القصص: الآية ٧٧.
- (٣٠) سورة لقمان: الآية ١٨.
- (٣١) سورة الحجرات: الآية ١٠.
- (٣٢) في رحاب الإيمان: للسيد محمد تقي المدرسي ١٩٧.
- (٣٣) سورة فصلت: الآيات ٣٣—٣٤.
- (٣٤) سورة النساء: الآية ٩٣.
- (٣٥) سورة النازعات: الآيتان: ٤٠—٤١.
- (٣٦) سورة طه: الآية ١٢٤.
- (٣٧) سورة النازعات: الآيتان ٢٧—٢٨.
- (٣٨) سورة البقرة: الآية ١٠٩.
- (٣٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير : ١٧٨/١.
- (٤٠) تفسير الطبري: ٥٠٤/٢.
- (٤١) ينظر: في ضلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية ٢٥/٣.
- (٤٢) سورة النساء: الآية ٩٠.
- (٤٣) سورة التغابن: الآية ١٤.
- (٤٤) أسباب النزول للنيسابوري ٣٢٢.
- (٤٥) سورة البقرة: الآية ١٤.
- (٤٦) سيد قطب: ٣/٦٤.
- (٥٠) ينظر: اللاعن في الإسلام: للشيرازي ١٧٣.
- (٥١) سورة الحجر: الآية ٨٥.
- (٥٢) سورة الحجر: الآية ٨٥٨.
- (٥٣) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب: للرازي ٢٧/٢٣٥.
- (٥٤) ينظر: شرح رياض الصالحين: لابن عثيمين ٣٣٤٥/٢.
- (٥٥) المصدر نفسه: ٢/٢٤٦.
- (٥٦) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.
- (٥٧) جامع البيان: للطبري ٢/٢٢١.
- (٥٨) المستدرك على الصحيحين: للنيسابوري ٢/٣٢٥.

قالوا انزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري
فانزلنا من السماء ماء فاصبح نهرًا تجري





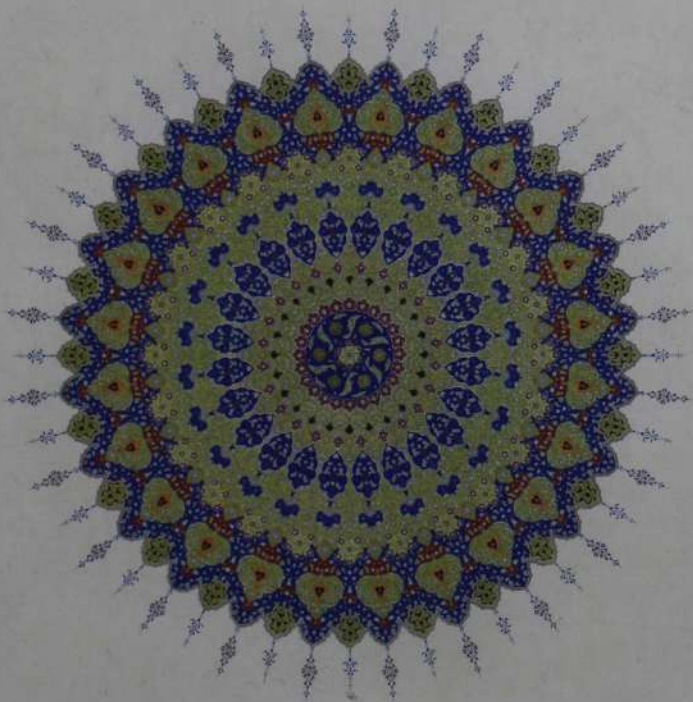
تأملات

في قصة نبي الله موسى عليه السلام

في السياق القرآني

القسم الأول

السيد محمد الشوكي



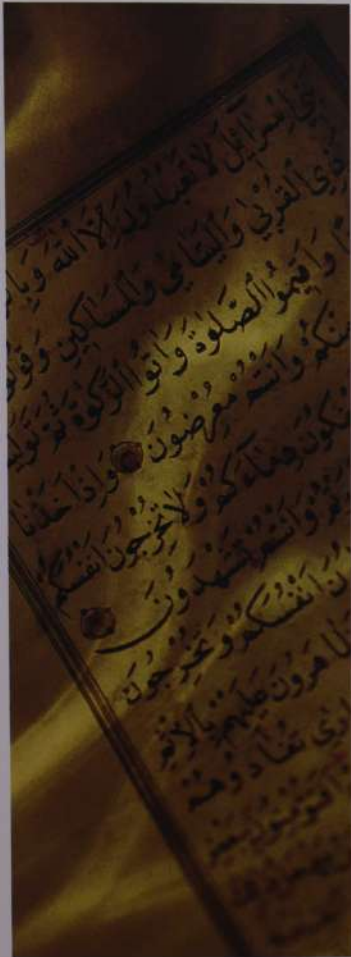
منازلته مع السحرة وانتصاره عليهم، ثم خروجه من مصر مع بني إسرائيل واتباع فرعون لهم وانشقاق البحر وغرق فرعون، ثم التيه في الصحراء وما جرى فيه، وكذلك عبادة العجل وما فعله السامري، وغير ذلك من المشاهد الأخرى كقصته مع قارون أو قصته في ذبح البقرة وكذلك ما يرتبط بها كقصه زوجة فرعون ومؤمن آل فرعون وغيرها من التفاصيل الأخرى.

ولا يخفى أن هذا التنوع في المشاهد له علاقة بواقع الرسالة الإسلامية وواقع المسلمين والظرف الموضوعي الذي يتحركون فيه. وغير خاف أن القرآن الكريم نزل نجوماً مواكباً لتطورات الرسالة، وكانت آياته تنزل بمناسبات موضوعية يعيשהا المسلمون. والملاحظ أن عرض القرآن الكريم لتفاصيل قصة موسى ﷺ جاء ليتناسب مع واقع المسلمين المتغير. وأحاول أن أشير إلى مثال واحد في المقام وهو: إن من يلاحظ السور المكية والمدنية التي تناولت قصة موسى ﷺ سوف يرى أن أغلب السور المكية تحدثت عن موسى وفرعون بينما ركزت السور المدنية على قصة موسى مع قومه وعن بني إسرائيل

قصة نبي الله موسى ﷺ من القصص التي ذكرها القرآن الكريم كثيراً، فهي من أكثر القصص انتشاراً في سور الكتاب العزيز، وربما تناولت السور القرآنية قصة موسى أكثر من القصص الأخرى، وجاء اسمه في القرآن الكريم أكثر من الأسماء الأخرى.

وكثرة عرض القرآن لقصة موسى ﷺ ليس اعتباطاً وإنما لكثرة العبر والدروس الواردة في قصصه ﷺ.

ومن مميزات قصة موسى ﷺ تنوع مشاهدتها، فهناك تنوع كبير في مشاهد هذه القصة الكريمة، من أوضاع بني إسرائيل قبل مجيء موسى ﷺ، إلى ولادته وأحداثها المثيرة وإلقائه في اليم والتقاط آل فرعون له وما جرى له معهم، إلى قضائه على القبطي في النزاع بينه وبين الإسرائيلي والذي كان سبباً في خروج موسى من مصر خائفاً يترقب، إلى هجرته إلى مدين ولقائه بالبنيتين ثم لقاءه بأبيهما شعيب ﷺ، إلى زواجه وعمله في رعي الغنم في مدين، إلى هجرته ثانياً إلى مصر وما جرى في الطريق من تكليم الله له وبعثه بالرسالة، ثم مواجهته في مصر فرعون والملا، وبعدها



وأهل الكتاب. وذلك يرجع والله العالم إلى أن الصراع في مكة كان بين المسلمين وبين طواغيت قريش، حيث كان المسلمون يمثلون أقلية مستضعفة يسومهم طواغيت قريش سوء العذاب كما كان بنو إسرائيل أقلية في المجتمع المصري ومستضعفين من قبل طواغيتهم، وكان النبي ﷺ يواجه الاستكبار والطغيان القرشي كما كان موسى ﷺ يواجه الطغيان الفرعوني، وبالتالي فإن قصة موسى مع فرعون وقصة بني إسرائيل مع فرعون تشبه الواقع الذي كان يعيشه المسلمون في مكة مما يجعلها أكثر ملامسة لواقعهم وأكثر عطاء وعبارة لهم. بينما في المدينة خرج المسلمون من الضغط والقمع القرشي كما خرج الإسرائيليون من القمع الفرعوني وأصبحوا يعيشون بحرية، وكان الصراع من جهة مع اليهود القاطنين قرب المدينة فاستدعى ذكر قصصهم وأساليبهم وطبيعتهم حتى يعرف المؤمنون كيف يتعاملون معهم، ومن جهة ثانية ترى أن النبي ﷺ أسس مجتمعاً مؤمناً وأراد أن يسرد لهم قصة المجتمع الإسرائيلي مع موسى حتى يتجنبوا نقاط الضعف فيه. وملاحظة أخرى لا بد من الإشارة إليها

من زوجة العزيز التي راودته عن نفسه فاستعصم فأدى ذلك إلى أن يؤمر به إلى السجن، فعاش زمناً في السجن، ثم قدر له أن يخرج من السجن معزاً مكرماً مرفوع الرأس حيث كشفت كل الأوراق وبرأه الله تعالى مما رموه به.

ولما خرج من السجن تبوأ منصباً إقتصادياً رفيعاً في مصر، ثم كان أن البداية التي كان يسكنها أهله قد أفضت فجاء إخوته ببضاعتهم لبييعوها في مصر، فالتقوا بيوسف ﷺ وجرى ما جرى مما ذكره القرآن الكريم من قصتهم حتى جاؤوا جميعاً وسكنوا في مصر.

عاش بنو إسرائيل في مصر زماناً طويلاً ربما يقرب من القرنين، وتناسلوا عبر السنين⁽¹⁾، وعاشوا آمنين مطمئنين، وأصبحوا من الأثرياء واشتغلوا بصياغة الذهب والفضة، وكانت علاقتهم مع الحكومات جيدة، لأنه في زمن بني إسرائيل كان الرعاة الهكسوس هم المسيطرون على مصر كما يرى الكثير من المؤرخين، وهم وافدون على مصر كما هم بنو إسرائيل مما جعل العلاقة معهم وطيدة متينة. ولكن بعد أن انتصر المصريون على

قبل الولوج إلى تفاصيل القصة، وهي أن قصة موسى ﷺ تتميز ببعد ربما لا يوجد في القصص الأخرى، فإن الأنبياء الآخرين الذين حدثنا القرآن الكريم عنهم بعثوا إلى أقوام ضالين ليهدهم إلى الطريق الصحيح، بينما بعث موسى ﷺ فضلاً عن إنقاذ قوم مستضعفين من قبضة متجبر ظالم. وهذه خصوصية لا توجد في غير قصة موسى ﷺ، وبالتالي فإنها من هذه الناحية تحمل دروساً وعبراً أكثر من غيرها من القصص وسنبشير إلى ذلك في محله.

تاريخ الوجود الإسرائيلي في مصر

نجد لزماً علينا قبل أن نخوض في تفاصيل قصة موسى ﷺ أن نشير باختصار إلى تاريخ وجود بني إسرائيل في مصر، حيث إن أغلب أحداث القصة جرت في مصر. وتاريخ بني إسرائيل / وهم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم / يرجع إلى قصة يوسف ﷺ عندما ألقاه إخوته في الجب وجاءت سيارة فعثروا عليه وأخذوه إلى مصر وباعوه في أسواقها بثمن بخس دراهم معدودة. وقد كان القدر أن الذي اشتراه من مصر هو عزيز مصر، فعاش في بيته معزاً مكرماً، ثم كان ما كان

وقيصر عند الروم، وإن كان البعض منهم يخالف في ذلك ويرى أن الآثار والكتابات المصرية لم تكن تعرف ذلك كلقب لحكام مصر، ولم يطلق على كبار ملوكهم اسم الفرعون.

وأياً كان الأمر، فإن شخصية فرعون هذا شخصية إستبدادية إستكبارية متعالية، وقد وصفه القرآن الكريم في غير موضع من الكتاب بذلك، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْنَا بِنِيَّ إِسْرَائِيلَ مِنْ الْغَدَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الدخان: ٣٠ - ٣١). ويقول أيضاً: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (يونس: ٨٢). فقد كان مسرفاً في علوه وإستكباره، حتى قال متبجهاً أمام قومه تلك الكلمة الجبروتية: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾﴾.

وهذا العلو والإستكبار انسحب على الملأ من قومه والمحيطين به كما يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿١٦﴾﴾ (المؤمنون: ٤٥ - ٤٦). ولا ريب فإن

الحاكم إذا كان متجبراً عاتياً فإن قومه وملاؤه والمحيطين به سوف يكونون على شاكلته، بخلاف ما لو كان مؤمناً صالحاً متواضعاً فإن ذلك سوف يؤثر في المحيطين به.

الهكسوس واستعادوا السلطة منهم على يد أحمرس ساءت أحوال الإسرائيليين لأن الشعب المصري راح ينظر إليهم أنهم كانوا متعاونين مع الهكسوس المحتلين، وراحت الحكومات تضطهدهم بألوان شتى.

ولم يذكر التاريخ أسباباً محددة لعداء السلطة الحاكمة مع بني إسرائيل، فربما ذلك ناشئ من علاقة المواطنين بالوافدين وهي علاقة لا تتسم بالود في أغلب الأحوال، وربما نلمس في القرآن تلميحاً إلى ذلك، حيث نرى أن الملأ من قوم فرعون يحاولون أن يعزفوا على هذا الوتر، ويستغلوا هذه النقطة في تأجيج الشارع ضد بني إسرائيل، يقول تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا أَنْتُمْ فَآمُرُونَ قَوْلَهُمْ/يُخْرِجُكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ/فَهِيَ أَرْضُكُمْ لَا أَرْضَهُ وَلَا أَرْضَ قَوْمِهِ. وربما يرجع ذلك إلى تعاونهم مع المحتلين الهكسوس، أو غير ذلك من الأسباب الأخرى.

شخصية الطاغية فرعون

يظهر من كثير من الباحثين أن كلمة /فرعون/ ليست اسم علم لشخص وإنما هو لقب حكومي، ككسرى عند الفرس،

صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب، وإنما إنجيتكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران عليه السلام، غلام طويل جعد آدم، فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى .. فبلغ فرعون أنهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام، وقال له كهنته وسحرته إن هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد من بني إسرائيل هذا العام، فوضع القوابل على النساء وقال: لا يولد غلام هذا العام إلا ذبح، ووضع على أم موسى قابلة، فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيى النساء هلكننا فلم نبقي، فتعالوا لا تقرب النساء، فقال عمران أبو موسى عليه السلام: بل باشروهن فإن أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللهم من حرّمه فإني لا أحرمه، ومن تركه فإني لا أتركه). (كمال الدين: ١٤٨).

وكذلك يروون أن فرعون رأى رؤيا أفزعته حيث رأى أن ناراً تأتي من بيت المقدس وتحرق بيوت الأقباط فما من بيت

هذا العلو والعتو الفرعوني انصب على بني إسرائيل فاستضعفهم استضعافاً كبيراً، فكان يحرمهم من فرص العمل الجيدة، وكان يستخدمهم في الأعمال الشاقة، وغير ذلك من الأمور الأخرى التي أشار إليها المؤرخون. لكن القرآن الكريم يشير إلى ممارسة واحدة وخطيرة وهي ممارسة الاستئصال بوصفها أهم تلك الجرائم، لأن الاستئصال والإبادة الجماعية هي أهم وأخطر جريمة يمكن أن تحدث في مجتمع ما. فكان فرعون كما يحدثنا القرآن الكريم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم، أي يستبقي نساءهم أحياء.

ويروي المؤرخون والمفسرون أن يوسف عليه السلام جمع بني إسرائيل عند موته وأخبرهم بأن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم وسيذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وأن خلاصكم على يدي رجل اسمه موسى بن عمران، فكانوا يسمون أبناءهم بعمران، وإذا ولد له ولد سماه موسى رجاء أن يكون ذلك، فلفظ ذلك فرعون وتناهت إلى سمعه تلك الأخبار. روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن محمد الحلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن يوسف بن يعقوب

تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَالْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا
 أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ، وَمَا
 كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾. (غافر: ٢٥).
 وهكذا في الأعراف: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ
 أَنْزِدْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، وَبَدَّرَكَ وَءَاهَتَكَ
 قَالَ سَنْقِيلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ
 قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧).

نعم في سورة القصص يظهر من السياق أنه كان يفعل ذلك قبل مجيء موسى ﷺ، حيث ذكر ذبح الأبناء قبل أن يتحدث عن ولادة موسى ﷺ، وهذا يشكل قرينة سياقية على ذلك، وكذلك القرينة الثانية هي إلقاء موسى في الماء فإن ذلك كان بداعي الخوف عليه من ذبح فرعون ولا داعي آخر متصور غيره، فضلاً عن الروايات التي تحدثت عن أنه كان يمارس هذا العمل الشنيع قبل ولادة موسى ﷺ، وربما كان يفعل ذلك قبل موسى لكي لا يولد المخلص الإسرائيلي، وفعل ذلك بعد مجيء موسى ﷺ حتى ينقص قوتهم أو يخضعهم أكثر. وربما يشير بنو إسرائيل إلى هذا بقولهم ﴿ قَالُوا أَوْدِيَانِمْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾. (الأعراف: ١٢٩).

من بيوتهم إلا وأحرقته ولم تمس بيوت بني إسرائيل بسوء. وفسرها له الكهنة بأن مولوداً سيولد في بني إسرائيل يكون دمار ملكه على يديه^(١٧). فراح كما يقولون يستأصلهم عاماً فعاماً، فعام يذبح الأولاد الذكور وعاماً يستبقيهم، ولهذا قالوا إن هارون أبا موسى ﷺ ولد في العام الذي كان يعفو فيه فرعون عن المواليد. وقد وكل بالنساء الحوامل نساء جوايسس يخبرنه بالمولود الذي يولد من نساء بني إسرائيل فإن كان ذكراً ذبحه وإن كان بنتاً استبقاها. والآية الكريمة استخدمت الفعل يذبح بالتشديد للدلالة على الكثرة والقسوة. ويبقى هناك سؤال لا بد من الإجابة عليه، وهو هل أن فرعون كان يفعل ذلك قبل مجيء موسى ومقارنته له، أم أن ذلك حدث بعد أن جاء موسى متحدياً له، فرأى أن يفعل ذلك لكي يحرمه من القاعدة الشعبية التي يمكن أن يتكأ عليها.

بعض الآيات القرآنية أطلقت ذلك الفعل من هذه الجهة ولم تتحدث عن زمان ذلك، ولكن آيات أخرى يظهر منها أن هذا الفعل الإجرامي صدر من فرعون بعد مجيء موسى إليه وتحديه له، يقول

أم موسى مع وليدها

ذكر المؤرخون أن فرعون كان يضع القوابل من القبطيات رقيبات على نساء بني إسرائيل الحوامل، فلما حملت أم موسى به وضع عليها قابلة من الأقباط. جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «فوضع على أم موسى قابلة تحرسها، فإذا قامت قامت، وإذا قعدت قعدت، فلما حملته أمه وقعت عليها المحبة، وكذلك حجج الله في خلقه، فقالت لها القابلة: مالك يا بنية تصفرين وتذوبين؟ قالت: لا تلوميني فإني إذا ولدت أخذ ولدي فذبح! قالت: لا تحزني فإني سوف أكرمك عليك، فلم تصدقها، فلما أن ولدت التفتت إليها وهي مقبلة فقالت: ما شاء الله، فقالت لها: ألم أقل إنني سوف أكرمك عليك، ثم حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثم خرجت إلى الحرس فقالت انصرفوا فإنما خرج دم منقطع فانصرفوا). (كمال الدين: ١٤٨).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إن موسى لما حملت به أمه لم يظهر حملها إلا عند وضعه، وكان فرعون وكل نساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظنهن، وذلك لما بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون إنه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران

يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده. فقال فرعون عند ذلك لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون.. فلما وضعت أم موسى بموسى عليه السلام نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت وقالت: يقتل الساعة، فعطف الله بقلب الموكلة بها عليه فقالت لأم موسى: مالك قد اصفر لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي فقالت: لا تخافي! وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه». (تفسير القمي: ٢/١٣٥).

لقد كان الخوف يخالط قلب هذه الأم المبتلاة، لأنها لا تستطيع أن تكتم خبر ولادته إلى الأبد، فربما عثر عليه المفتشون الذين كانوا يفتشون بيوت بني إسرائيل كما يقول المؤرخون، وربما يشي به بعض الجيران المرتزقة والجواسيس، وربما يخبرهم به بعض ضعاف النفوس من المحيطين بها من أجل المكافأة.. فكان الخوف يعتمل في نفسها. هنا أوحى الله لها ﴿وَأَرْحَبْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا حَضَّتْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ فِي الْبَيْتِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَآدُوهُ وَإِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. (القصص: ٧). أي اتركيه عندك وأرضعيه كما ترضع كل أم وليدها حتى تحسي بالخطر عليه فعند ذلك ألقىه في اليم.

الإمام الباقر عليه السلام التي رواها القمي، فإن فيها: (ونوديت أمه ضعيه في التابوت فألقيه في اليم ...) (١).

على كل حال فإن ما كانت تخشى منه أم موسى قد حدث، فقد أحست بالخطر عليه ولهذا قامت بما أمرت به فأرضعته ثم وضعته في التابوت ليلاً وجاءت به إلى البحر، والله يعلم اللحظات التي كانت تعيشها في تلك الحال وكم كانت عسيرة عليها؟ كيف تريد أن ترمي وليدها في الماء وهو طفل صغير، وربما ضربت الأمواج التابوت فكسرتة، وربما تسرب الماء إليه فغرق في الماء، وربما وربما إلى غير ذلك من الإحتمالات التي كنا نحتملها وتخطر ببالنا لو كنا مكانها. نعم لا يمكن لأُم أن تفعل ذلك، بل أن تفكر في ذلك، فلا أدري كيف طأوعتها يداها إلى أن تقدفه في اليم، ولكن أم موسى كانت على يقين من ربها، وحصلت على تطمينات إلهية مباشرة، والله تعالى ربط على قلبها، وثبت وجيب فؤادها، فهي تعلم أن الله أرحم بولدها منها، وأن ولدها الذي تركته وحيداً في الماء له راع يرعاه ويرعى جميع الخلق.

وأخذت الأمواج تتدافع وتدفع معها

وقال المفسرون أن الوحي هنا وحي إلهام لا وحي إعلام، ولكن لا دليل على ذلك بل الظاهر من الآية الشريفة أن ذلك كان وحيًا كلامياً، فإن فيه تفاصيل لا بد أن تكون كلامياً: (أن أرضعيه) ، (فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) ، (ولا تخافي ولا تحزني) ، (إنا رادوه إليك) ، (وجاعلوه من المرسلين) ، وهذه الأوامر والنواهي والبشائر هي أنسب بالوحي الكلامي من الوحي الإلهامي. ثم إن الموقف يقتضي ذلك فإن إلقاء الأم وليدها في البحر مخاطرة كبيرة لا تستطيع كل أم أن تفعلها، فلا بد من تطمينات كثيرة، ولا بد أنها شاهدت آيات مطمئنة ومعجزات، وما المشكلة أن ينزل عليها جبرئيل أو غيره من الملائكة ويتكلم معها ويطمئنها كما نزل على مريم عليها السلام؟ نعم نحن لا توجد لدينا امرأة نبية، ولكن هل كل من ينزل عليه الوحي فهو نبي؟ كلا، النبي هو من ينزل عليه الوحي بالرسالة والنبوة، والا فالله تعالى أوحى لمريم من خلال رسوله جبرئيل، وكان جبرئيل ينزل على فاطمة ويحدثها كما في الأخبار. ويؤيده بعض الأخبار التي عبرت عن الوحي بالنداء وأنها نوديت بما ذكره الله في كتابه، كالرواية عن

وله الموج رؤوماً حديبا
فأق من يحذب أمأ وأبا
كل نهر ليس يطغى عبثا
إن أمر الله كان السببا
يأمر البحر فيغدو هائجاً
وله الطوفان طوعاً مانجا
أين تمضين دعيه فله

خير رب يرتضيه لا هجا
وفي هذا المقطع من القصة مجموعة
عبر ومواقف: منها المعاناة التي عاناها
الأنبياء عليهم السلام وأهلهم في سبيل الحق والهدى
وصلاح العباد، فعلى أتباع الأنبياء أن
يعرفوا أن هذا الدين الذي هم عليه لم يقم
ببسرور وخاء، وإنما هو نتيجة معاناة الأنبياء
وأهلهم وأتباعهم فلا بد أن يحافظوا عليه
وأن لا يضيعوه. ومنها الظلم الكبير الذي
كان يمارسه الطواغيت وما زالوا بحيث
تضطر أم أن تلقي وليدها في النهر خشية
من بطشهم الذي لا يعرف صغيراً ولا
كبيراً. ومن الدروس ثقة الإنسان بوعد الله
تعالى حيث كانت أم موسى على ثقة عالية
بالله تعالى بحيث أقت وليدها في البحر
ثقة به وبوعده.

ويوجد ثمة حديث جميل عن الإمام

التابوت، وراح ولدها يمضي بعيداً عنها في
غلس الليل، فقامت ورجعت إلى بيتها، ولا
أدري كيف كانت تنقل قدميها، وكيف أنها
لم تبق ملازمة للنهر.

وقد نظمت الشاعرة الإيرانية بروين
اعتصامي هذا المشهد في أبيات جميلة تقول
فيها:

أم موسى حين أقت طفلاها
للذي رب السما أوحى لها
نظرت للنيل يمضي مسرعاً
أه لو تعرف حقاً حالها
ودوي الموج فيه صاحب
وفتاها شاغل بلبالها
وتتاغيه بصمتٍ ولدي
كيف يمضي بك هذا الزورق
دون ربانٍ وإن ينسك من
هو ذو لطف فمن ذا يشفق

فأتاها الوحي مهلاً ودعي
باطل الفكر ووهماً يزهدق
إن موسى قد مضى للمنزل
فاتق الله ولا تستعجلي
قد تلقينا الذي ألقيته

بيد ترعى الفتى لا تجهلي
وخرير الماء أضحي مهده
في اهتزاز مؤنسٍ إن تسألني

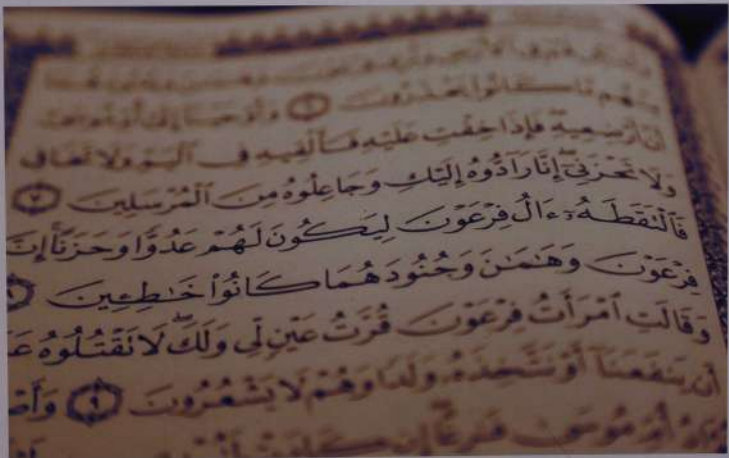
لن يضيعك. كن مع الله تعالى يكون الله معك، فمن كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه فلن يخاف شيئاً.

موسى ﷺ في بيت فرعون

﴿فَالْقِطْعَةُ ۗ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أَمْرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ
لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ ﴿٩﴾﴾ . (القصص: ٨-٩).

تركت أم موسى وليدها بين يدي الأمواج التي راحت تتقاذفه بعيداً عن عينها، وراح

الجواد ﷺ يقول فيه: (كيف يضيع من الله كافلة، وكيف ينجو من الله طالبه). الذي يتكفله الله تعالى كيف يمكن أن يضيع حتى ولو اجتمع الخلق على تضييعه، فيوسف ألقاه إخوته وهو صغير في غيابة الجب، لكن لاحظ العناية الإلهية إلى أين أوصلته؟ وإبراهيم ﷺ ترك إسماعيل وأمه في تلك الصحراء القاحلة بلا زاد وبلا ماء لكن انظر كيف رعاهم الله بعنايته؟ وموسى ألقته أمه في البحر لكن انظر العناية الإلهية كيف حفظته؟ فالمطلوب منك أن تثق بالله تعالى وأن تتوكل عليه ثم لا تبالي فإن الله



فكانت كذلك. وكذلك الماء طوع أمره فلقه لموسى ﷺ فكان كل فرق كالطود العظيم، وهنا سخر الله الماء والأمواج لموسى ﷺ فحتمته بسلام إلى مقصد حدده الله له، وإلا لماذا لم يجده أحد الصيادين أو بعض الناس الذين كانوا على ضفاف النهر؟ ولكن مشيئة الله تعالى كانت أن يوصله إلى يد عدوه فرعون الذي ألقاه في اليم خوفاً منه، وإذا به يأتي إليه.

وكان لفرعون قصر على ضفاف النيل يصطاف فيه مع زوجته وخدمه، فالتقطه حاشيته وجاؤوا بالتابوت إليه، فلما فتحوه دهشوا، ولد رضيع في تابوت في الماء، فعلموا بحسب الظاهر أنه من بني إسرائيل وأنه ألقى في التابوت لعله يمضي بعيداً عن عين السلطات في الأطراف ويأخذه بعض الناس ويربونه دون علم فرعون وأجهزته الأمنية، وملامحه أيضاً تدل عليه، فقرروا أن يقتلوه، ولكن الله تعالى عطف عليه قلب أسية بنت مزاحم زوجة فرعون التي ستؤمن به فيما بعد وسيقتلها فرعون على ذلك. وكما قلنا أن الله تعالى ألقى محبته في النفوس، ثم إن أسية امرأة والمرأة قلبها أرفأ والطف فلم تستطع أن ترى هؤلاء

التابوت يسري في اليم وتتدافعه الأمواج إلى أن ألقته في الساحل قرب بيت فرعون. والحقيقة أن الله تعالى هو الذي فعل ذلك وأمر الأمواج بأن تنقله بسلام وأن تلقي به قريباً من قصر فرعون، فإن الأمواج خلق من خلق الله تعالى مطيع لأمره، والكون كله طوع إرادة الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. نحن عندما نريد شيئاً نهين الوسائل والمعدات والأسباب ونبذل الجهود ثم قد يكون ما نريد وقد لا يكون، ولكن الله تعالى إذا أراد شيئاً كان بمجرد مشيئته وإرادته. والكون كله تحت سلطان الله تعالى يعمل بأمره، فالله تعالى لما خلق السماء والأرض قال لها وللأرض أتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فالأرض طوع إرادته تعالى: ﴿رَقِيبًا عَلَى الْأَرْضِ وَابِلَى مَاءٍ كَرِيمًا وَسَخْسَاءً أَلْيَىٰ وَغَيْصَ أَلْمَاءِ وَوَضِيَ الْآمُرُ وَأَسْرَوْتَ عَلَى الْجُرُودِ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. (هود: ٤٤). والهواء والرياح طوع إرادته ولهذا سخرها الله تعالى لسليمان تحمله أين ما شاء بلا ماكنات ولا توريينات ولا وقود ﴿مَحْرَجًا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾. (ص: ٣٦). والنار طوع أمره ولهذا قال لها: ﴿مَحْرَجًا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾. (الأنبياء: ٦٩).

يقتلون طفلاً رضيعاً، ثم إنها امرأة طيبة القلب نقية السريرة كما يدل عليه إيمانها بعد ذلك بموسى وتحملها الموت من أجله، وهذا ليس شيئاً عرضياً بل كانت لها من السابق أرضية ملائمة للإيمان.

ثم إن الذي يظهر من قولها: ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَالْكَافِرُ لَأَنفُسُهُمْ عَنِّي أَنْ نَبْعَثَ أَوْ نَخَذَهُ وَلَدًا﴾ أنهم لا ولد لهما ذكراً، أو لا أقل أنها هي لا ولد لها من فرعون لأن بعض المؤرخين يرى أن فرعون كان له أولاد آخرون فيمكن أن يكونوا من غيرها أو من الجوارى التي يتسرى بهن. ولا يوجد لدينا نص قطعي في هذا الإتجاه إلا أن العبارة القرآنية توحي بذلك، وتؤيده بعض الأخبار. فاستغلت آسية هذا الأمر وقالت لفرعون نحن بحاجة إلى ولد يسعدنا ويملاً علينا حياتنا، وقد جاء الولد إلينا بنفسه، فاتركه قرة عين لي ولك، وسوف يتربى عندنا وفي بيتنا وسوف لن يعرف أهله وأصله، وما زالت به تلين قلبه وترققه عليه حتى وافق فرعون على ذلك.

وفي هذا المقطع من القصة تأملات كثيرة من أهمها التخطيط الإلهي الدقيق والعظيم، والقدرة الإلهية اللامتناهية، فإن أم موسى إنما خافت من فرعون فألقته في اليم، وإذا به يصل إلى فرعون؟! وفرعون

كان يخطط لقتل من سيدمر ملكه، وإذا به يتكفله ويربيه؟!، فالله تعالى إذا أراد شيئاً كان، ولا يمكن لكل قوى العالم أن تقف في وجهه أو أن تغير مساره، مهما خطّطت ورسمت ومكرت وكادت فلن تستطيع أن تغير إرادة الله تعالى ومشيتته. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلَّغَ أَمْرَهُ فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾. (الطلاق: ٣). ويقول في سورة يوسف: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١). فالله تعالى لا يمكن أن يغلبه أحد لا طواغيت العصور، ولا أجهزة المخابرات، ولا مراكز الدراسات الاستراتيجية، إذا أراد شيئاً وخطط له سوف يكون هذا الشيء لا محالة. وهذا يعطينا ثقة كبيرة في مواجهة أعدائنا، فصحيح أن أعداءنا يخططون ويمكرون ويرسمون الاستراتيجيات ويدبرون المؤامرات، لكن كما قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾. واللطف أن الله تعالى يمكر بهم بنفس خططهم التي يرسمونها، فإذا بها تنقلب عليهم وتسير باتجاه معاكس لما خططوا.

موسى يعود لأحضان أمه

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا ۖ إِنَّ كَادَتْ لَسُبِّدَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَتَّلْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لَاسْكُوتَ مِنْهُ الْمُرْتَدُونَ﴾ (١١) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢) ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ﴾

المرضع فيأبي، فوصل الخبر إلى أم موسى أن آل فرعون التقطوا وليدها وأنهم عفاوا عنه وتبنوه، عند ذلك أصبح فؤادها فارغاً من الهموم بعد أن كان مليئاً بها، واطمأنت نفسها، وطلبت من بنتها أن تقتص أثره ولكن بطريقة لا تجعلهم يشعرون بها.

المهم وأياً كان جاءت أخته إلى مقربة من قصر فرعون، وكان الكثير من الإسرائيليات يعملن كخدم في بيوت المصريين، فليس شيئاً غريباً أن ترى إسرائيلية في قصر فرعون. وقيل إنه كان يصطاف على النيل كما ذكرنا فجاءت تتمشى على الساحل فلمحته عن بعد فعرفته. وكانوا قد طلبوا له المرضعات فلم يقبل أن يرتضع من أي واحدة منهن، وذلك جزء من التخطيط الإلهي الذي أشرنا إليه، فإن الله تعالى صرفه عن الرضاع من جميع المرضعات اللاتي تقدمن لرضاعه حتى يرده إلى أمه التي وعدها بذلك ﴿إِنَّا رَأَوُوكَ وَإِلَيْكَ وَمَجَالُوكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. وقد علمت أخته ذلك، فقالت لهم أنا أستطيع أن أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ويرعونه حق رعايته، فقبلوا بذلك، فجاءت يأمها إليه، وبمجرد أن أعطته ثديها أقبل عليها. وهكذا رد إليها وليدها معزراً مكرماً بعدما رمته في البحر مشرداً.

ولنا أن نسأل: هل بقي موسى ﷺ في

مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٣﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَنَلَّمْنَا نَافِثًا لِّقَوْلِهِ لِيَأْتِيَكِ بِوَلَدٍ لِّكَ وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْمُكْرَمَاتِ ﴿١٤﴾ (القصص: ١٠-١٣).

لقد وصل موسى ﷺ طبقاً للإرادة والتخطيط الإلهي إلى آل فرعون فالتقطوه ليربوه في بيتهم ولدأ لهم، وأما أم موسى فإنها بعد أن أقت وليدها في البحر أصبحت وفؤادها فارغ، وفي ذلك رأيان للمفسرين:

الأول: أي أصبح فارغاً من الصبر والإستقرار والطمأنينة، وفارغاً من كل شيء إلا من موسى ﷺ، فكانت قلقة متوجسة، وقد أوشكت أن تبدي به وتصرح به لولا أن ثبتها الله. ونتيجة لقلقها واضطرابها طلبت من أخته أن لا تبقى هكذا جالسة وأن تقتص أثره وأن تمضي مع الشاطئ لعلها ترى من أخذه وأين وصل ولكن من دون أن يشعر بها أحد.

والثاني: أن معنى أصبح فارغاً أي فارغاً من الهم والحزن، لأن الآية هذه جاءت بعد الآيات التي قصت التقاط آل فرعون وقبولهم به. فإنه بعد أن التقط آل فرعون موسى ﷺ وتبنوه ذاع الخبر في الناس، وخبر مثل هذا ينتشر بسرعة لغرابته، فإن طفلاً جاء به الأمواج في تابوت إلى قصر الملك ليس أمراً عادياً، ثم أنهم راحوا يطلبون له



وذلك لقول فرعون له: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ تَتَّوَلَّيْتُمْ لِي وَارْتَدَّ بِكُمْ آلُكُمْ مُطْرِقِينَ﴾ (الشعراء: ١٨).
 فنشأ موسى ﷺ في بيت فرعون ولكنه لم يتلوث بالوثنية والشرك بالله تعالى والطاغوتية وجميع الأجواء السلبية التي كانت في قصر فرعون، فإن البيئة صحيح أنها تؤثر على الإنسان ولكن ليس تأثيرها تأثيراً حتمياً، بل هناك الكثير من الناس تربوا في أجواء سيئة ولكنهم خرجوا أناساً صالحين، ولو أردنا أن نسردهم الشواهد الكثيرة على ذلك لطلال بنا الأمر. فموسى عاش محسناً في علاقته بربه وفي علاقته بالناس، ولهذا اجتباه الله وأتاه حكماً

القصر وكانت أمه تأتي إليه لترضعه، أم أنها أخذته معها وكانت تأتي به إلى القصر لتراه امرأة فرعون؟ لا يوجد ما يدل على أي من الإحتمالين، لكننا نؤيد الإحتمال الثاني ونستوحي ذلك من قول أخته (أهل بيت يكفلونه) ولم تقل مرضعة ترضعه، مما يدل على أنهم أخذوا موسى عندهم وتكفلوا به.

وثمة سؤال آخر أيضاً مفاده: هل بقي موسى ﷺ عند أمه في بني إسرائيل أم أنه جاء ليعيش في قصر فرعون بعد إتمامه مدة الرضاعة؟ الذي يظهر من كتاب الله أيضاً أنه رجع إلى قصر فرعون وتربى فيه،

آيكماء ﴿١﴾. فعلياً أن نؤمن بوعد الله تعالى ونتيقن به، ولا يتطرق الشك إلى قلوبنا بوعد الله تعالى، خصوصاً الذين يصدقون مع ربهم فإنه يصدق معهم.

الهوامش

(١) هناك اختلاف بين المؤرخين في أعداد بني إسرائيل في تلك البرهة، وهناك مغالاة من قبل بعض المؤرخين في أعدادهم. وتلك المغالاة مسربة من كتب اليهود أنفسهم، حيث يرون أنهم كانوا مئات الألوف، واليعقوبي وغيره من المؤرخين يرى أنهم ستمائة ألف رجل غير الأطفال والشيوخ والنساء ونقل ذلك عن التوراة، لكنه بعيد بحسب الظاهر، لأن موسى عليه السلام من أبناء الجيل الرابع بعد الأسباط، فمن غير المعقول أنهم تكاثروا بهذه السرعة وصاروا مئات الألوف، فالمرجح أنهم بقوا في مصر قرابة القرنين، وأن عددهم جمعياً (الأسباط مع أبناءهم) كان قرابة السبعين لما دخلوها. ومن غير المعقول أن يصبح الخمسون أو السبعون ستمائة ألف خلال قرنين، خصوصاً مع سياسة فرعون التي كانت تهدف إلى القضاء عليهم وانقاص أعدادهم. وربما يدل على ما نقول أن فرعون قال لما استنفر الناس ضدهم: ﴿إِنَّكَ أَتَاهُ لَا يُخَلِّفُ آيَكُمْ﴾.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٢٠٦/١.

(٣) تفسير القمي: ١٣٥/٢.

وعلماً لأنه كان من المحسنين. ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آيَاتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. (القصص: ١٤). فلأنه كان من المحسنين فيما سبق من حياته كافأه الله تعالى فوهبه علماً وحكماً.

واختلف في هذه العبارة فقال قوم إنها إشارة إلى النبوة، وقال قوم إنه لم يكن نبياً في مصر وإنما بعث نبياً بعد رجوعه من مدين في طريقه إلى مصر، وإنما الحكم والعلم هو مقدمة النبوة، فالله تعالى وهبه العلم والبصيرة والقدرة على الحكم الصحيح على الأشياء والأشخاص، أو الحكم بين الأشخاص.

وفي هذا المقطع مجموعة دروس من أهمها صدق الوعد الإلهي، فإن الله تعالى وعد أمه بأنه سوف يرده عليها سالماً معافى ﴿وَلَا تَحْزَانِي وَلَا تَحْزَنْ إِنِّي آدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُهُ مِنِّي الْمُرْسَلِينَ﴾. فنفذ الله ما وعد به ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْكَ أُبَيْدًا كَمَا فَخَرَّعْنَاهَا وَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَعْلَمِينَ أَنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فالله تعالى رده عليها حتى تقر عينها ولا تحزن رحمة بها وتسلية للوعة قلبها ومعاناتها في سبيله، ولكي تعلم أن وعد الله حق، وأن الله تعالى إذا أعطى وعداً فإنه سوف ينجزه بلا ريب. يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ أَتَاهُ لَا يُخَلِّفُ

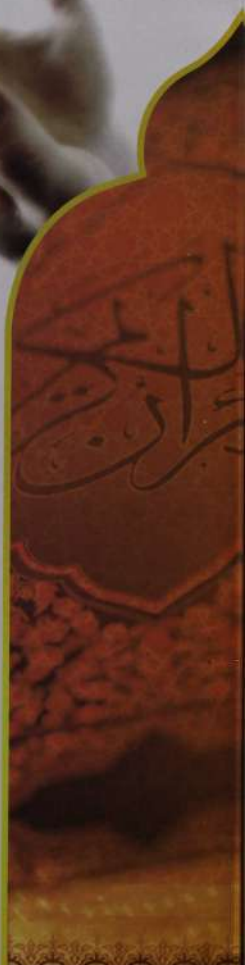


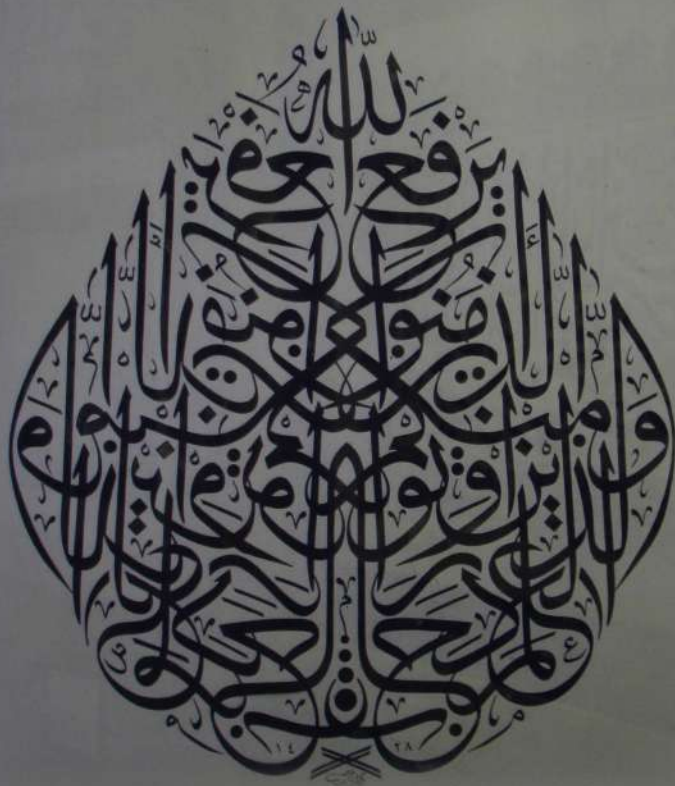
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ



مفهوم التوسل
في المنظور القرآني
سورة يوسف أنموذجاً

د. محمد حسين عبود





الله لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا إلا بإذن الله ومشيئته ، وأنهم محتاجون الى رحمة الله ورضوانه. بيد أنهم نالوا المقامات العالية عند الله، بعظيم العبادة والطاعة، فاصطفاهم سبحانه أنبياء وأوصياء وشهداء، فأصبحوا أقرب الى الله من غيرهم، وأسرع في استجابة الدعاء من سواهم ؛ لذا ترى المسلمين بناء على ذلك يلوذون بقبورهم ومقاماتهم إذا داهمهم الخطوب والنوائب.

ومع أن الدلائل والبراهين - بجواز التوسل، بل بمرجوحيته - قد تكفلت الآيات والروايات ببيانه - كما سيكشف عنه البحث - غير أن الرؤى التكفيرية والتوجهات المتطرفة، ما فتأت تتخر بفكر الأمة ، وتعصف بوحدها من خلال فتاوى التكفير، التي استحلت بها دماء المسلمين، عموماً، واتباع أهل البيت على الخصوص، الذي لا يمر يوم، إن لم تكن ساعة إلا وتهرق دماؤهم في أصقاع الأرض، بتهمة أنهم مشركون يتوسلون بغير الله سبحانه وتعالى.

لهذا وغيره من الأسباب انبرى الباحث الى اثبات محبوبة التوسل، من أدلة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين... وبعد...

فإن التوسل أو الوسيلة من المفاهيم الواضحة نقلاً وعقلاً، والبيئة التي لا يشوبها شك أو يعتريها شبهة، ومع أن الخوض فيها، لا يبدو أن يكون خوضاً في الفروع، فقد أخذت مساحة من مجمل المنظومة الفكرية والعقائدية، لاسيما المعاصرة وباتت واحدة من الإشكاليات التي طالما أثارته بعض الاتجاهات المتطرفة التي اتخذت من التكفير شعاراً ومن التطرف دثاراً، فاعتاشت على إثارة الفرقة الإجتماعية، والفوضى الفكرية بين المسلمين، وراحت ترمي بالكفر كل من يزور أضرحة الأنبياء والأئمة عليهم السلام أو يستغيث ويتوسل بمقامهم إتهاماً منهم بالزور والبهتان أن التوسل عند المسلمين، هو توسل مشفوع باعتقاد استقلال من يتوسل به المسلمون من دون الله سبحانه، وهو ما لا يقر به مسلم، أو يعتقد به موحد، بل إن الإعتقاد المنعقد في العقل والقلب عند عموم المسلمين في مسألة التوسل، هو أن المتوسل بهم - عباد

أولاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١)، إذ ورد في تفسير هذه الآية أن المراد بها هو المسألة والقربة أي واطلبوا القربة اليه بالعمل بما يرضيه، والوسيلة من توصلت الى فلان بكذا، بمعنى تقربت اليه، ومنه قول عنترة:

ان الرجال لهم اليك وسيلة

أن يأخذوك تكحلي وتخضبي^(٢)

كما ذكر المفسرون أن المراد منها هو المحبة أي تحببوا الى الله، وذُكر أيضاً من جملة المراد بها «هو الرضا بالقضية

القرآن التي لا تقبل نقضا أو رفضا، وقد اقتضى البحث أن يكون بمطلبين تتبعهما خاتمة البحث، ثم المصادر المعتمدة، سائلاً المولى سبحانه، متوسلاً بمحمد وآله، أن يجعل الباحث من المدافعين عن أصول الإسلام وعقائده.

المطلب الأول: مفهوم الوسيلة في المنظور القرآني

تطرق الخطاب القرآني في أكثر من موضع الى مفهوم الوسيلة كما في قوله تعالى:



رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره، فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب، وصلة الرحم، فإنها مثرة في المال، ومنسأة في الأجل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان»^(٨).

بالتالي يؤكد لنا أمير المؤمنين عليه السلام أن الوسيلة - في الواقع - إنما هي اسم جامع مانع لكل أعمال الخير التي من شأنها تحقيق معنى الزلفة الى مقام المولى سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: مفهوم الوسيلة في سورة يوسف عليه السلام

قبل أن نذكر الموارد التي ورد فيها بيان المفهوم الواضح لمعنى الوسيلة في سورة يوسف عليه السلام المباركة لا بد من الإشارة الى أنه يمكن القول أن هناك مراديين رئيسيين يدور حولهما مفهوم الوسيلة، الأول: مادي، والثاني: معنوي، ومثال الأول توسل المريض بالطبيب في معالجة مرضه، فقد ورد عن الرسول الأعظم عليه السلام قوله: «تداووا، فما أنزل الله داء إلا أنزل معه دواء»^(٩) وهو توسل شرعي عقلاني، لا يتنافى وحقيقة

والصبر على الرزية والمجاهدة في سبيله والصبر على عبادته»^(٧)، وأشار آخرون الى أن المطلوب من قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ هو «كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعه أو غير ذلك»^(٤).

ولا يخفى ما في الجمع في الآية أنفا -بأداة العطف(أو)- بين تقوى الله وابتغاء الوسيلة اليه، من التأكيد الجلي على أنها من الأسباب المتماثلة والمتساوية في القرابة الى الذات الإلهية المقدسة.

ثانياً: قوله تعالى في حكاية عن عبادة المشركين: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي. فَلَا مَمْلُوكَاتُ كَشَفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جَبُولًا﴾^(٥)، ثم يقول سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلًا رَبَّهُمْ أَلْوَسِيلَةً أَيْهِمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٦).

فالوسيلة هي «التي يتوصل بها الى تحصيل المقصود»^(٧)، وأنها - وكما شخصها أمير المؤمنين عليه السلام - بقوله: «إن أفضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص، فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر

الإعتقاد بالله والتوكل عليه، وربما تراثي لنا أن الحديث المذكور يتقاطع مع قوله تعالى حكاية عن نبي الله وخليفه ابراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَمَرْتُ فَهُوَ بَشِيرٌ﴾، غير أن الإمام الصادق عليه السلام، يحل لنا هذا الإشكال، من خلال الحديث المروي عن «أحمد بن فهد في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

قال: هو قول الرجل: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه برزقه ويدفع عنه، قلت: فيقول ماذا يقول لولا أن من الله عليّ بفلان لهلكت، قال: نعم لا بأس بهذا أونحوه^(١١). بناء عليه فالمطلوب من المؤمن أن يتوكل على الله مطلقاً، وأن لا ينسب قضاء الحوائج برمتها الى الله سبحانه وتعالى، حتى وإن بدا ظاهراً أن قضاءها بيد الناس على نحو مباشر؛ لأن كل ما في الكون متعلق بيد الله سبحانه.

أما مثال الثاني فهو التوسل بالدعاء، وبسائر الأعمال الصالحة المقربة الى ذات المولى سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْجِزُكَ رَبِّي وَلَا دَعَاؤُكُمْ﴾، وقوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالسَّبْرِ وَالسَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٢) وقد ورد المفهومان المذكوران آنفاً في سورة يوسف عليه السلام، فضال التوسل بالأسباب المادية هو قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِمِصْبِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَقْلِبِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٣).

والآية بصدد الإخبار عن الله تعالى «بأن يوسف أعطى إخوته قميصه، وقال احملوه الى أبي يعقوب واملحوه على وجهه فانه يرجع بصيراً، ويزول عنه العمى، وذلك معجز دال على نبوته»^(١٤).

ومعنى الآية واضح في أن القميص كان وسيلة مادية استعان بها نبي الله يوسف عليه السلام في شفاء والده نبي الله يعقوب عليه السلام من بلاء العمى الذي أصابه بسبب الحزن الذي ألم به جراء مفارقتة إياه ولسنين طوال.

وهو ما يشرع لنا - من الناحية العقائدية - التوسل بالأسباب المادية لبلوغ المقصود والمراد، ومما يؤكد ذلك هو عدم استعانة نبي الله يوسف عليه السلام بالدعاء في معالجة مرض والده نبي الله يعقوب عليه السلام، وقد كان بوسعه أن يتوسل بالدعاء - كونه مستجاب الدعوة - بحكم امتلاكه مميزات النبوة، وأنه سلاح الأنبياء، فيبادر بالدعاء

رد البصر ليعقوب (عليه السلام)، من غير تأخير أو إطالة، الى غيرها من الأوجه البلاغية والنحوية المذكورة في الآية الشريفة.

خلاصة القول أن الآية تدل دلالة بينة على جواز التوسل بالأسباب المادية من أجل بلوغ الهدف والغاية، مادامت لا تتعارض ولا تقدر بعري الإيمان التي انعقد عليها القلب.

سرقميص يوسف عليه السلام

مر علينا أن القميص الذي ألقى على وجهه نبي الله يعقوب عليه السلام كان له من القدرة والقابلية ما لم تكن لأمهر وأبرع الأطباء حذاقة وموهبة على علاج العمى الذي استولى على عيني يعقوب عليه السلام، فما سر هذا القميص؟ وما الأبعاد الطبية الخارقة التي منحته تلك المكنة الإعجازية في علاج هذا المرض المستعصي؟

والحق إن المتتبع لكتب التفسير والحديث والتأريخ عند الجمهور لا يجد بياناً لحقيقة هذا القميص، أو كشفاً عن سره ومكونه، وأن غاية ما توصل اليه مفسروهم ومحدثوهم وسواهم في شأنه، هو أن فيه ثلاث آيات، حين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيراً، وحين

ويلوذ به ويستعين به في كشف ضر والده، أو يخبر أخوته بأن يطلبوا من والدهم يعقوب، بأن يهرع هو بذاته الى الدعاء من أجل أن يزيل الله ما لحقه من الهم والغم والعمى.

كما أن نبي الله يعقوب سار هو الآخر — بذات الاعتقاد — من صحة التوسل بالأسباب المادية في تحقيق المطلوب، وأن شفاؤه بالقميص الذي يحمل مع ريح يوسف وبشارة التخلص مما ألمَّ به، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۚ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٤).

ولعل مما يركز هذا المعنى هو قول يوسف عليه السلام (اذهبوا) بصيغة الأمر، وقوله ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ مؤكداً، ثم اقتران الفاء بالفعل بقوله (فألقوه) واستعمال الخطاب القرآني للجملة الشرطية، التي تقيد تعليق الوجود على الوجود في قوله تعالى ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَأْتِ بِصِيرًا﴾ التي تقيد توقف وجود البصر على وجود الإلقاء، ثم عدم وجود الفصل بين الإلقاء والإيتاء، أو بين الإلقاء والإرتداد في قوله سبحانه ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَأْتِ بِصِيرًا﴾، ما يوحي بسرعة ومباشرة تحقق المبتغى وهو

القميص الذي أنزله الله من الجنة، قلت
جُعِلت فداك فألى من صار ذلك القميص؟
قال: الى أهله، ثم قال: كل نبي ورث علما
أو غيره فقد انتهى الى محمد ﷺ وأهل
بيته»^(١٦).

أما مثال التوسل بالأسباب
المعنوية هو:

أولاً: قوله تعالى
حكاية عن أخوة
يوسف ﷺ:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا
اسْتَغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا
خَاطِئِينَ﴾^(١٧)

الـ

على أنهم

«كانوا بعد في

عهدة الذنب»^(١٨)

ولو كان متعلقاً بـ

(يغفر) حين قالوا لأخوهم

يوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْهِ سُلْوَانًا
كُنَّا الْخَاطِئِينَ﴾^(١٩)، فقال لهم: ﴿قَالَ
لَا تَغْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ﴾^(٢٠) «للزم أن يقطعوا بغفران
ذنبهم حينئذ بإخبار النبي الصديق».

قد من دبر، وحين جاؤوا عليه بدم كذب^(١٥)
هذا في مقابل مدرسة أهل البيت ﷺ التي
تولت كشف النقاب عن الواقع الغيبي لهذا
القميص، فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ
مخاطباً مفضل بن عمر «أتدري ما كان
قميص يوسف ﷺ؟ قال: قلت: لا.

قال: إن ابراهيم ﷺ لما
أوقدت له النار أتاه
جبرائيل ﷺ

بثوب من

ثياب الجنة

فألبسه إياه،

فلم يضر

معه حر ولا

برد، فلما

حضر ابراهيم

الموت جعله في

تميمة، وعلقه على

إسحاق، وعلقه إسحاق

على يعقوب، فلما وُلد يوسف ﷺ علقه
عليه، فكان في عضده حتى كان من أمره
ما كان، فلما أخرجه يوسف بمصر من
التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله: ﴿إِنِّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفِينُونِي﴾ فهو ذلك

يُخبرهم بضرورة طلب الإستغفار من الله — وهو القائل ﴿أَدْعُوهُ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ — من دون أدنى حاجة الى توسيط أي أحد في ذلك . والجواب على ذلك يتلخص باعتقاد إخوة يوسف عليهم السلام بالمكانة السامية، والقرب الإلهي الذي يحضى بهما، والدهم نبي الله يعقوب، ويقينهم بمقامه من الله، وقد شهدوا دلائله وعلاماته بشكل عملي، فقد كان يعلم ما تتطوي عليه سرائرهم، وأخبرهم غير مرة بأنه يعلم من الله ما لا يعلمون، مفادها أن تلك الحادثة التي وقعت بين يعقوب وبنيه من طلب الإستغفار من قبلهم، واستجابته لهم، تسوق لنا تشريعاً نبوياً سماوياً بجواز التوسل بال صالحين في أهم غايات العبادة والطاعة وهي طلب المغفرة.

غير أن الملاحظ في إجابة نبي الله يعقوب عليه السلام لبنيه، وموعدهته لهم بالمغفرة أنه قال لهم ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّي﴾ «والمعنى إني أفعل ذلك في المستقبل، ولم يستغفر لهم في الحال»^(٢١)، وهو ما يدل بوضوح على التأني والتأخير في الإستغفار لهم، من دون المبادرة الفورية فقد نقل العياشي (ت ٢٢٠هـ) عن محمد بن أبي عمير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في

غير أن ذلك لم يكن ليهب لهم الإطمئنان بغفران ذنوبهم التي أصبحوا بسببها من الخاطئين، وربما يكون ذلك بسبب أن يوسف عليه السلام «إنما أراد مغفرة ما يرجع الى حقه، دون حق أبيه، إذ الإثم كان مشتركاً بينهم»^(٢١).

ومهما يكن من أمر فإن عظم الذنب وفداحة الخطب دفعتهم لأن يتوجهوا نحو أبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام فقالوا له: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(٢٢)، والآية تنقل لنا بشكل صريح سعي أخوة يوسف عليهم السلام الحثيث للتخلص من الخطيئة التي لحقت بهم بسبب ما ارتكبهوا بحق أخيهم يوسف، وما نتج عنه مما ألم بأبيهم يعقوب، فما كان من الوالد الرحيم إلا أن قال لهم ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

والسؤال الذي ينبغي ذكره في المقام هو: لم لم يتوجه إخوة يوسف بنحو مباشر الى الله سبحانه وتعالى في طلب المغفرة؟، والحال أنه جل شأنه يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(٢٣)، ويقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾. ولم لم يُجِبهم يعقوب بما أجابهم به يوسف عليه السلام بقوله: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟ أو

تفسير قوله تعالى ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّي﴾ قوله: «أخبرهم إلى السحر، قال: يا رب إنما ذنبهم فيما بيني وبينهم، أوحى الله أني قد غفرت لهم»^(٢٥)؛ لأن الاستغفار فيه مستجاب، وقد ورد عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام أن يعقوب عليه السلام أخره إلى السحر ليلة الجمعة.^(٢٦)

ولا يخفى أن تأخير الاستغفار إلى هذا الوقت «لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء»^(٢٧)، وبالتالي دليل على عناية النبي يعقوب عليه السلام بهذا الاستغفار، الذي يُعرب عن حبه ورحمته بأبنائه، وتأييده للسبيل الذي سلكوه في نواله والحظوة به، وهو التوسل بدعائه، والتوسط لديه بطلب الاستغفار.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾^(٢٨).

حكاية عن ارتقاء نبي الله يوسف عليه السلام العرش وسجود أخوته وأبويه له، والآية صريحة في أن ظاهر السجود كان ليوسف عليه السلام، والحال أن السجود لا ينبغي ولا يصح ولا يجوز إلا لله سبحانه، قال سبحانه: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٢٩)، وقال تعالى: ﴿وَتَأْتِيهَا الْبُيُوتُ

﴿أَمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٣٠). عليه فكيف يتسنى لنا الجمع والمواثمة بين مراد السجود في الآيات على النحو الذي يحقق لنا معنى السجود لله سبحانه، من غير تناقض ٩، وقد سُئل الإمام أبي الحسن عليه السلام جملة مسائل، كان أحدها عن قول الله تعالى ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، حيث قال السائل: كيف يسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء، فأجاب أبو الحسن عليه السلام: «أما سجود يعقوب وولده يوسف، فإنه لم يكن ليوسف، وإنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله وتحية ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم، ولم يكن لآدم إنما كان منهم طاعة لله وتحية لآدم عليه السلام، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله؛ لاجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره ذلك الوقت ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ﴾»^(٣١).

والرواية واضحة الدلالة في فك رموز الإيهام والإبهام بخصوص السجود ليوسف، وهو - في الواقع - إنما كان سجوداً لله سبحانه.

وبعبارة أخرى إن السجود ليوسف عليه السلام كان بطول السجود لله، وليس بعرض

السجود له سبحانه من هنا فهو يجسّد صلب التزلف لله سبحانه ، والسعي لنيل رضاه جل شأنه، كما أنه يُبطل ما ذهب إليه — بحسب ما ذكره الطباطبائي — (ت١٤١٢هـ) بعضهم في توجيه الآية، وتفسير السجدة بأنها التحية الشائعة بين الناس يومئذ «كما أنها في الإسلام السلام، وقال بعضهم إن سنة التعظيم كانت إذ ذاك السجدة، ولم ينفك عنها لغير الله بعد، كما في الإسلام وقول بعضهم كان سجودهم، كهيئة الركوع كما يفعله الأعاجم، كل ذلك غير وجيه»^(٢٢).

خلاصة القول إن السجود ليوسف عليه السلام، نظير السجود لأدم عليه السلام، كان وسيلة نبوية تهدف الى تحقيق غاية ربانية، وهي العبادة الحقة لله سبحانه وتعالى.

نتائج البحث

أولاً: تبين لنا بعد هذه الجولة القرآنية مع بعض آيات سورة يوسف عليه السلام أن من أَلطاف الله وعظيم رحماته بعباده، أن جعل الطرق شتى والسبل وفيرة لعبادته وطاعته، ولعل من أظهرها هو التوسل بالسبل المادية والمعنوية، من أجل بلوغ المقاصد والحصول على الحاجات سواء في ذلك الأخروية كغفران

الذنوب، أم المادية كشفاء المرضى وسواها. وقد ضرب القرآن في ذلك الأمثال، إذ في الوقت الذي حصر المولى سبحانه الإستعانة بذاته المقدسة فحسب، حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا لَازِمَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢٣) فقد أمرنا سبحانه في سورة أخرى بالإستعانة بالصبر والصلاة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا لَازِمَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢٥)، والمراد بالإستعانة وطلب العون^(٢٦)، أي اتخاذها وسيلة لبلوغ المبتغى.

كما أن حصر الإستعانة بالله أيضا، لا يتقاطع وقوله تعالى حكاية عن لسان ذي القرنين، الذي طلب العون من القوم الذي أرادوا منه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج ردما، حين قال لهم: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾^(٢٧)، والآية صريحة بطلب العون منهم، أي أنه اعتمدهم كوسيلة وقوة من أجل بناء السد، وهو لا يتعارض والإستعانة بالله، أو التوكل عليه.

ثانياً: إن التوسل هو التوجه الى الله تعالى بالدعاء بالذات أو الجاه أو الحرمة. وقد ورد في الحديث عن «عثمان بن حنيف أن رجلاً أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا

المألوف والمشهور بين المسلمين من جواز التوسل والإستغاثة بالأنبياء والصالحين.

كما أكد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) معنى

التوسل في ترجمة ابن المقيئ، حيث ينقل عنه قوله: «كنت أنا والطبراني، وأبو

الشيخ بالمدينة فضاقت بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت

القبر، وقلت يا رسول الله الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس، فإما أن يكون الرزق أو

الموت، فقامت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوي، ففتحنا له فإذا معه غلامان بقتين

فيهما شيء كثير، وقال شكوتموني الى النبي ﷺ؟ رأيت في النوم، فأمرني بحمل

شيء إليكم»^(٤١).

من ثم فإن ما ألفه أتباع المذهب الإمامي من التوسل بالرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ على

مر الدهور والعصور، إنما يصب في صلب ما يعتقد المسلمون جميعاً من جواز التوسل

بالصالحين، فضلاً عما يمثله من التناغم والتواصل الروحي والعرفاني بين عموم

الشيعة وبين رسول الله وأهل بيته ﷺ؛

إمتثالاً لقول الله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَلْمِزْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، وقول الرسول ﷺ: «إني تارك الثقيلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب

رسول الله إني رجل أعمى فادع الله أن يشفيني قال: بل أدعك قال: ادع الله لي

مرتين أو ثلاثاً، قال: توفضاً، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه بنبيك نبي

الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك الى الله أن يقضي حاجتي...»^(٣٨)

كما ثبت توسل عمر بن الخطاب أيام خلافته بالعباس عم النبي ﷺ بقوله: «اللهم

إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون»^(٣٩)

من هنا فقد أكد السبكي (ت ٧٥٦هـ) أنه يجوز التوسل والإستغاثة والتشفع

«بالنبي ﷺ الى ربه تعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين،

المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام

من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان،

حتى جاء ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما

ليس اليه في سائر الأعصار»^(٤٠).

اذن يمكن القطع أن القرن السابع الهجري الذي عاش فيه ابن تيمية هو

العصر الذي شهد خروج ومروق طائفة على

(ت٦٥٦هـ): شرح نهج البلاغة/ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم/ نشر دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء/ تحقيق شعيب الأرنؤوط - أكرم البوشي/ ط٩ (١٤١٣هـ)/ نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

٦- السبكي: تقي الدين (٧٥٦هـ): شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص)/ تحقيق السيد محمد رضا الجلالي/ ط٤ (١٤١٩هـ).

٧- السلمي (ت٤١٢هـ): تفسير السلمي/ تحقيق سيد عمران/ ط١ (١٤٢١هـ)/ طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٨- السمعاني (ت٤٨٩هـ): تفسير السمعاني/ تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم/ ط١ (١٤١٨هـ) /مطبعة السعودية - دار الوطن - الرياض.
٩- الطبري: ابن جرير (ت٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن/ ط١ (١٤١٥هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر

اللَّهُ حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٤٢)
خاتمة القول أن مفهوم التوسل من المفاهيم الشرعية والعقلية، التي أكدت عليها نصوص القرآن والسنة، وكانت موضع إجماع المسلمين بكل فرقهم ومذاهبهم، ولم يشذ عنهم سوى فئة هجرت الكتاب والسنة، واتكلت على الأهواء والآراء الضالة والبعيدة عن روح الدين وحقيقة الملة.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم (خير ما يُبتدأ به).
١- أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)/ دار صادر - بيروت.
٢- البخاري أبي عبدالله محمد (ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري/ ط١ (١٤٠١هـ) / نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣- الجصاص: أبي بكر أحمد بن علي (ت٣٧٠هـ): أحكام القرآن / تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين/ ط١ (١٤١٥هـ)/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
٤- ابن أبي الحديد: المعتزلي

والتوزيع بيروت - لبنان .

١٠- الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ): تفسير جوامع الجامع / ط١ (١٤٢٠هـ)/تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١١- الطوسي: محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ): البيان في تفسير القرآن/ تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي/ ط١ (١٤٠٩هـ)/مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.

١٢- العاملي: الانتصار/ ط١ (١٤٢٢هـ)/ دار السيرة بيروت - لبنان.

١٣- العياشي: محمد بن مسعود (٢٢٠هـ): تفسير العياشي/تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي/ نشر مكتبة العلمية الإسلامية - طهران.

١٤- الكليني: محمد بن يعقوب (ت٢٢٨هـ): الكافي/تحقيق علي أكبر غفاري/ ط٥/ دار الكتب الإسلامية - طهران .

١٥- المجلسي:محمد باقر(ت١١١١هـ) بحار الأنوار/تحقيق محمد باقر البهبودي/

ط٢ المصححة(١٤٠٣هـ)/ مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان .

١٦- ابن المنير الإسكندري: أحمد بن محمد(ت٦٨٣هـ): الإنصاف فيما تضمنه الكشاف/نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء.

١٧- النسائي: أبو عبد الرحمن بن شعيب(ت٣٠٢هـ):السنن الكبرى/تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن/ط١(١٤١١هـ)/نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٨- النسفي: عبد الله بن أحمد (ت٥٣٧هـ): تفسير النسفي.

الهوامش

(١)سورة المائدة /٣٥.

(٢) ظ: الطبري: ابن جرير(ت٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن / (١٤١٥هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ٣٠٧/٦.

(٣) السلمي(ت٤١٢هـ): تفسير السلمي/تحقيق سيد عمران/ط١(١٤٢١هـ/ طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان /١ ١٧٧.

(٤) النسفي: عبدالله بن أحمد (ت٥٣٧هـ):

- تفسير النسفي ٢٨١/١ .
- (٥) سورة الإسراء / ٥٦ .
- (٦) سورة الإسراء / ٥٧ .
- (٧) العاملي: الانتصار/ ط١ (١٤٢٢هـ) / دار
السيرة بيروت - لبنان ٢٤٨/٥ .
- (٨) ابن أبي الحديد: المعتزلي(ت٦٥٦هـ): شرح
نهج البلاغة/ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم/
نشر دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي
الحلبي وشركاه ٢٢١/٧ .
- (٩) المجلسي: محمد باقر(ت١١١١هـ): بحار
الأنوار/ تحقيق محمد باقر الهمداني/ ط٢
المصححة(١٤٠٣هـ)/ مؤسسة الوفاء - بيروت
- لبنان ٦٥/٥٩ .
- (١٠) م . ن ١٤٨/٥ .
- (١١) سورة البقرة/ ١٥٣
- (١٢) سورة يوسف/ ٩٣ .
- (١٣) الطوسي: محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ):
التيبان في تفسير القرآن/ تحقيق أحمد حبيب
قصير العاملي/ ط١(١٤٩٠هـ)/ نشر وطبع
مكتب الإعلام الإسلامي ١٩١/٦ ..
- (١٤) سورة يوسف/ ٩٦ .
- (١٥) ظ: الطبري: جامع البيان عن تأويل أي
القرآن ١٢/ ٢٤٠+ الجصاص: أبي بكر أحمد بن
علي(ت٣٧٠هـ): أحكام القرآن/ تحقيق عبد
السلام محمد علي شاهين/ ط١(١٤١٥هـ)/
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ٢١٨/٣ .
- وغيرهم
- (١٦) الكليني: محمد بن يعقوب(ت٣٢٨هـ):
الكافي/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط٥/ دار الكتب
الإسلامية - طهران ٢٣٢/١ .
- (١٧) سورة يوسف/ ٩٧ .
- (١٨) ابن المنير الإسكندري: أحمد بن محمد(ت
٦٨٢هـ): الإنصاف فيما تضمنه الكشاف/ نشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي
وشركاهم - خلفاء ٢/ ٣٤٢ .
- (١٩) ، (٢٠) سورة يوسف/ ٩١-٩٢ .
- (٢١) ابن منير الإسكندري: الإنصاف فيما تضمنه
الكشاف ٢/ ٣٤٢ .
- (٢٢) سورة يوسف/ ٩٧ .
- (٢٣) سورة آل عمران/ ١٣٥ .
- (٢٤) الطوسي: محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ): البيان
في تفسير القرآن/ تحقيق أحمد حبيب قصير
العاملي/ ط١(١٤٠٩هـ)/
مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ١٩٥/٦ .
- (٢٥) العياشي: محمد بن مسعود(ت٣٢٠هـ): تفسير
العياشي/ تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي/ نشر
لمكتبة العلمية الإسلامية - طهران ٢/ ١٩٦ .
- (٢٦) ظ: م ن ١٩٦/٢ .
- (٢٧) الطبرسي: الفضل بن الحسن(ت٥٤٨هـ):
تفسير جوامع الجامع/ ط١(١٤٢٠هـ)/ تحقيق
ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة
المدرسين بقم المشرفة ٢/ ٢٤٠ .
- (٢٨) سورة يوسف/ ١٠٠ .

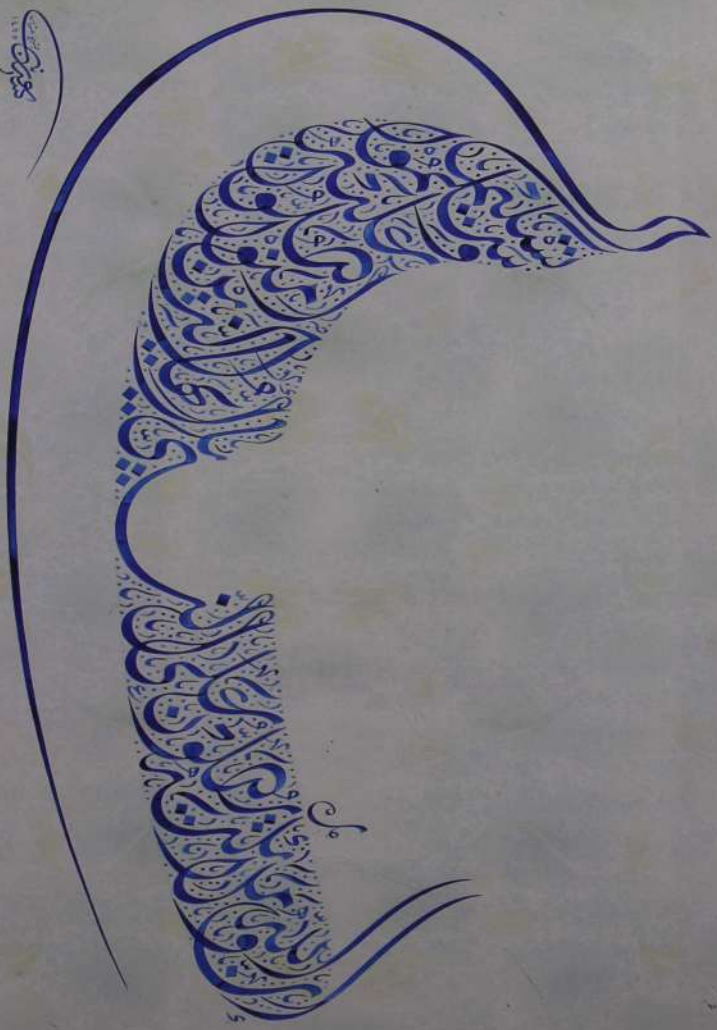
- (٢٩) سورة فصلت/٣٧. أحمد(ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء/
- (٣٠) سورة المؤمنون/٧٧. تحقيق شعيب الأرنؤوط — أكرم البوشي/
- ط٩(١٤١٣هـ)/ نشر مؤسسة الرسالة - بيروت
- لبنان ١٦/٤٠٠
- (٤٢) أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)/ دار صادر —
- بيروت ٣/١٤.
- (٢٩) سورة فصلت/٣٧.
- (٣٠) سورة المؤمنون/٧٧.
- (٣١) المجلسي: بحار الأنوار ١٢/٢٥١.
- (٣٢) الطباطبائي: محمد حسين (ت١٤١٢هـ):
- الميزان في تفسير القرآن/ منشورات جماعة
- الدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة
- ١١/٢٤٧.
- (٣٣) سورة الفاتحة/ ٥.
- (٣٤) سورة البقرة/١٥٣.
- (٣٥) سورة المائدة/ ٢.
- (٣٦) ظ: السمعاني(ت٤٨٩هـ): تفسير السمعاني/
- تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن
- غنيم/ ط١(١٤١٨هـ) /
- مطبعة السعودية - دار الوطن - الرياض ١/١٥٦.
- (٣٧) سورة الكهف/ ٩٥.
- (٣٨) النسائي: أبي عبد الرحمن بن شعيب
- (ت٢٠٣هـ): السنن الكبرى/تحقيق عبد
- الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن/
- ط١(١٤١١هـ)/نشر دار الكتب العلمية - بيروت
- لبنان ٦/١٦٨
- (٣٩) البخاري أبي عبدالله محمد(ت٢٥٦هـ):
- صحيح البخاري/ط(١٤٠١هـ)/نشر دار الفكر
- للطباعة والنشر والتوزيع/٢/١٦.
- (٤٠) السبكي: تقي الدين(٧٥٦هـ): شفاء السقام
- في زيارة خير الأنام ﷺ/ تحقيق السيد محمد
- رضا الجلاي/ط٤(١٤١٩هـ)/٢٩٣.
- (٤١) الذهبي: شمس الدين محمد بن



مفهوم الغريب
في القرآن الكريم

م.د. فلاح رسول حسين الحسيني

1385
عاشوراء
1385



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، أما بعد: فقد تناول هذا البحث مسائل عدة، وهي الغريب لغة واصطلاحاً، والغريب عند البلاغيين وصولاً إلى مفهوم الغريب في القرآن الكريم عند القدامى والمحدثين، وقد استعان الباحث بمصادر عدة زادت على الثلاثين، شملت بعض المعجمات، وكتب البلاغة والتفسير وغيرها، وقد خلص البحث الى مسائل عدة ذكر أهمها في الخاتمة، نسأل الله تعالى أن ينتفع به طلاب المعرفة وأن يجعله في ميزان حسناتنا، والحمد لله أولاً وآخراً.

الغريب لغة واصطلاحاً:

الغريب لغة:

بحثت المعجمات اللغوية العربية هذه اللفظة في مادة (غرب)، وقد تطرق لها الخليل، والجوهري، وابن فارس، وغيرهم، ذاكرين معناها، ونبدأ الآن بما ذكره الخليل بن احمد الفراهيدي في عينه: «الغَرْبُ: التماذي» و«الغَرْبُ: أعظم من الدلو... وكل فيضة من الدمع غَرْبٌ... والغُرُوبُ ههنا الدمع» و«الغَرْبُ: الراوية، وغروب الأسنان

الماء الذي يجري عليها» و«الغَرْبان مؤخَّر العين ومقدّمها» و«الغَرْبُ: ما يقطر من الدلاء» و«غروب الأسنان أطرافها» و«الغَرْبُ حُرَاجٌ يخرج في العين» و«الغَرْبُ: المغرب» و«الغروب غيبوبة الشمس» و«الغريب: الغامض من الكلام، وغَرِبَتِ الكلمة غرابة وصاحبها مُغْرَبٌ» و«الغارب أعلى الموج وأعلى الظهر... والمُغْرَبُ: الأبيض الأشفار من كل صنف والشعرة الغريبة، وجمعها غُرَبٌ لأنها حَدَّتْ في الرأس لم يكن قَبْلُ» و«الغَرْبُ: شجرة... والغَرْبُ: جامٌ من فضة، والغريبب: الأسود» و«سهم غَرْبُ: بفتح الراء: لا يُعرف راميه»^(١).

ومما جاء في الصحاح للجوهري: «الغرباء: الأبعد» و«الغرب أيضا الخمر» و«الغرب في الشاة كالسَعَف في الناقة وهو داء يتمعط منه خرطومها، ويسقط منه شعر عينها» و«غرب كل شيء حدّه»^(٢).

ومما جاء في المقاييس لابن فارس: «الغربة: البعد عن الوطن»^(٣).
ومما جاء في أساس البلاغة للزمخشري: «وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة ومنه مصنف الغريب»^(٤).

ومما جاء في المصباح المنير للفيومي:

من الفهم كما ان الغريب من الناس انما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، والغريب من الكلام يقال به على وجهين أحدهما أن يُراد به أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم الا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به كلام مَن بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها»^(٧).

وعرف الجرجاني (الشريف علي بن محمد) الغرابة قائلاً: «كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال»^(٨).

وقال محمد جواد الحسيني الجليلي: بعد أن ذكر تعريف الخطابي: «ويمكن تفسير الغريب بعبارة أشمل ليعم ما يُعرف بالغريب في عصرنا الحاضر. وهو ان الغريب كل كلام أو كلمة لا يكون ظاهر المعنى ولا مأثوف الاستعمال لدى المخاطبين به سواء كانت الغرابية من جهة نفس الكلمة أم الكلام أم من جهة ابتعاد المخاطب عن أصول التحوار في اللغة كما هو عليه أكثر الناس في عصرنا الحاضر»^(٩).

الغريب عند البلاغيين :

يدخل في معنى الغريب ما لا تندرج فيه

«وكلام غريب بعيد عن الفهم»^(١٠).

ومما جاء في تاج العروس للزبيدي: «الغَرَبُ: الذَّهاب» و«الغرب أول الشيء وحده» و«الغَرَبُ: النشاط والتمادي في الأمر» و«الغَرَبُ كثرة الريق في الفم» و«الغَرَبُ الفرس الكثير الجري» و«الغَرَبُ: النوى والبعده» ويقال تكلم فأغرب: جاء بغريب الكلام ونوادره» و«الغريب من الكلام العميق الغامض»^(١١).

بعد هذا العرض نقول :

إنَّ للغَرَبَ معاني عدة أهمها: التمادي والنشاط، والراوية، والطرف أو الخد، والداء أو الخُرْاج، والبعده، والذَّهاب، والكثرة (كثرة الريق في الفم، والفرس الكثير الجري). ومما ذكر من معاني الغَرَب (بفتح الراء): شجرة، جام من فضة، ومن السهام ما لا يُعرف راميه .

أمَّا الغريب من الكلام فهو الغامض، العميق، النادر، البعيد من الفهم .
وأمَّا الغريب من الشعر فهو الحدث في الرأس لم يكن قبل .

الغريب اصطلاحاً :

عرفه أبو سليمان الخطابي بقوله: «الغريب من الكلام انما هو الغامض البعيد

الذال أو الباء لم تجد الحسن على الصفة الأولى في تقديم العين على الذال .
 ٣- أن تكون الكلمة كما قال أبو عثمان الجاحظ غير متوَعِّرة وحشية والمقصود هنا الغرابة .

شروط الفصاحة في علم البلاغة ^(١١) . وقد بحث البلاغيون فصاحة الألفاظ وفصاحة التركيب، وأعطوا شروطا لكل قسم، وسنوجز ما قالوه على النحو الآتي:

فصاحة الألفاظ:

فصل ابن سنان الخفاجي القول في شروط فصاحة الألفاظ وكانت عنده على النحو الآتي ^(١١) :
 ١- أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج، ومثال التأليف في الحروف المتباعدة كثير، جلّ كلام العرب عليه، أما المتقاربة فمثالها (الهعقع).

٢- أن تجد لتأليف اللفظ في السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساوى في التأليف من الحروف المتباعدة، ومثاله في الحروف (عذب)، ولو قدمت



النحو من التصرف الفاسد في الكلمة، وقد يكون ذلك راجحاً لأن اللفظة بعينها غير عربية، وقد تكون الكلمة عربية إلا أنها قد عُبر بها عن غير ما وُضعت له في عرف اللغة، كوضع الأيم مكان الثيب، ومنه إظهار التضعيف في الكلمة (ظننوا). ثم ذكر ابن سنان بعض المسائل منها صرف ما لا ينصرف، ومنع الصرف مما ينصرف، وقصر الممدود ومد المقصور، وحذف الإعراب للضرورة وغيرها قال عنها: «فإن

و «الغرابية أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها إلى من ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة»^(١٢).
ومن الأمثلة التي ذكرها ابن سنان (تتكأكؤون) و(افرنقعوا) .

٤- أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية، ومثّل لها ابن سنان بكلمة (تقرعن).

٥- أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة، ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة، ويرده علماء



عرضه على الذوق ولهذا فإنه قد يتوالى
ضمتان وهو غير ثقيل^(١٢) كقوله تعالى ﴿ فِي
صَلَاتِكُمْ وَسِعْرِكُمْ ﴾ (القمر: ٤٧) .

فصاحة التراكيب :

تحدث ابن سنان عن فصاحة التراكيب
وذكر شروطها^(١٣):

١- أن يجتنب الناظم تكرار الحروف
المتقاربة في تأليف الكلام كما أمرناه بتجنب
ذلك في اللفظة الواحدة بل هذا في التأليف
أقبح .

٢- وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو
مجازاً لا ينكره الاستعمال ولا يبعد فهمه،
ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون في
الكلام تقديم وتأخير حتى يؤدي ذلك إلى
فساد معناه وإعراجه في بعض المواضع،
ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون
الكلام مقلوباً فيفسد المعنى ويصرفه عن
وجهه، ومن وضع الألفاظ موضعها حسن
الاستعارة، وكذلك ألا تقع الكلمة حشواً،
وأصل الحشواً أن يكون المقصد بها إصلاح
الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروي إن
كان الكلام منظوماً وقصد السجع وتأليف
الفصول إن كان منثوراً من غير معنى تقيده
أكثر من ذلك، ومن وضع الألفاظ موضعها

هذا وأشباهه وما يجري مجراه - وإن لم
يؤثر في فصاحة الكلمة كبير تأثير - فإنني
أوثر صيانتها عنه، لأن الفصاحة تنبئ عن
اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها، ولها من
هذه الأمور صفة نقص فيجب اطراحها .
٦- أن لا تكون الكلمة قد عُبرَ بها عن
أمر آخر يكره ذكره فإذا أوردت وهي غير
مقصود بها ذلك المعنى قبحت وإن كملت
فيها الصفات التي بينهاها .

٧- أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة
الحروف فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة
المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه
الفصاحة كما في كلمة (سويداواتها) في
قول المتنبي :

إن الكريم بلا كرام منهم

مثل القلوب بلا سويداواتها

٨- أن تكون الكلمة مصغرة في موضع
عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو
قليل أو ما يجري مجرى ذلك وثمة مسألة
ذكرها صاحب الطراز متعلقة بشروط
فصاحة الكلمة وهي توالي الحركات فإذا
حصل سكون الوسط كان عدل ما يكون
وأرق وإن توالى ثلاث فتحات فهو أخف من
حصول الضم في وسطه والمعيار في ذلك هو

غريب حسن، وغريب قبيح، وذكر أن أحسن الألفاظ ما كان مألوفاً متداولاً، وهو أيضاً يتفاوت في درجات حسنه، فالألفاظ إذن تنقسم ثلاثة أقسام: قسمان حسنان، وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان: أحدهما: ما تداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه انه وحشي. والآخر: ما تداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي لا يُعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً، وهو عندنا وحشي، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهي التي يطلق عليها (غريب القرآن) وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئاً وهو الذي يطلق عليه (غريب الحديث) وأمّا القبيح من الألفاظ الذي يُعاب استعماله فلا يسمى وحشياً فقط بل يسمى (الوحشي الغليظ) (١٧).

٢- أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ):
قسم أبو حيان لغات القرآن على قسمين فقال: «لغات القرآن العزيز على قسمين قسم يكاد يشترك في معناه عامّة المستعربة وخاصتهم كمدلول السماء والأرض وفوق

اللائق بها أن لا يكون الكلام شديد المداخلة يركب بعضه بعضاً، وأن لا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، وان لا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم والألفاظ التي تختص بأهل المهن والعلوم. أمّا فصاحة المركب عند القزويني فهي خلوصه من ضعف التأليف وتناثر الكلمات والتعقيد (١٥).

مفهوم الغريب في القرآن الكريم :

لم يغفل الدارسون (القدامى والمحدثون) التطرق لهذا المفهوم، ونبدأ الآن بذكر آراء القدامى :

١- ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): أفصح عن رأيه في مقدمة كتابه تذكرة الأريب في تفسير الغريب، فيقول: «هذا كتاب أشرت فيه إلى ما يغمض علمه ويدق على ذوي اللب فهمه ... وهذا الكتاب يتميز عن كل كتاب يُصنف في الغريب : لان تلك تشتمل على غريب اللفظ فقط وهذا على غريب اللفظ والمعنى ...» (١٦).

٢- ابن الأثير (ت ٦٢٧هـ) : ذكر ابن الأثير أقسام الوحشي وهي عنده قسمان:

معرفة غريبه)، قال فيه: «وينبغي الاعتراف به، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائب»... وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً: «من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة». والمراد بإعراجه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن»^(٢١).

وننتقل الآن إلى آراء المحدثين في مفهوم غريب القرآن:

١- د. عبد الجليل عبد الرحيم: بعد أن ذكر رأي الراضي المذكور آنفاً قال: «وعلى هذا فليس غريب القرآن من الألفاظ المنتقدة التي تعوزها الفصاحة أو ينبو عنها السياق أو مما لا يدور على لسانهم ولا يستعملونه في كلامهم بل هو من الطريف الذي أضفى عليه القرآن من الرقة والشفافية ما به تتضح دقة المعاني القرآنية ومن جوامع الكلم الذي يحمل في ثناياه جدة المعاني القرآنية ولهذا أكد الله على تدبر القرآن»^(٢٢).

٢- يوسف المرعشلي: عرف بعلم غريب القرآن اصطلاحاً «هو العلم المختص

وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية وهذا الذي صنّف أكثر الناس فيه وسَمّوه: غريب القرآن»^(٢٣).

٤- ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): «الغربة هي أن يكون المعنى مما لم يُسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال: طريف وغريب إذا كان عديم المثال أو قليله والقران العظيم كله سهل ممتع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قد مزجت القلوب عذوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في الأسماع سماعه واستقر في الاطباع انطباعه فلهذا لم يسأم على ترداده ولم تملّ النفوس على دوام إيراده فكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دق ورق»^(٢٤).

٥- الزركشي (ت ٥٧٩هـ): كان النوع الثامن عشر من كتابه البرهان في معرفة غريبه) أي غريب القرآن، وصدّر هذا النوع بقوله: «وهو معرفة المدلول، وقد صنّف فيه جماعة... ومن أشهرها كتاب ابن عُرَيْزٍ و(الغريبين) للهروري، ومن أحسنها كتاب (المفردات) للراغب»^(٢٥).

٦- السيوطي (ت ٩١١هـ): كان النوع السادس والثلاثون من كتابه الإتيان (في

علماء اللغة والعارفين بها، ورب كلمة غريبة عند إحدى قبائل العرب ليست بغريبة في قبائل أخرى. ومن هنا كانت غرابة الألفاظ على الصحابة... وإذن ففوق ألفاظ غريبة - على ندرتها - في القرآن الكريم لا ينفي معرفة العرب بهذه الألفاظ، ولا يتنافى مع الغاية من الرسائل السماوية وهي الهداية والإرشاد، وما يزال القرآن العظيم يُتلى فيفهم منه كل إنسان بقدره مهما كان حظه من العلم يسيرا وكائنا من كان عمره أو ثقافته أو بيئته»^(٢٧).

٦- د. عبد الرحمن عميرة: «وليس

المراد بالغريب ما كان غامض المعنى دون غيره وإنما المراد به تفسير مفردات القرآن عموماً وهو جزء من علم معاني القرآن لأن علم معاني القرآن يقوم على بيان المفردات أولاً...»^(٢٨).

ومسك الختام في آراء المحدثين رأي الأستاذ الدكتور صباح عباس السالم الذي أملاه علينا في إحدى محاضرات الدكتوراه (٢٠٠٩-٢٠١٠م)، فقال عن غريب القرآن^(٢٩): «هو ما لطف استعماله حتى خفي معناه على غير المتعلمين، ومنه ما نقله القرآن الكريم من معنى قديم

بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم، فهو مبحث لغوي متخصص أو هو الجانب اللغوي من علم التفسير»^(٣٠).

٣- مصطفى صادق الرافعي: «وفي القرآن ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغيراتها أنها منكورة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه وإنما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس»^(٣١).

٤- عادل عبد الرحمن البديري: «ليس المراد بالغريب الوحشي المخل بالفصاحة والبلاغة وإنما يراد به الغامض من الكلام»^(٣٢).

٥- د. ضاحي عبد الباقي: يقول عن غريب القرآن: «وهو ما يستغلق فهمه على القارئ أو السامع، ويختلف كنهه وفق ثقافة الشخص بالعربية ومدى الإلمام بدلالة ألفاظها»^(٣٣).

٦- د. محمد محمد داود: «ومجمل القول أن الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم هي ألفاظ نادرة وهي ليست بغريبة على

٥- ما اقترضته العربية من لغات قبل نزول القرآن الكريم وعرفه بعض العرب وجهله آخرون .

ونرى أن أغلب هذه المعاني - إن لم نقل جميعها- مرتبطب بالمعنى اللغوي للغريب، فقد مر بنا أن الغريب هو الغامض، البعيد، كما مر بنا أن الغريب من الشعر هو الحدث في الرأس لم يكن قبل .

إذن - وبعد كل هذا - لا علاقة لهذه المعاني (الخاصة بغريب القران) بما هو خلاف الفصاحة، ولو أردنا أن ندون ما ذكره القدامى والمحدثون بما يخص تبجيلهم ومدحهم للغة القران وأسلوبه البليغ لاحتجنا إلى عشرات الصفحات إن لم نقل عشرات المجلدات، ونكتفي بذكر بعض ما قالوا وعلى النحو الآتي:

إلى معنى جديد أو طوره بحيث لا يدل إلا بقريته، ومنه ألفاظ لم ينطق بها العرب قبل القرآن الكريم ومنه ما اقترضته العربية من لغات قبل نزول القرآن الكريم وعرفه بعض العرب وجهله بعضهم الآخر فهو غريب على من جهله» .

وخالصة ما ذكره الدارسون أن مفهوم الغريب في القرآن الكريم يدور في المعاني الآتية:

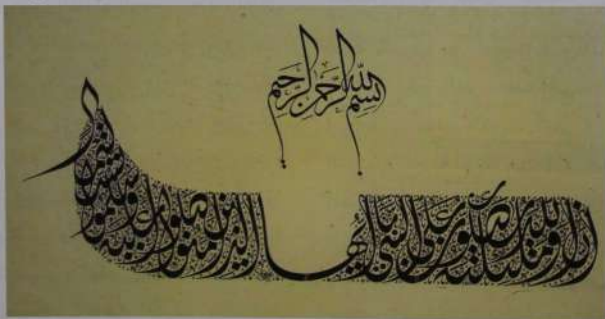
١- الغامض أو غير المعروف عند المتبحرين باللغة والعارفين بها، وهم يجمعون على أن الأمر نسبي من حيث المكان والزمان .

٢- ما تداول استعماله الأول دون الآخر .

٣- جدّة المعنى .

٤- الألفاظ التي لم ينطق بها العرب قبل

القرآن .



في ألفاظه... الخاصة الثانية البلاغة في المعاني... الخاصة الثالثة جودة النظم وحسن السياق...»^(٢٣).

٥- السيوطي: يتحدث في اقتراحه عن السماع فيقول: «أما القرآن فكل ما ورد انه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً»^(٢٤).

٦- بنت الشاطئ: «ثم تبقى الكلمة القرآنية فوق ذلك كله، متفردة بجلالها وإعجازها»^(٢٥).

٧- د. محمد ضاري حمادي: «إن العربية لم تشهد ولن تشهد ما يدنو من القرآن فصاحة وبلاغة»^(٢٦).

الخاتمة

تطرق هذا البحث إلى مفهوم الغريب في القرآن الكريم، وقد مهّد له الباحث بما تعنيه الغرابة في المعجمات وعند علماء البلاغة، وقد خلص البحث إلى نتائج عدة أبرزها أن معنى الغريب الذي في القرآن الكريم لا علاقة له بما هو خلاف الفصاحة المعروف عند البلاغيين، وإن القرآن الكريم بريء من عيوب الألفاظ وعيوب التراكيب، وقد درجنا بعض النصوص التي تشهد بذلك وتؤكد أن القرآن الكريم - كان وما

١- ابن قتيبة: يتحدث عن القرآن الكريم قائلاً: «وجعله متلوّاً لا يمل على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجه الأذان، وغضاً لا يخلق على كثرة الرد وعجيباً لا تنقضي عجائبه...»^(٢٧).

٢- الرماني: ذهب الرماني إلى أن التأليف على ثلاثة أضرب: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا، ويرى أن المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله^(٢٨).

٣- الوليد بن المغيرة: «والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر...»^(٢٩).

٤- يحيى العلوي اليميني: عقد العلوي في الجزء الثالث من الطراز فصلاً في بيان الوجه في إعجاز القرآن واختار منها رأياً فقال: «والذي نختاره في ذلك ما عُوّل عليه الجهابذة من أهل هذه الصناعة الذين ضربوا فيها بالنصيب الوافر واختصوا بالقدح المعلى والسهم القامر، فإنهم عوّلوا في ذلك على خواص ثلاث هي الوجه في الإعجاز، الخاصة الأولى الفصاحة

- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م .
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م .
- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين المعروف بابن الهائم، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م .
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: سمير طه المجذوب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨ م .
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، تحقيق: طارق فتحي السيد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت) .
- التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) .
- تفسير غريب القرآن، محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني، تحقيق: د.

يزال - حجة ومعجزة عند البلاغيين .

ثبت المصادر والمراجع :

الكتب المطبوعة

- القرآن الكريم
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٤ م .
- أساس البلاغة، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٥ م .
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، (د.ت) .
- الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، قدّم له وبوبه وشرحه: د. علي يوم لحم، منشورات دار الهلال، بيروت، ط الأخيرة، ٢٠٠٦ م .
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٩٧٢ م .

زيد بن علي بن الحسين، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلاي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، ١٤١٨ ق، ١٣٧٦ ش .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩ م .

- كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم نظرات فيما أشير من شبهات وأوهام، د. محمد محمد داود، دار المنار، القاهرة، ٢٠٠٧ م .

- لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، ط ١، ١٩٨١ م .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: الشيخ: كامل محمد محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٨ م .

- مختصر البيان في غريب القرآن، عادل البدري، مؤسسة الإمام صاحب الزمان، مطبعة أسوة، قم، ط ١، ١٤٢١ هـ - ق .

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت).

عبد الرحمن عميرة، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، مصر، (د.ت).

- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي، الدار العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٩ م .

- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، اعتنى به وخرج فهارسه: د. داود غطاشة، دار الفكر، الأردن، ط ١، ٢٠٠٦ م .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ م .

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلوي اليمني، تحقيق: عبد المجيد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م .

- العمدة في غريب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط ١، ١٩٨١ م .

- العين (ترتيب)، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وزميله، تصحيح اسعد الطيب، انتشارات أسوة، مطبعة باقري، قم، ط ١، ١٤١٤ هـ - ق .

- غريب القرآن المنسوب إلى الشهيد

- (١٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩ .
 (١٦) تذكرة الأريب: ١٣ .
 (١٧) ينظر: المثل السائر: ١٥٨/١ - ١٦٠ .
 (١٨) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ٤٠ .
 (١٩) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٥٣٧ .
 (٢٠) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٩١ .
 (٢١) الإتيان: ١٧٢ .
 (٢٢) لغة القرآن الكريم: ٤٥٨ .
 (٢٣) العمدة في غريب القرآن (مقدمة المحقق): ١٤ .
 (٢٤) تاريخ آداب العرب: ٥٨/٢ .
 (٢٥) مختصر البيان في غريب القرآن: ١ / ٧-٨ .
 (٢٦) التبيان في تفسير غريب القرآن (مقدمة المحقق): ٧ .
 (٢٧) كمال اللغة القرآنية: ١٣٤-١٣٥ .
 (٢٨) تفسير غريب القرآن للسجستاني (مقدمة المحقق): ٦ .
 (٢٩) محاضرات الدكتور صباح السالم على طلبية الدكتوراه (٢٠٠٩-٢٠١٠م) .
 (٣٠) تأويل مشكل القرآن: ١١ .
 (٣١) ينظر: سر الفصاحة: ٩٢ .
 (٣٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/٥٧ .
 (٣٣) الطراز: ٣/٢٢٤ .
 (٣٤) الاقتراح: ٢٤ .
 (٣٥) الإعجاز البياني للقرآن: ٥٠٨ .
 (٣٦) الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: ٢٨٤ .

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها .
 د. احمد مطلوب، مكتبة لبنان - بيروت، إعادة طبع ٢٠٠٠ م .
 - مقاييس اللغة، ابن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م .

المخطوطات

- محاضرات الدكتور صباح عباس السالم على طلبية الدكتوراه جامعة بابل كلية التربية (٢٠٠٩-٢٠١٠ م) .

هوامش البحث

- (١) العين: ٣/١٢٢٢-١٢٢٥ .
 (٢) الصحاح: ١/١٩١-١٩٣ .
 (٣) مقاييس اللغة: ٧٨٦ .
 (٤) أساس البلاغة: ٢/١٥٩ .
 (٥) المصباح المنير: ٢/٤٤٤ .
 (٦) تاج العروس: ٢/٢٧٤-٢٨٨ .
 (٧) كشف الظنون: ٢/١٩٩ .
 (٨) التعريفات: ١٦١ .
 (٩) غريب القرآن المنسوب إلى الشهيد زيد (مقدمة المحقق): ٦٠ .
 (١٠) ينظر: محاضرات الدكتور صباح السالم على طلبية الدكتوراه جامعة بابل (٢٠٠٩-٢٠١٠ م) .
 (١١) ينظر: سر الفصاحة: ٥٨-٨٤ .
 (١٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨ .
 (١٣) ينظر: الطراز: ١/٦٠ .
 (١٤) ينظر: سر الفصاحة: ٩٢-١٦٠ .

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
لِقُرْآنِ الْعُرَى وَمَنْ
أَخْرَجَهُ عَلَى لِسَانِ الْعَدْوِ أَلَدِهِ
الْحَكْمَ فَذُرِّيَّتِي لَوْ كُنْتُ
مُتَّبِعًا لِمَا يُرَى مِنَ
بَشَرِ الْأَمْمَةِ

مُضَلَّجٌ بِعَجْرٍ

عَجْرٌ
عَجْرٌ
عَجْرٌ



الملخص:

الكريم من خلال كلمة (يَسْأَلُونَكَ): إذ وردت هذه الصيغة خمس عشرة مرة في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضوعاً . فقد جاء قسم منها بغير الواو، وآخر بالواو، والسبب أن سؤالهم عن تلك الحوادث وقع في أحوال متفرقة، فلم يؤت معها بحرف عطف؛ لأن كل واحد من تلك الأسئلة سؤال مستقل. وسألوا عن المسائل الأخر في وقت واحد؛ فجاء بحرف الجمع (٢).

و كان «الإنفاق» من بين ما كان مسؤولاً عنه في سورة البقرة المباركة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٥). فجاء ذلك ليحدد الإنفاق، وطرائقه، ومستحقه... في أجواء من التعاون والألفة...

وكذلك فقد اهتمت السنة النبوية اهتماماً كبيراً بالسؤال والحث عليه، لإيضاح ما أيهم على الأمة، فقال رسول الله ﷺ: (العلم خزائن الله ومفتاحه السؤال فسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والمعلم والمستمع والمحبه له) (٣).

تقف هذه الورقة على توضيف مفهوم السؤال في سياق الإنفاق، والحث عليه، وبيان موارده، وكان ذلك في سياق سورة البقرة المباركة؛ إذ تكلمت آيتها الخامسة عشرة بعد المتين على موارد الإنفاق فذكرت مستحقه من الوالدين، والأقربين، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل...؛ فجاءت هذه الورقة لتتأمل في ذلك على نحو سياقي ...

واللافت أن هذا الإنفاق قد تجلّى التعبير عنه بمفهوم «خير»؛ وذلك إشارة إلى تكريس مفهوم عدم المنّ، وعدم الأذى عند الإنفاق... فضلاً عن إشاعة روح التكافل بين أفراد الجماعة البشرية؛ وصولاً إلى خلق حالة من الحب، والشعور بالأنس والأمن ...

توطئة:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالسؤال عما لا يعلمون؛ فقال ﴿ قَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)؛ لذلك ترى المسلمين في الصدر الأول كانوا يسألون الرسول ﷺ عما لا يعلمون، وعما يشتهه عليهم. وهذا ما نجد مصاديقه في القرآن

ثانياً : سبب نزول الآية المباركة :

ورد في سبب نزول الآية المباركة قولان: أحدهما: قال ابن عباس — رضي الله عنه — في رواية أبي صالح^(٤) نزلت في عمر بن الجموح الأنصاري^(٥) . وكان شيخاً ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا أتصدق؟ وعلى من أتصدق؟ فانزل الله هذه الآية^(٦) . والآخر: جاء في زاد المسير (ما رواه عطاء^(٧) عن ابن عباس — رضي الله عنه — قال: إن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن لي ديناراً فقال أنفقه على نفسك، فقال: إن لي دينارين، فقال: أنفقها على أهلك، فقال: إن لي ثلاثة، فقال: أنفقها على خادمك، فقال: إن لي أربعة، فقال: أنفقها على والديك، فقال: إن لي خمسة، فقال: أنفقها على قرابتك، فقال: إن لي ستة، فقال: أنفقها في سبيل الله، وهو أحسنها، فنزلت هذه الآية^(٨) .

و أميل إلى القول الأول لأنه أكثر توافقاً مع الآية المباركة، وهو الأمر الذي شغل المسلمين كثيراً فسألوا لأجله، وهذا لا يمنع أن يكون السبب الآخر صحيحاً أو مطلوباً في هذا السياق.

ثالثاً : علاقة الآية المباركة بما

قبلها :

وجه اتصال الآية المباركة بما قبلها من قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِرِينَ ﴾ وَالضَّرَّاءُ وَرَزَّلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٤١﴾ ففي هذه الآية المباركة دعوة إلى الصبر على الجهاد في سبيل الله تعالى، وفي الآية المباركة محل البحث بيان لوجه النفقة في سبيل الله سبحانه، وكل ذلك دعوة إلى فعل البر^(٩) .

رابعاً : النسخ :

اختلف العلماء في هذه الآية المباركة هل هي منسوخة أو محكمة ؟ فقد جاء في تفسيري جامع البيان والتبيان ما يشير إلى أنها منسوخة بفرض الزكاة^(١٠) . وقيل إنها منسوخة بأية الصدقات في براءة^(١٢) . وذهب الحسن البصري إلى أنها غير منسوخة^(١٣) ، وهذا ما أيده الشيخ الطوسي إذ قال: (وهو الأقوى لأنه لا دليل على نسخها)^(١٤) .

وجاء كذلك في نواسخ القرآن (أن الآية عامة في الفرض والتطوع فحكمها ثابت غير منسوخ؛ لأن ما يجب من النفقة على الوالدين والأقربين إذا كانوا فقراء لم ينسخ بالزكاة،

رسول الله ﷺ ونتيجة هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة: فإن كثيراً من المهاجرين الذين تركوا كل غالٍ ونفيس بها متوجهين صوب المدينة أخذهم عشق الإسلام ورسوله الكريم ﷺ كانوا يعيشون بضيق في المدينة

عندها أصدر الباري عز وجل في مثل هذه الظروف أوامر متتالية حول الإنفاق ليكون نوعاً من التكافل^(١١).

(من خير)

المال الذي سأل الصحابة من أجله الرسول ﷺ فأجابهم الله تعالى عنه بما جاء في هذه الآية المباركة^(١٢).

ويأتي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقُوتُ مِنْ خَيْرٍ فَأَنَّ اللَّهَ بِوَجْهِهِ عَلِيمٌ﴾ «فهذا يتناول القليل والكثير لشمول اسم الخير لجميع الإنفاق الذي يطلب به وجه الله»^(١٣).

وما يتطوع به لم ينسخ بالزكاة، وقد قامت الدلالة على أن الزكاة لا تصرف إلى الوالدين والولد. وهذه الآية بالتطوع أشبه، لأن ظاهرها أنهم طلبوا بيان الفضل^(١٤).

وأميل إلى إحكامها لعدم توافر أدلة تثبت نسخها.

خامساً: المعنى العام:

ذكر القرآن الكريم في آيات كثيرة الإنفاق والبذل في

سبيل الله تعالى، وحث المسلمين بطرائق كثيرة على الإنفاق، والأخذ بيد الضعفاء. ونلاحظ أن الجزء المهم في قضية الإنفاق جاء في سورة البقرة: لأنها نزلت في مدينة



الْمُنْفَق عَلَيْهِمْ :

أما الجزء الآخر من الآية المباركة فجاء فيه بيان المستحقين لهذا الإنفاق، فيبدأ بالوالدين والأقربين .

وقد روي عن النبي ﷺ إخبار في البدء بالأقرب فالأقرب فالأقرب في النفقة. ومن ذلك حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول...) (٢١٤) .

والمراد بالوالدين: الأب والأم، والجد والجددة وإن علوا؛ لأنهم يدخلون في اسم الوالدين . أما الأقربون فهم أقارب المعطي، أي صلة الأرحام التي أوصى الله تعالى بهم في كتابه العزيز (٢١٥) .

ثم ينتقل إلى (اليتامى). واليتيم في اللغة هو كل طفل فقد أباه، ولا يقال لمن فقد أمه من بني الإنسان أو غيره يتيم، بل يقال له: عَجِي، إذ يربي بتغذيته بلبن غيرها، كما يقال لفاقد أبويه معاً لطيم، ولم يرد اصطلاح خاص في اليتيم فالمعنى اللغوي هو الاصطلاح (٢١٦) .

وَأَمَّا (المساكين). فالمسكين: هو المحتاج الذي شأنه أن تسكنه الحاجة عما ينهض به الغنى (٢١٧) .

وإنَّ هناك فرقاً بين الفقير والمسكين؛

فالفقير باصطلاح الفقهاء هو من لا يملك قوت سنته لنفسه ولعائلته بالفعل أو بالقوة. في حين أَنَّ المسكين أسوأ حالاً من الفقير، كمن لا يملك قوته اليومي (٢١٨) .

وأخيراً تذكر الآية المباركة (ابن السبيل). والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة، وجمعه سُبُل. ويعني كذلك طريق الحق ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢١٩) . وقيل لسالكه سابل . وجمعه سابلة، و(ابن السبيل) المسافر البعيد عن منزله. «ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيراً كان أو شراً» (٢٢٠) .

وقوله تعالى ﴿وَمَا تَشْفِقُوا مِنْ حَسْبِرِ قَارِكِ اللَّهِ يَوْمَ عِلْيَقٍ﴾ أي ما تفعلوا من خير فإنَّ الله تعالى يُجازي عليه، من غير أن يضع منه شيء؛ لأنَّه عليم لا يخفى عليه شيء (٢٢١) .

ويستفاد من الآية المباركة حثها على الإنفاق، والتكاثر (٢٢٢)؛ لأنَّه أمر جميل وحسن. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يأتي استعمال كلمة (خير) على نحو مطلق؛ للإشارة بها في هذا السياق إلى أَنَّ الإنفاق ينبغي أن يكون غير مصحوب بأذى . وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءً أَنَّ هُنَّ لَتَيُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَشَلَهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ

(٦) ينظر: أسباب نزول الآيات، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤-٤١. ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٧٠/٢.

(٧) هو أبو محمد عطاء بن يسار أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة - رضي الله عنها - الفقيه الواعظ (ت ١٠٣هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٩٠/١.

(٨) زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) / ١١١-٢١٢، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط ١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، دار الفكر، بيروت - لبنان، ص ١١١ / ٢١٢.

(٩) البقرة / ٢١٤.

(١٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي ٢٠٠/٢.

(١١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تقديم خليل الميس / ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٩٥، ص ٤٦٧/٢، التبيان في تفسير القرآن ٢٠٠/٢.

(١٢) ينظر: نواسخ القرآن، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٧٩.

(١٣) هو الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري ثقة فقيه فاضل مشهور (ت ١١٠هـ). ينظر: صفوة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الحديث، القاهرة - مصر ٢٠٠٠، ص ١٢٧ / ٢.

عَلَيْهِمْ رِثَابٌ فَاصَابُهُ، وَإِبِلٌ فَفَرَكَهُ صَدْلًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَسَمٍ بَرَزَتْهُ أَصَابُهُ وَإِبِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَتِ فَإِنْ لَمْ يُصَبِّهَا وَإِبِلٌ قَطَلُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾.

الهوامش

- (١) النحل / ٤٣.
- (٢) ينظر: المسائل العكبيرة - للإمام محمد بن محمد بن نعمان بن المعلم أبي عبد الله العبكري البغدادي الملقب بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الخرساني، ط ٢، دار المفيد ١٤١٤ - ١٩٩٣، ص.
- (٣) مسند الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢)، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص ٤٤٥.
- (٤) أبو صالح السمان ذكوان المدني شهد حصار عثمان - رضي الله عنه - وسمع من ابن عباس وغيره. وعدوه من الصحابة، (ت ١٠١هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ - للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ط ١، دار أحياء التراث العربي، ص ٨٩ / ١.
- (٥) عمر بن الجموح، صحابي قاتل في أحد، على الرغم من أن لديه العذر الشرعي. وكان أعرج، لكنه أصر على القتال والشهادة في سبيل الله، بعد أن أذن له الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ينظر: الجهاد والشهادة، معهد الإمام الخميني للدراسات الإسلامية، كربلاء المقدسة - العراق، ص ٥-٦.

بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥) ،
تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢، منشورات طليعة
النور، (سبل) ٣٩٥ .
(٢٦) التبيان - للطوسي ٢/٢٠١ .
(٢٧) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ٢/٦٣
- ٦٤، الإنفاق في سبيل الله، عز الدين بحر العلوم،
مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٨، ص ١٢٢ .

(٢٨) البقرة ٢/٢٦٤ .

(٢٩) البقرة ٢/٢٦٥ .

(١٤) التبيان في تفسير القرآن ٢/٢٠٠ .
(١٥) نواسخ القرآن- ابن الجوزي ٧٩ .
(١٦) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل -
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، الأمير للطباعة
والنشر، بيروت - لبنان ٢٠٠٥، ص ٢ / ٦٣ .
(١٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن
٢/٤٦٧ .
(١٨) أحكام القرآن - أبو بكر بن علي الرزاي
النجصاص (ت ٢٧٠ هـ) ، ضبط: عبد السلام
محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، ص ١ / ٢٨٧ .

(١٩) أخرج البخاري بلفظ آخر (اليد العليا هي
المنفقة والسفلى هي السائلة) باب «لا صدقة الا عن
ظهر فني» صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد
ابن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق:
خليل مأمون شيحا، ط٢، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، دار
المعرفة، بيروت - لبنان، ح ١٤٢٧ / ٤٠٠ .

(٢٠) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز -
أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦) ،
تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٩٩٣،
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ٢ / ٥٢١ .
(٢١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٤٠٥، (يتم)
١٢ / ٦٤٥ .

(٢٢) المصدر نفسه ٥/٦٠، مادة (فقر) .
(٢٣) ينظر: رسالة توضيح المسائل - الشيخ محمد
تقي بهجت ٣٥٨، منشورات شفق قم المقدسة،
ص ٣٥٨ .

(٢٤) الزخرف ٤٣/١٠ .

(٢٥) مفردات ألفاظ القرآن - أبو القاسم الحسين



صورة الكافر في الخطاب القرآني

دراسة سيميائية

د. مهدي راضي عبد السادة



الملخص

تتبعها خُطوات.. غيرَ أن هذا الامر، مرتبطٌ بالغاية الكبرى من وراء الخلق، حين يكون (الإنسان) مكلفاً بتأدية مهمة (الاستخلاف).

وكانت هناك مجموعة مفاهيم يتكلم عليها السياق القرآني في إطار المفهوم العام للكفر، وهذه المفاهيم هي (الإلحاد)، و(الإسراف)، و(المكر)، و(الشرك)، و(النفاق)، وكانت هذه المفاهيم تأتي لتشكّل المفهوم الأوسع، وترسم ملامح صورة الكافر.

لقد أطلق الخطابُ القرآني مفهوم (الكافر) على فئةٍ من الناس في مواضع متعددة، وهو يقابل مفهوم (المؤمن). وذلك يعني اتخاذهم طريقاً مخالفاً لما أراه الله سبحانه وتعالى. وقد بينَ لهم ربُّهم طريقَ الإيمانِ والسَّعادة، وحذَّرهُم من طريق الكُفر والشَّقَاء.

وحين يتفضَّلُ الخالقُ - جَلَّ وَعَلَا - على الإنسانِ بنعمةِ الوجودِ، بعد أن كان عدماً، فإنَّ هذا الوجودَ بذاته، علامةٌ سيميائيةٌ على نِعَمٍ أُخرى متتابعة، فالإيجادُ خطوةٌ



المدخل

لقد انطلق الخطابُ القرآنيُّ من الجذر اللغوي للفعل (كفر) الذي يعني في اللغة: (سَتَرَ الشيءَ)^(١)، وقد تبين أن هذا الخطاب المقدّس، حين يطلق صفة الكفر على (الإنسان) بشكل عام، فيقصد بها معناها الأصلي (السَّتْر) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا يَنْعَمَ اللَّهُ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٢)، غير أن ذلك، سرعان ما أصبح مصطلحاً قرآنيّاً في المنظومة الفكرية الإسلامية بمعنى خاص: إذ أصبح يطلق على الإنسان الذي ينكر وجود الله تعالى، أو على المشرك، وهذا مما لم يكن مذكوراً بهذا المعنى في لغة العرب. لقد أسس الخطابُ القرآنيُّ لنفسه، مجموعة من المصطلحات كي يستعين بها على شرح مفاهيم الإيمان والضلالة وغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الْكُفْرَوتَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٣)، إنَّ عَدَمَ الاعتراف بما يعبده الكافرون، تمييزٌ واضحٌ بين خطيئتين متنافرتين، لا يمكن أن يلتقيا، وهذا التناهُرُ مدعاةٌ لبناء أسس فكرية، وعقائدية، وسلوكية تختلف عن أسس الكافرين جملةً وتفصيلاً.

لقد قدّم الخطابُ القرآنيُّ مفهومَ

(الإلحاد)، بوصفه عَدَمَ الاعتراف بوجود خالق لهذا الكون، على أنه درجةٌ متقدمةٌ من درجات الكفر بالله تعالى، وقد اتخذ الخطابُ مع الملحدين طريقاً عقلياً فأثبت وجود الآيات الدالة على خلق الباري- عزَّ وجلَّ- لها، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا تُرَجَعْنَا إِلَى رَبِّكَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ۝١٤﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَيْلَ لِيَأْسَوا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ ذُشُورًا ۝١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝١٧﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَشُقِيهٖ، وَمَا خَلَقْنَاكُمْ أُنثُمًا وَآنَاسِيًّا كَكثيرًا ۝١٨﴾. إنَّ تعدُّد النعمِ الإلهية، وكثرتها يجعل تعداها أمراً مستحيلاً، فلا يستطيع أيُّ أحدٍ احصاءها غير خالقها، وأن ذكرها جميعاً لا يستوعبه كتابٌ واحدٌ، ولذا يكتفي الخطابُ القرآنيُّ بذكر نماذج منها ليس إلا.

إنَّ الظلَّ علامةٌ على وجود الشمس، حين يحجبها شيءٌ.. وما أقرب هذا التعبير من مفهوم (الكفر)، الذي يعني (سَتَرَ الشيء) فيكون المطلوب، إزالة الحاجب عن الشمس، حتّى تصل بأشعتها إلى كلِّ مكان، ووجود الشمس بضوئها الساطع، دليلٌ على وجود

من أجل الوقوف على حقيقة خطيرة، مفادها أن الإنسان حين ينكر وجود (إله) لهذا الكون، واحد لا شريك له، يظلم بذلك (الإله) الحقَّ ويُعرض عنه؛ فيظلم نفسه، وكلُّ ذلك لأجل وساوس الشيطان.

لقد قدّم الخطاب القرآني شخصية (المُلجّد) المُنكِر لوجود الله تعالى، واضحة من خلال عددٍ من النماذج، لعلَّ من أشهرها، وأوضحها شخصية (فرعون) وتناول الكيفية التي اتبعها في صدِّ النَّاس عن الإيمان بالله، وتنصيب نفسه (إلهاً) بدلاً عنه.

وقد قدّم هذا التوصيف من خلال طغيانه، وإفساده في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَمَرَ لَمُوسَىٰ إِلَّا ذَرِيَّتُهُ مِمَّن قَوْمِهِ عُلَىٰ حَوْبٍ مِّن قُرْعُونَ وَمَلَأْنَاهُمْ أَنْ يَفِنُّهُمْ وَإِنْ قُرْعُونَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٥)، إنَّ إطلاقَ صفةِ العلوِّ والإسراف، من أشبع الصفات التي يتضح من خلالها، ابتعاد هذا الإنسان عن ربِّه الحق، وجعل نفسه موجوداً مستقلاً في قبال الله تعالى، أو كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْعُونََ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَصِفُّونَ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدْعُونَ أَنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٦).

ذلك الظلُّ فتبدو المقارنةُ بين الشَّمس والظلِّ؛ لإقامة صورةٍ حيَّة، ومشهد متحرِّك لاستحضار الحياة العقلية التي يعيشها من أغرق نفسه في ظلمات الكفر، ومع ذلك فإنَّ الباري - عزَّ وجلَّ - يستطيع أن يتركه في حاله هذا، غيرَ أنَّ رحمته بعباده، تقضي بإرسال الرُّسل، وتوجيه العقول إلى جادة الصَّواب والهداية.. ثمَّ إنَّ الإيقاعَ المتقارب بين لفظه (الظلُّ) و (الظلال) عند الجمع، وبين (ضلُّ) الدَّالة على عدم الهداية و (الضلال)، كلُّ ذلك يدفع إلى أنَّ هذه الصورة، تمثِّل المعادلَ الموضوعيَّ لحالة الكافر التائه، الذي يعيش بعيداً عن ضوء الحقيقة السَّاطع. فيكون (الظلُّ) ومدُّه، أو سكونه، ثمَّ قبضه علامةٌ سيميائيةٌ دالةٌ على حالة إنسانية، مرَّ بها كثيرٌ من النَّاس حين يتركون الهدى ويستحبون الضلالة.

ثمَّ يسترسلُ الخطابُ للتذكيرِ بِنِعَمٍ أُخرى، كنعمة اللّيل، والنَّوم، وتخصيصُ النهار للحركة والعمل، أو حركة الرِّياح حين تكون سبباً في نزول المطر وإحياء الأرض وسقي الأنعام والناس. إذن فجميع هذه التفاصيل تبعثُ النشاط والحركة في الدَّهن؛ لتدبُّر المعاني العميقة التي يبثها الخطابُ القرآنيُّ

الأقوياء العالين، إلى بني إسرائيل الأذلاء المستضعفين وتبدل من الأسباب ما كان على بني إسرائيل لهم، وما كان لآل فرعون عليهم^(٨). إنَّ الخطابَ القرآنيَّ «يمسك بالأحداث، ويحرِّك الأشخاص، وينقل ما يقولونه مسبقاً بـ قال.. فهو المهيمن على فنِّ القصِّ.. وهو من طبيعة الفنِّ القصصي المسرود الذي عرَّفته البشرية فيما بعد.. ولقد سبق القرآنُ الكريمُ محاولات البشر في الهيمنة على النص القصصي»^(٩).

إنَّ تجسيدَ شخصية فرعون من خلال استعراض أفعاله، وأقواله يبيِّد البعد الرَّمزي للشخصية الشاذة، التي تحاول أن تفعل أيَّ شيء؛ من أجل قمع الصوت (الأخر) الذي لا يتناغم، ولا ينسجم مع المفهوم العام للإسراف والظلم، فتبدو هذه

إنَّ الدلالات المنبعتة من التَّوصيف المتقدم، يوضح بجلاءً طبيعة شخصية (فرعون)، وقد كان هذا «الطغيان سبباً في صدِّ كثيرٍ من النَّاس عن الإيمان بالله، وبرسالته إلى موسى ﷺ، وحتَّى القلَّة التي أمنت به كانت تعيش في زعب دائم من فرعون وأعوانه»^(٧)، فهو قد جعل النَّاس (شبيحاً)؛ أي جماعات، أو إنَّه قد أوجد (الطبقية) في المجتمع؛ بحيث تكون لطبقة معينة امتيازات خاصة، على حساب طبقة مسحوقة مستضعفة، فضلاً عن كثرة القتل التي أصبحت سمة لبني إسرائيل في عهده، حين يقتل أبناءهم، ورجالهم ويستبقي نساءهم للخدمة، وذلك هو الإفساد بعينه.. وأمام هذا الجور المرعب المملوء بالخوف، نجد أنَّ الإرادة الإلهية تقضي بأن «تحوَّل ثقل النعمة من آل فرعون



جاءت من المقرَّبين، فلا بدَّ أن يظهر بمظهر العالم بكلِّ دقائق الأمور، وأدعاء التخطيط الأمثل للمستقبل، واستشراف الأحداث قبل وقوعها، وأنَّ ما يقوله هو الحقُّ المطلق، ولا سبيلَ إلى ردهُ أو تغييره، وذلك هو حال الطغاة على مرِّ التَّاريخ، فمواصفاتهم التي يقدِّمها الخطابُ القرآنيُّ، لم تتغير إلى يومنا هذا، ومن هنا تأتي أهمية التركيز على بعضِ الشَّخصيات، ومنها شخصية فرعون على وجه الخصوص، إذ يمثِّل الصورة القبيحة للإنسان، حين يتمرد على كلِّ شيء يمثِّل الحقيقة والفضيلة، ويصل به الأمرُ إلى استعباد النَّاس، وترتيب عقائدهم وفق الوجهة التي يريدُها هو، وحين يُؤمن أحدهم بمعتقدٍ آخر، فعليه أن يقدِّم حياته ثمناً لذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السِّحْرَ سِحْرًا فَأَلْوَاهُ أَسْبَابَ هُرُونَ وَمُوسَى ۗ قَالَ أَسْمُهُمْ، قَبْلَ أَنْ مَادَّنَا لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قِطْعَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلْبَيْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَعَلَّكُمْ آيَاتًا أَشَدَّ عَذَابًا وَآيَاتٍ ۗ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ آيَاتِنَا أَلَيْسَتْ بِالْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَائِلٌ إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ إِنَّمَا أَسْأَلُ رَبِّي لِيُغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَرْهَنَّا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَاقٍ ۗ﴾ (١١١).

الشخصيةُ نافرةٌ عن المستوى الإنساني الذي أودَّعه اللهُ تعالى في خلقه، فتكون الرحمةُ بين النَّاس، الوجه الأبرز في وجودهم، ويبدو أنَّ تكاثر النَّعم، قد يدفع بالإنسان إلى الطغيان، حين يرى كلَّ شيءٍ مسخرًا له، وفي خدمته فيأمر النَّاسَ وينهاهم، ولا يجد غيرَ الطاعة العمياء منهم فيظن -واهما- أنَّ كلَّ ما تقع عليه عيناه مُلكٌ له كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۗ﴾ (١١٠) .. إنها العزةُ بالإثم، حين يعيش فيها الطاغيةُ، ويتناسى كلَّ ما من شأنه أن يعكِّرَ عليه صفو مزاجه، ويصلُ الأمرُ به إلى أن تكون أقواله وأفعاله، هي القانون الذي يجب أن يسيرَ عليه النَّاس، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فاعْلَمْتُم كَذِبَهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ۗ﴾ (١١٨) يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرًا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۗ﴾ (١١١)، إنَّه لا يقبل النصيحة، وإن

لقد وقعت الحادثة بعد أن تغلب موسى ﷺ على سحرة فرعون ورأوا ما أظهره لهم من حقيقة لا تشبه خدعهم وسحرهم، فأيقنوا أن ما جرى أمامهم ليس من جنس سحرهم، وإنما هو نابع عن قوّة هائلة لا يمكن أن تقارن بقوّة فرعون، فجاء إيمانهم عقب الحادثة بشكل مباشر، مما دعّا فرعون إلى الغضب، فهؤلاء من أعوانه المقربين- كما يبدو- ولهم المنزلة القريبة منه. ويشكل إيمانهم بموسى ﷺ فضيحةً أمام تلك الجموع الغفيرة التي اجتمعت، لمشاهدة ما يجري بين موسى ﷺ، والسحرة الذين اجتمعوا بأمر من فرعون، حتّى يُبطل أمامهم مزاعم من يدّعي وجود (إله) آخر غيرة، وقد حدث عكس ما كان يتوقعه تماماً، فقد افتضح أمر السحرة وكذبهم، ومما زاد في حرج موقفه إيمانهم بدعوة موسى ﷺ «إن فرعون ينكر عليهم أن يؤمنوا قبل أن يأذن لهم.. كأنّ عملية الإيمان تحتاج الى الإذن الفرعوني، كما يحتاج إليها أي عمل آخر، يتعلق بقضايا الإدارة والحياة.. وتلك هي سيرة الطغاة، وعقليتهم في كلّ زمان ومكان»^(١٢) وبدلاً من أن يتأمل في السر الذي جعل السحرة ينقلبون هذا الانقلاب

المفاجئ، فإنّه يتخذ طريق الطغيان، ورفض علامات الهداية فيأمر بقتل هؤلاء بطريقة قاسية كما في قوله تعالى: ﴿لَأَطِئَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّتَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١١). إن طريقة قتل السحرة لا تخلو من جانب علاماتٍ واضح، فإن فرعون يحاول أن يستبق الأحداث، ويقطع الطريق على من يتأثر بإيمان السحرة من الناس؛ فيأمر أمامهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف: أي أن تقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى.. وهكذا، وفي ذلك النوع من العقوبة، ما يحجز كثيراً من الناس، بسبب الرعب الذي بثّه فرعون في قلوب الجماهير، وهي تسمع وترى ما يحدث، ثم لا يكتفي بذلك حتّى يصلبوا جميعاً، ويجعل بذلك (الإيمان) جريمة يعاقب عليها المؤمن أشدّ العقاب. إن الكفاءة الإنجازية التي يمثلها فرعون تتمظهر من خلال إصراره على الطغيان والكفر، على الرغم من كلّ الآيات والمعجزات التي شاهدها بعينه، ولم يكتف بذلك بل يحاول قتل موسى ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

وتكون الغاية منه، أن يرتقيه فرعون كي يرى (إله موسى) وكأن الله تعالى جسمٌ مادي، يجلس في زاويةٍ من زوايا السماء، كما يوحي بذلك إلى مستمعيه، غير أنه لا ينسى أن يوجّه الخطابَ توجيهاً، يبدو أقرب إلى إقناع الناس حين يقول: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ﴾ فهو يقدم النتيجة سلفاً، وما يقوم به محاولة لإثبات كذب موسى: أي كأنه يريد أن يقدم الدليل الملموس لقومه على عدم وجود (إله موسى) وبالتالي يثبت كذبه ويبطل مزاعمه.. إنه لا يدخر وسعاً في إبطال دعوة الحق، واتباع أساليب عدّة، ولو كان بعضها ملتويّاً، من أجل الوقوف بحزم في وجه دعوة التوحيد.. فماذا كانت النتيجة؟ إن إنساناً بهذه المميزات من الطغيان والإسراف والمكر، لا يمكن أن يهتدي ولا يمكن أن يترك الناس، لتسير في طريق الهدى، فهو يمثل حَجَرٍ عَثْرَةٍ في طريق الرّسالة، حين يُلغي (الأخر) تماماً، ويمارس معه شتى صنوف الإقصاء فقد ((أذرك فرعونُ إن ادعاه للربوبية ليس أمراً هيئاً تقبله العقول، لذا نراه غير مستقر من دعواه (ما علمت) إذ لم يجزم بالأمر الذي ادعاه، ولم يقطع الدعوة الأخرى (واني

أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) ^(١٥)، غير أن الله تعالى يُنجي رسوله، ويحفظه من كيد فرعون وجبروته.

ولا ينسى فرعون أن يظهر بمظهر، الخائف على دين قومه من التحريف، أو التغيير من صاحب الدعوة الجديدة، لئلا يظهر الفساد وينحرف الناس، فهو يلجأ إلى الجانب الإعلامي من أجل كسب صفوف الناس إلى جانبه، فقد يتساءل بعض من قومه، عن سرّ العدا بينه وبين موسى ﷺ، فيأتي جوابه واضحاً بدافع الحرص على دين قومه وحجبهم عن الفساد، ويصل الأمرُ به إلى إظهار نوع جديدٍ من المكر والحيلة، حين يحاول التشويش على عقول قومه وإظهار نفسه بمظهر الإنسان المنصف الذي يقتنع بالحقيقة وإن ظهرت من عدو.

كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي آتِيهَا أَلَمًا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا مَلِكُ عَلَى الطَّيْرِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطِيعُ إِلَٰهَ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ﴾ ^(١٦)، لقد أمر فرعون هامان بأن يبني له بناءً عالياً جداً، من دون أن نخوض في نوعيته وارتفاعه، والأساطير التي قيلت عنه، فهو علامةٌ سيميائيةٌ على الارتفاع الشاهق،



فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدَيْكَ لِنُكُونتَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً
وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يَنْفِقُونَ ﴿١١٨﴾ .

لقد أغرق فرعون في مشهد مؤثر يعجُّ بالحركة، وبين طاعية لا يريد لهم الخروج من ربقة عبوديته.. وقد آمن بعد أن أدركه الفرق، في ساعة لا ينفع فيها الإيمان؛ إذ لا يمكن أن تسمح العدالة الإلهية بأن تتساوى الضحية مع الجلاذ، ولا يمكن أن يمر الطغيان من دون عقوبة دنيوية رادعة، ولا يترك الأمر من دون عقاب القيامة، فذلك مما يزلزل إيمان المؤمنين، فهؤلاء أناس

لأظنه من الكاذبين) ولجأ فرعون بعد ذلك إلى قوة السلطان وبسط نفوذه والمظاهر المادية) (١١٧). إن ترك فرعون يعني إبادة الدعوة في مهديها واستمرار الطغيان والظلم، وتدمير صورة العدل في أذهان الناس؛ ولذلك كانت النهاية المحتومة له كما في قوله تعالى: ﴿وَجَوْرًا بَنَيْ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَبْنَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُوْدُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ. بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٧﴾ ءَأَكْفُرُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿١١٨﴾

الإشراك بالله ينمو ويزدهر على يد المرسلين والمصلحين. ثمَّ سرعان ما يبدأ التغيُّر بالابتعاد عن المنبع الأصيل للرسالة، والتَّمسُّك بقشورها، ويبدو الباري - عزَّ وجلَّ - أمام النَّاس بعيداً ولا يمكن الوصول إليه.

قد تبدو مهمَّة مكافحة مفهوم الإشراك أسهل من مفهوم الإلحاد؛ لأنَّ المشرك بوصفه يؤمن بوجود (الإله) فإنَّ تركه للآلهة، أو الوسائط التي توصله إليها، يكون في متناول اليد، غير أنَّ هذا التصوُّر غير دقيق بالمرَّة، فالمشرك يتخذ عدَّة طرق للإشراك، ولا يقتصر على واحدة، كما أنَّ هذا المفهوم قد تغلغل في النفوس والمجتمعات منذ القدم، وكانت المهمة الأكبر أمام المرسلين مكافحة هذا الداء الويل، إنَّ مفهوم (الطف الآلهي) اقتضى إبقاء باب التَّواصل مفتوحاً بين الله تعالى، وبين النَّاس على مرَّ العصور، فقد يتخذ ذلك التَّواصل التنبيه على علامات الخلق المختلفة، بوصفها عالماً علاماتياً دالاً على خالقٍ عظيم يقف وراءها، أو أنَّ يقتضي إرسال الأنبياء والمرسلين الذين تجاوز عددهم عشرات الآلاف، ولاقوا في سبيل دعواتهم ما لاقوا من القتل والتشريد

يشدُّهم المشهد الحسيُّ الحيُّ أمام أعينهم أكثر من الأمر الذي يوعدون به في المستقبل، وقد جعل الباري - عزَّ وجلَّ - جنة فرعونَ علامةً سيميائيةً على النهاية المساوية لكلِّ متجبرٍ، فحين يرى بنو إسرائيل، أو قوم فرعون ذلك (الإله) المزيّف وقد مات غرقاً، بعد أدعائه الألوهية فإن ذلك عبرة وموعظة لهم جميعاً.

ومع ذلك فإنَّ الخطاب القرآني قد واجه مشكلة الإلحاد بدرجة أقلِّ مما عالج مشكلة (الشرك)، «لأنَّ المشركين لم يتكروا لفكرة وجود الله، بل كانوا يشركون غيره بعبادته دون أن يشعر بأنَّ أولئك الشركاء في مستوى الله قيمةً وعظمةً»^(١٨). لقد مثَّلت الشخصية الفرعونية في سياق الأحداث، تمرُّداً على الفطرة الإنسانية التي أودعها الباري - عزَّ وجلَّ - في خلقه فكان لا بدَّ من ردِّع حازم لهذا التمرُّد؛ لتعود الأمور إلى نصابها.

أمَّا الإشراك بالله فقد أولاه الخطاب القرآني أهميةً أكبر من معالجة مفهوم الإلحاد لأنَّ الإلحاد؛ مخالفةً للفطرة السليمة، فالإنسان يشعر دائماً بالحاجة إلى وجود (إله) يملأ الجانب الرُّوحي فيه. إنَّ التأسيس لمفهوم التوحيد، ونبذ

مهمة الإجابة عن ذلك، وبطرق عدة فهو حين يستعرض بعض الحوادث، التي مرَّ عليها الآف السنين، ويقدم النتائج المترتبة عليها بهدف من وراء ذلك إلى تقديم إجابات جاهزة على ما يدور في أذهان النَّاس عن الاخفاقات المستمرة، وفي الوقت نفسه يقدم النتائج المترتبة على الكفر والإيمان في الدنيا والآخرة، فهو خطاب الحياة المفعمة بكل ما هو خير؛ ليكون إنموذجاً يحتذى به، وخطاب الإشارة إلى كل ما هو سيئ، فيجب الإبتعاد عنه. لقد أفرز الخطاب القرآني نماذج كثيرة من المشركين الذين حاربوا أصحاب الرِّسالات السماوية، ووقفوا بالضد من طريق الهداية، حتى وصل الأمر إلى أن ينزل الله تعالى بهم الاستئصال التام، فلم يبق منهم سوى علامات شاخصة تدل على تلك العقوبة الالهية فالقرآن ((يضع الإنسان في موضعه الذي يتطلبه، فلا تسعده عقيدة أخرى أصح له من عقيدة القرآن لأنَّ عصر العلاقات العالمية لا يتطلب (مواطناً) أصح وأصلح من الإنسان الذي يؤمن بالأسرة الإنسانية)) (٢٠).

إنَّ انتخاب النماذج التي قدّمها الخطاب

والمجابهة المسلحة، أو أن يجعل الله تعالى لبعض المصلحين أدواراً تكاد تقترب، من مهمة المُرسَلين في إصلاح النَّاس، وفوق هذا وذاك، أنوار هداية يقذفها في قلوب عباده، تمثل رسائل مباشرة، تمكّنهم من اجتياز أهلك الظلمات... وأمام كل أشكال التّواصل هذه ألا يحقُّ للمتأمل أن يذكر ما يجول في خاطر من استفهام، عن سرّ ابتعاد الإنسان عن ربّه، متبوع بعلامه استفهام بحجم المآسي الإنسانية المتلاحقة، يأتي بعدها عدد من علامات التّعجب، بعد كل الإنتكاسات على الطريق المؤدي إلى الله ١٩. إن القاء نظرة عابرة على الواقع تؤكد أنّ كل تلك الجهود، لم تصل بالإنسان إلى الدرجة المطلوبة كي يتحقّق مفهوم (الاستخلاف)، والقيام بواجب (الخلافة) الحقّة التي أنيطت به من دون غيره من أصناف الخلق، فهو ما يزال يعاني في بعض الأحيان من بعض الاخفاقات التي مرّت على أجداده منذ الآف السنين، ولا يفترق عنهم في شيء سوى بعض مظاهر الحضارة والتمدّن، فهل أنّ النوازع المختلفة داخل هذا الإنسان عصيّة على الخضوع والتطويع ٥.

لقد حمل الخطاب القرآني على عاتقه

من إتخاذ الواسطة بينهم وبينه، وسرعان ما تكون تلك الواسطة وجوداً مستقلاً بنفسه حتى تصبح هي الغاية، وليس الوسيلة. لقد انطلق المشركون في محاربة المرسلين من أسس متشابهة تقوم على (إنكار المعاد)، والتصديق بفكرة أن لا حياة بعد الموت. أو انكار النبوة والرّسالة نفسها، وقد ترتب على ذلك تكذيب الرّسل، ومحاربة ما جاؤوا به جملةً وتفصيلاً .

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١٢١).

المقدس لأصناف المشركين، كانت على درجة عالية جداً من حيث كفاءتها الإنجازية، وقد عبّرت عن مكوثات الإشراف أصدق تعبير. لقد أوجز المشركون عقيدة الشّرك، في أنّ الأوثان واسطة بينهم وبين الله تعالى كما في قوله: ﴿اللَّهِ الَّذِينَ خَالَصُوا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (١٢١).

لقد كان مبعث الشّرك في نفوس هؤلاء، يعود إلى أن الله سبحانه تعالى بعيد عنهم، ولا يمكن مخاطبته بشكل مباشر، فلا بدّ

رَأَى اللَّهُ الدِّينَ الْمُبِينُ

لقد أطلق اليهود والنصارى على الناس الذين لا يدينون بدينهم : أي ليسوا يهوداً ولا نصارى لفظَ الأُمِّيِّ (وجاءت من كلمة غوييم العبرية «الأُمم» وهو ما نعبر عنه اليوم بالدهماء والغوغاء والعامَّة) (٢٣).

إنَّ السِّرَّ الأكبرَ في أُمِّيَةِ النبي ﷺ هي: «انَّ أساس الكلام الإنساني هو الأصوات وليس المخطوط» (٢٤)، كما أنَّ الأساس الثقافي في (مكة) لم يكن القراءة والكتابة، فقد كانت المعرفة شفاهية. إنَّ الباري -عزَّ وجلَّ- حينما يُرسلُ رسولاً إلى قومه من جنسهم من النَّاحية البشرية، فذلك يعني أنَّ منزلته ليست بدءاً في خط الرِّسالات المتعاقبة، فكلُّ ما في الأمر أنَّ الرِّسول قد استخلصه الله من بينهم لأنَّه يحمل من الاستعداد ما لا يحمله غيره، وفرق هؤلاء عن غيرهم أنَّهم من (المخلصين) بفتح اللام؛ أي وَقَعَ اختيارهم من الله، وهم مما لا سبيل للشيطان إليهم، وقد استنَّاهم هو نفسه من الإغواء كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ يَا آغُوثِي لِأَرَيْتَنِي لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغُوثِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢٥) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصُونَ﴾ (٢٦).

ومن هذه النقطة تحديداً يبدأ اعتراض المشركين على اختيار هذا الرسول

بالتَّحْدِيدِ، لأنَّهم يجهلون الكيفيَّةَ التي يتمُّ على أساسها استخلاصه، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَيعَاشَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٢٧).

إنَّ مشركي قريش لا يرضون بالاختيار الذي وقع على رجلٍ من بينهم، قد يبدو في نظرهم حامل الذَّكر، فيجب -حسب رأيهم- أن يقع الاختيارُ على رجلٍ عظيم ذي أموال وشهرة ((ومرادهم أنَّ الرِّسالة منزلة شريفة إلهية، لا ينبغي أن يتلبَّس بها إلا رجلٌ شريف في نفسه مطاعٌ في قومه)) (٢٨).

وكأنَّ الأمر راجع إليهم في تقسيم الأمور ((إنَّ الكفر ملةٌ واحدةٌ وإنَّ أساليب التَّعنُّت، والعناد لدى الكافرين متماثلة، وما صورة مشركي مكة إلا مرآة للمكذَّبين في كلِّ جيل)) (٢٩).

لقد انطلق المشركون على مرِّ العصور من منطلقاتٍ واحدةٍ سواء تقدَّم الزَّمَنُ أم تأخَّر، ((علماً أنَّ من شأن هذه الأنواع المتكلمة جميعاً، كلُّ بطريقتها الخاصة، إنَّها تتنازع الكائن/ الكيان المتكلم، محاولة فرض شروطٍ كلامها عليه، فأبوابها غلِّبت

رفيعة عند ربّه، وأن يكون هو الواسطة بينهم وبينه، فلا ترضى نفوسهم المريضة بهذا الاختيار مطلقاً، حتى تضع في مواجهته العراquil اللازمة لإيقافه كما يظنون .

لقد استعرض الخطاب القرآني شخصية من مشركي قريش كما في قوله تعالى: ﴿ ذَرِنِ وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِداً ۝۱۱ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُوداً ۝۱۲ وَبَيْنَ شُهُوداً ۝۱۳ وَمَهْدَتْ لَهُ تَهِيداً ۝۱۴ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝۱۵ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِداً ۝۱۶ سَأَرْهِفُهُ صُعُوداً ۝۱۷ إِنْهَ فَكَرُ وَفَدَّرَ ۝۱۸ فَعِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۱۹ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۰ ثُمَّ نَظَرَ ۝۲۱ ثُمَّ عَسَى وَبَسَرَ ۝۲۲ ثُمَّ أَذْبَرُوا نَسْكَرَ ۝۲۳ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْرُ ۝۲۴ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝۲۵ سَأُصَلِّبُهُ سَرْ ۝۲۶ وَمَا أَزِدُهُ مَاسِراً ۝۲۷ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ۝۲۸ لَوَاحِةً لَبِئْسَ ۝۲۹ عَلَيْهِمَ عَسْرٌ ۝۳۰ ﴾ .

إن الإيقاع في الآيات يشكل إضافة نوعية إلى السرد، وهو ما يجعل المستمع، أو القارئ يعيش ضمن وتيرة إيقاعية خاصة، تتلاءم مع ما يُذكر من مفهوم ((فالإيقاع ينضبط في موضعه بدقة وإتقان، ويتناسب جودةً وبلاغةً ووضوحاً في تأخيه مع غيره، ليحدث الاستجابة الجميلة في النفس... والأبعث على الغثيان، كما نستشعره في بعض الشعر الحديث والقديم))^(٣٣).

لقد جاءت نهاية الفاصلة مختومة بالدال

تكلّمت، أو أجزت كلامها على لسانه))^(٣٤).
إنّ عناد المشركين قد يصل في بعض الأحيان إلى حدود غاية في الاستهزاء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعاً ۝۱۰ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَعْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجيراً ۝۱۱ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً ۝۱۲ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝۱۳ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝۱۴ ﴾^(٣٥).
إنّه استهزاء مشوب بالتحدي، فهذه المجموعة من الطلبات أو المقترحات، تمثل علامات سيميائية دالة على استحالة تحققها، وهي في الوقت نفسه مما تشبّهه أنفسهم، فهي أقصى ما يتمنونه حتى يفتضح أمر الرسول؛ لأنّ تحقيق هذه الأمور مستحيل في نظرهم. لقد ((كان جلياً لهؤلاء أنّه إذا انهار دينهم؛ انهار معه كيانهم السياسي بأكمله وآل بهم الأمر إلى أن تتمزق شبكة تحالفهم، ويستحيل استمرارهم في تجارتهم))^(٣٦). فهم يستكثرون على (المُرسل) أن يتمتع بمنزلة

والرَّئِينِ الصَّوْتِيِ المحكوم بنسق الآية والسياق العام، والدلالة الثانية: دلالة معنوية تحمل تمام الفكرة في الآية))^(٣٢)، وكأنَّ الخطابِ القرآنيَّ يفعل كلَّ شيءٍ من أجل إيصال معانيه، فهذا ((الجمال الصوتيُّ، والتَّناسقُ الفنِّيُّ، والإيقاعُ الموسيقيُّ، هو أول شيءٍ أَحَسَّتْهُ الأذنُ العربيَّة يوم نزول القرآن)).^(٣٥)

أمَّا حين يصل الخطابُ إلى وصفِ حال ذلك المشرك، فيكون الإيقاعُ حاداً صليبا؛ نتيجةً سكون الرِّاء (قَدْر، نَظْر، بَسْر،

والألف وبشكل خاص في (وحيدا، ممدودا، شهودا، تمهيدا، عنيدا، صعودا) فإنَّ الإستطالة التي يضيفها حرف الألف، تخلق ما يشبه تردده عدة مراتٍ وكأنَّنا نستمع إلى صدهاء في مكانٍ بعيدٍ جداً، ومنعزلٍ عن النَّاسِ وكأنَّه يتلفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً ولا يسمع سوى صوتِ الصَّدى المنبعثِ من الدَّال والألف (دا .. دا .. دا) فالفاصلة القرآنية تحمل دلالتين هامتين ((الدَّلالة الأولى: وهي دلالة صوتية تتمثل في الإيقاع



وإذا كان هؤلاء المشركون يعتقدون بوجود الله تعالى، ويشترطون وجود الوسائل للوصول إليه فإن قضية التوحيد، تبدو أمامهم ديناً يختلف عما ورثوه عن آبائهم. إن ما يقوم به (المشرك) هو تعطيل للإمكانات العظيمة التي زوده الله تعالى بها كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾⁽³⁷⁾.

((إنَّ العقلَ لا يستطيعُ العملَ بوجهٍ خاصٍّ، إلا عندما تكون هادئاً أو ما دُمَّتْ مُحافظاً على إتزان «العقل»))⁽³⁸⁾. لقد قدّم الخطابُ القرآنيُّ هذا الإنموذجَ، بوصفه يملك الكفاءة الإنجازية في تفصيل مفهوم الإشراف إلى مدياته القصوى، ويضع الحواجز الفكرية بينه وبين الإيمان بفكرة التوحيد، إذ ((أثارت ظاهرة التَّبَوُّة مواقف كثيرة تراوحت بين الشُّرك والرَّفُض والتكذيب والتحدي، في مجتمعاتها التي انطلقت فيها، الأمر الذي شكّل صورةً فكريةً ناهضةً، تستند إلى رؤى مختلفة أُسست عليها هويةً من هويات الآخر، المختلف الفكري الذي واجهه هذه الفكرة))⁽³⁸⁾.

استكبر، يُؤثر، البشر، سَقَر، تَذَر، عَشْر) عند الوقف على رأس كل آية من هذه الآيات. إن الإيقاع يضي جانباً سيميائياً لا يمكن تخطيه في الخطاب القرآني، فالتوضيف الإيقاعي للمفردات والحروف -علاماتياً- مما لم يحض بالاهتمام المناسب في المقاربات النقدية للنصوص وفقاً للمنهج السيميائي.

إن موقفَ المسرفين الضالين يتكرر في خطوطه العامة، وإن تغيرت الشخصيات، فهذا المشرك من أصحاب الجاه والأموال والسلطة في مكة، ومن ثم فإن خضوعه للإسلام يعني ذهاب تلك السلطة، فلا بدّ له من إيجاد مبررات لمحاربة الرّسالة، وتشويه صورة (الرّسول) بكل ما يستطيع، ولا بدّ من وضع برنامج يتفق عليه كبار مشركي قريش، يتضمن توجيه التّهمة المناسبة، التي يجب أن تبدو معقولة لدى أهل مكة، وللحجيج القادمين إليها حين يسمعون بما جاء به الرّسول الجديد. إن اتفاقهم على أن أمر الدين الجديد لا يعدو أن يكون سحراً، يمثل امتداداً طبيعياً للأجيال المتعاقبة من المشركين المعاندين، الذين سرّد الخطابُ القرآنيُّ موقفهم في مواجهة الرّسل.

إمّا مفهوم (النفاق) في الخطاب القرآني، فهو مفهومٌ خطيرٌ، يشكل تهديداً للمجتمع المؤمن؛ فالنفاقُ يتخذُ في ظاهره صورةَ الإيمان، فيكون حاله في ذلك حالَ بقيةِ أفراد المجتمع، غير أن صورته الأخرى الباطنية، عكس ذلك تماماً، فهو لا يؤمنُ بما يؤمنُ به مجتمعه، والأدهى من ذلك، أنه يحاول اقتناصَ كلِّ فرصةٍ تتاح أمامه لتوجيه الضربات إلى المؤمنين، وإيقاع الخسائر فيهم سواء أكانت مادية أم معنوية. إنَّ الفارقَ الأساسَ بين الظاهر والباطن لدى المنافق، يكمنُ في أنه يؤدي العبادات، ويلتزم بالمعاملات، وفقاً للمفهوم الإيماني، على حين في باطنه يعيش عالم الكفر المظلم. كما أن الخطابَ القرآنيَّ قدَّم إنموذجَ المؤمن الذي يكتمُ إيمانه كمؤمن آل فرعون، الذي كان ناصحاً أميناً لقومه ويحاول أن يبيِّت بينهم قيمَ الإيمان، ويبعدهم عن الوقوع في هاوية الكفر. أمّا المنافق فهو يتحالف مع الأعداء ويكون عوناً لهم في سبيل كسر شوكة المؤمنين، وهذا العنصر المنافق قد يكون أشدَّ ضرراً من المشرك، والملحد على مجتمعه؛ إذ يكون محتفياً بين الناس ولا يكاد يُعرف، على حين أن الكافر عنصرٌ

واضحٌ مشخَّصٌ يمكن اجتناب ضرره؛ لأنه معلن.

لقد عانى المؤمنون من خطر المنافقين منذ كانوا في مكة، يوم لم يكن لهم دولة وسلطة؛ لأن ((علل النفاق ليست تنحصر في المخافة والإتقاء، أو الاستدراار من خيرٍ معجلٍ، فمن علله الطمع، ولو في نفعٍ مؤجلٍ، ومنها العصبية والحمية، ومنها استقرار العادة، ومنها غير ذلك))^(٣٩)، غير أن ملامح المنافقين كانت أكثر بروزاً في مجتمع المدينة.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٨) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ^(٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ^(١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ^(١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ^(١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ^(١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْعَتِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ^(١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِنَّ وَيَوْمَ نَنزِلُهُمْ فِي طَغْيِهِمْ يَعْمَهُونَ^(١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَسْرَبُوا لِلضَّلَلَةِ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَجَعَتْ بِحَدِّثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ^(١٦)

وكانه شخصيتان متصارعتان تعيشان في جسد واحد، احدهما تعبر عن نفسها من خلال المظاهر التي يراها ويسمعها الناس، كالملابس والابتسامات والكلمات والأخرى، تعبر عن نفسها بالمشاعر والاعتقادات الداخلية التي لا يطلع عليها أحد (إلا من كان في النفاق) كمشاعر الحب والبغض واعتقادات الإيمان والكفر^(١٦).

إنّ الازدواجية التي يعيشها المنافق تجعل منه فرداً منهكاً خائراً القوى لأنه يؤدي وظيفتين في الوقت نفسه وهذا الامر يتطلب جهداً مضاعفاً.

أمّا الدسائس والمكائد التي يحوكمها المنافقون، فهي أخطر من دسائس المشركين، بل هم العدو الحقيقي الذي يحذر الله تعالى منه المسلمين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ فَمَهْلِكُوا لِيَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُتُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَوَلَّيْنَا الْمَالَ إِنَّهُ يَبُذَرُونَ ﴿٤﴾﴾

وإذا كان الخطاب القرآني يقابل دائماً

وبما أنّ السيمائية تبحث ((عن المعنى عن طريق بنية الإختلاف ولغة الشكّل والبنى الدالة))^(١٦)، فإنّ التّفنّل الدّلالِي بين مفهوم الكفر والإيمان على صعيد الباطن والظّاهر، يمثّل تذبذباً مظهرياً، وشكلياً فقط فإنّه في صميمه ثابتٌ على الكفر.

لقد فضح الخطابُ القرآني أوصاف المنافقين، وقد ركّز بشكل خاصّ على مرض القلوب ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ وهذا المرض هو مرض (النفاق)، إذ إنّ المنافق يعيش بين المؤمنين حياتهم في أغلب تفاصيلها؛ إذ يؤدي معهم جميع ما يؤدّون من الواجبات، بل يخرج معهم إلى الحرب، وإنّ كان لا يقاتل مثلهم، فإذا فعل ذلك وتحمل المشقة بكلّ أصنافها، سيكون من العجيب أن لا تكون نيته مثل نيّة المؤمنين، وأن لا يتأثر بذلك الجوّ الإيمانيّ المشحون بالروح المتوثبة، التي كان يبثها وجود النبي ﷺ بين المسلمين. وبذلك تكون نيّة العمل ماثراً بين قبول العمل ورفضه، مع أنّه عمل واحد من حيث الشكّل، غير أنّه يختلف في مضمونه، فعمل المؤمن يكون خالصاً لله، على حين عمل المنافق يكون رياءً، إذنّ فشخصية المنافق ((شخصية مريضة منقسمة على نفسها،

على العكس من الكفار الذين يبعدون عن المجتمع المؤمن بمسافات بعيدة. كما أن هؤلاء المنافقين قد يزودون الأعداء بما يستطيعون من معلومات خطيرة. ولعل أهم ما في قضية المنافقين من أبعاد تشريعية، أن هؤلاء قد لا يكونون معروفين في نظر الناس من المؤمنين، فيكون خفاء أمرهم مُشكلة معقدة بحد ذاتها، ولو

بين مفهومي الكفر والإيمان، فإنَّ النَّفاق حالة خاصة وشاذة، بل إنَّ الكافر الذي يجهر بكفره يكون أسعد حالاً من المنافق؛ لأنَّ هذا يعيش بشخصية واحدة، والمنافق يعيش عالم الازدواجية المرهقة. ((إنَّ ثبات هذا الآخر الذي صورَه الخطاب في عملية «الطَّبع» التي توحى بالإنفلاق التَّام دونما تطور، جاءت عن قصدية وثبات الموقف



افتضح أمر أحدهم المطلوب، أن يعامل على وفق الظاهر الذي يبديه، وليس على أساس ما يحمل في باطنه من أفكار مريضة. ومن ثمَّ فإنَّ وجود هذه الفئة يمثل معضلة حقيقة، وبسبب ما يمثلونه من خطر نزلت فيهم سورة كاملة في القرآن للتحذير منهم، وتشخيص سلبياتهم وإنهم هم العدو

الرافض في استيعاب التجربة والإرتقاء في مستوياتها))⁽¹¹⁾.

إنَّ الخطر الحقيقي الذي يمثله المنافقون على مجتمع الإيمان، يكمن في أن هؤلاء يعيشون بين المؤمنين، فيكونون مكتشفين أمامهم؛ لأنهم في الظاهر منهم، ويطَّلعون على أدق تفاصيل هذا المجتمع...

بَحْرٍ لَّيْجِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أُخْرِجَ يَكْذِبُهُ، لَوْ يَكْذِبُهَا وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿١٤٨﴾.

فالمنافقون لا حظ لهم من النور الإلهي الذي ينير البصيرة، ويكون سبباً في الهداية. إذن فالمشكلة الكبرى لهؤلاء أنهم لا نور لهم، ويمتد ذلك بهم إلى يوم القيامة، فنجدهم باحثين عن النور أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِن قُرْبِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ بِلَدِّكُمْ فَذُكِّرُوا بِلَدِّكُمْ فَانْتَرَفْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَزَيَّنَّ لَكُمْ أَن تَدْرُسُوا فَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزِمَ بِاللَّهِ الْعَزُورُ ﴿١٥٠﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوثِقَ النَّارُ مِنِّي مَوْلَانِكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيدُ ﴿١٥١﴾.

إن الحوار ينقسم على قسمين: قسم قبل وجود السور، وقسم بعده، فالأول نجد فيه المنافقين يحاولون استعطاف المؤمنين في أن يتفضلوا عليهم ببعض النور، فيأتي الجواب من جهة عليا تدير وتسير الأمور هناك (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا)، بل كأن المنافقين قد تجاوزوا واقتربوا إلى حدود لا يجوز لهم أن يتجاوزوها، فيضرب بين الفريقين سور، يفصل الجنة عن النار وفي ذلك السور باب، يكون من جهة الجنة رحمة، ومن جهة النار عذاباً.. وحين يرتفع

الحقيقي الذي يتربص بالمؤمنين شرًا. لقد عدد الخطاب القرآني صفات المنافقين العديدة، وضمنها في سورة (المنافقون) غير أن أخطر صفة فيهم هي صفة (التأمر) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٤٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٤٨﴾.

فهؤلاء يبيتون المؤامرات ليلاً ونهاراً، فيكون بذلك العلامة السيمائية الأبرز فيهم. لقد أفرد الخطاب القرآني مثلاً صادقاً في توصيف حال المنافق في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَرَهُمْ فَا ظَلَمْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٤٧﴾ صُمُّ بِلِكْفِكُمْ عَمَى فَبِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٤٨﴾.

فهؤلاء في نفاقهم مثل ((الذي أوقد ناراً لينتفع بها في ليلة حالكه، فلما أضاءت النار ما حوله، فرأى الضياء والسناء، سرعان ما أطفأها مطرٌ شديد ذو ريح عاصفٍ أحمد أوارها وبدد لهيبتها.. فتحير.. وتخبط في الظلمات لا يدري ما يتجنبه ولا ما يتقيه!!)) (١٤٧).

إن الأمر اللافت في أمر المنافقين أنهم يفتقدون (النور) الذي يجعله الخطاب القرآني هبة من الله يفيضها على من يشاء كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظَلَمْتُمْ فِي

ذلك النور.. أمَّا الكفر والنفاق، فلا ينتجان نوراً أبداً، وكأنَّ الحياة الدنيا تمثِّل مكاناً لإنتاج النور وتكون الآخرة مكاناً لإدخاره.

لقد أفصح الخطابُ القرآنيُّ عن امكانياتِ النفاقِ الهائلة، والقادرة على تدمير المجتمع المؤمن فعدهم هم (العدو) وحذر منهم، ثمَّ رسمَ الطريقَ الأمثلَ للتعامل معهم، فهو لم يتعامل معهم وفقاً لمنهج إقصاء (الآخر) أو تعييبه، وإنما يعدهم ضمن الجماعة الصالحة، ولو كان ذلك على أساس ظاهريهم، وإيكال أمرهم إلى الله تعالى مع أخذ الحذر منهم، فربَّما يكون التعامل الحسن معهم باباً لهدايتهم، والدخول فيما دخل فيه المؤمنون، من شعور الإيمان والاحساس بالعبودية الصادقة لله - عزَّ وجلَّ - فلم يحدثنا التأريخُ أو سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه عاقب واحداً منهم بتهمة النفاق، وإنما كان يكرمهم، وينزلهم منزلة الإنسان المسلم، وقد يكون في ذلك المنهج الرحيم اطلالةً من أوسع الأبواب، على الأسس الإنسانية العظيمة للمنهج الإسلامي في تربية المجتمع، وتعامله بالرفق واللين، حتى مع (المنافق) وقبول الإيمان الظاهري منه، وقد يعدُّ بعض المسلمين ذلك نوعاً من البلاهة، أو عدم الحكمة في التعامل معهم، غير أنَّ مرجع الأمر في ذلك إلى الباري - عزَّ

هذا السُّور بينهم يتغير الكلام إلى صيغة (ينادونهم) دلالةً على بعدهم عنهم، وأنهم ينادونهم من خلف ذلك السُّور، وهنا يظهر صوتُ المؤمنين حين يردُّون على صوت المنافقين إذْ ((ليس الإجماع في الأرض هو الذي يحدد هويَّة الأشخاص، ويفرض وحدة المصير، بل الإجماع في العقيدة والعمل والنظرة الشاملة للحياة التي تحكم خطوات الإنسان وتصرفاته))⁽⁵¹⁾. أمَّا الذي يدعو إلى الاستغراب؛ فإنَّ هؤلاء القابعين في نار جهنم، يشكون الظلام فأبي نار تلك التي تكون مظلمة !!!

إنَّها نارُ العقابِ التي أعدَّها الباري - عزَّ وجلَّ - لعباده الذين كانوا ألعوبة بيد الشيطان (وغرَّكم بالله النور)، فالسائرُونَ في ركب (إبليس) سيكون مأواهم إلى الظلام الدَّامس، بل ظلمات بعضها فوق بعض، وفي هذا المشهد الحزين الذي يتحكم فيه التَّقابل بين النور والظلام، يكون مصيرُ النفاق وأهله. ((لا شك في أنَّ الدلالة التي تتجسَّه تقابلاتُ القرآن الكريم تستمدُّ معانيها من معجمية الفاظِ التَّقابل، ولكنها تنتقل في بعض جوانبها من المعنى المعجمي إلى معنى آخر يشكلُ بُعداً عميقاً من خلال الوحدات التعبيرية في التَّقابل))⁽⁵¹⁾.

إنَّ الإيمان والعمل الصالح يتحوَّل إلى نور في يوم القيامة، وكلِّما كان الإيمان عميقاً زاد

- (٧) الشخصية الانسانية في ضوء القرآن الكريم، د. أحمد عبد الحميد غراب: ١٢٧.
- (٨) الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي: ١٠٠-٩/١٦.
- (٩) من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال: ٣٢٥.
- (١٠) سورة الزخرف: الآية: ٥١.
- (١١) سورة غافر: الآية: ٢٨-٢٩.
- (١٢) سورة طه: الآيات: ٧٠-٧٣.
- (١٣) الحوار في القرآن، محمد حسن فضل الله: ٢٧٣.
- (١٤) سورة الاعراف: الآية: ١٢٤.
- (١٥) سورة غافر: الآية: ٢٦.
- (١٦) سورة القصص: الآية: ٣٨.
- (١٧) صورة الآخر في الخطاب القرآني، الدكتور حسين عبيد الشمري: ٨٣.
- (١٨) سورة يونس: الآية: ٩٠-٩٢.
- (١٩) الحوار في القرآن: ٧٩.
- (٢٠) الانسان في القرآن، عباس محمود العقاد: ١٦٠.
- (٢١) سورة الزمر: الآية: ٣.
- (٢٢) سورة الجمعة: الآية: ٢.
- (٢٣) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، الدكتور المهندس محمد شحور: ١٣٩.
- (٢٤) المصدر نفسه: ١٤٢.
- (٢٥) سورة الحجر: الآية: ٣٩-٤٠.
- (٢٦) سورة الزخرف: الآية: ٣١-٣٢.
- (٢٧) الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي:

وجلّ- الذي كَرَّمَ بني آدمَ، بغضّ النظر عن العقيدة أو اللون أو السلوك، فالإنسانُ بناءً إلهيٌّ مقدّس لا يجوز التعدي عليه لأسبابٍ واهية، وسلب حياته بحجة الاختلاف في الآراء، أو حتّى (المُعتد)، ما لم يكن ذلك وفق شروطٍ خاصةٍ ودقيقةٍ راعاها التشريع الإسلامي.

فَحَتَّى الْقِتَالِ حِينَ فُرِضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فُرِضَ عَلَيْهِمْ كَرهًا لِأَنَّ الْمَشْرُوكِينَ كَانُوا هُم مِّنْ بَدَأُوا الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ، وَفِي إِزَاءِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَبْدُو عِبَارَةً عَنِ فُرْصَةٍ طَوِيلَةٍ مَفْتُوحَةٍ أَمَامَهُمْ، تَوْجِدُ الْعُقُوبَةَ الْقَاسِيَةَ لَهُمْ لِأَنَّ مَا أُتْبِحَ لَهُمْ مِنَ التَّسَامُحِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كَفِيلاً بِهَدَايَتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْبَارِي- عَزَّ وَجَلَّ- فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ لَا يَعْلَمُونَ حَتَّىٰ نَعْلَمَهُمْ سَعْدَهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٢).

الهوامش

- (١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني: ٤٥٢.
- (٢) سورة ابراهيم: الآية: ٣٤.
- (٣) سورة الكافرون: الآية: ١-٢.
- (٤) سورة الفرقان: الآيات: ٤٥-٤٩.
- (٥) سورة يونس: الآية: ٨٣.
- (٦) سورة القصص: الآية: ٤.

- ٩٩/١٨ . د. أحمد عبد الحميد غراب: ١٥١ .
- (٢٨) مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح: ٢٠٥ .
- (٢٩) في آفاق الكلام وتكلم النص، د. عبد الواسع الحميري: ١٤٢ .
- (٣٠) سورة الاسراء: الآيات: ٩٠-٩٤ .
- (٣١) القرآن الكريم والاصول في تدبره، أ. د. محمد حسين صفوري: ١٨٣ .
- (٣٢) سورة المدثر: الآية: ١١-٣٠ .
- (٣٣) التقابل الجمال في النص القرآني، د. حسين جمعة: ٢١٥ .
- (٣٤) من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال: ٢٢٤ .
- (٣٥) التعبير الفني في القرآن الكريم، الدكتور بكرى شيخ أمين: ١٩٠ .
- (٣٦) سورة الحج: الآية: ٤٦ .
- (٣٧) الله والإنسان في القرآن، توشيهيكو ايزوتسو: ٢٣١ .
- (٣٨) صورة الآخر في الخطاب القرآني، د. حسين عبيد الشمري: ٨٦-٨٧ .
- (٣٩) الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي: ٩٨/٢٠ .
- (٤٠) سورة البقرة: الآيات: ٨-١٦ .
- (٤١) السيميائية اللغوية، شعر احمد مطر إنموذجاً، د. ماجد عيال وهب، د. علي حلو حواس، مجلة الاستاذ، العدد: ١٢٥: ٨ .
- (٤٢) الشخصية الانسانية في ضوء القرآن الكريم،
- ١٥١ . د. أحمد عبد الحميد غراب: ١٥١ .
- (٤٣) سورة المنافقون: الآيات: ١-٤ .
- (٤٤) صورة الآخر في الخطاب القرآني، د. حسين عبيد الشمري: ١٢١ .
- (٤٥) سورة النساء: الآية: ١٠٧-١٠٨ .
- (٤٦) سورة البقرة: الآية: ١٧-١٨ .
- (٤٧) الأمثال في القرآن، الدكتور محمود بن الشريف: ١٣-١٤ .
- (٤٨) سورة النور: الآية: ٤٠ .
- (٤٩) سورة الحديد: الآية: ١٣-١٥ .
- (٥٠) الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله: ٣٧٣ .
- (٥١) التقابل والتماثل في القرآن الكريم، الدكتور فايز عارف القرعان: ٢٨٦ .
- (٥٢) سورة التوبة: الآية: ١٠١ .

مصادر البحث ومراجعته

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو ايزوتسو: ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٧ .
- ٣- الأمثال في القرآن، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة ط١: (د.ت).
- ٤- الإنسان في القرآن: عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت) .
- ٥- التقابل والتماثل في القرآن الكريم، الدكتور فايز

المهندس محمد شحور، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٩٩٤م.

١٤- مباحث في علوم القرآن: الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩م.

١٥- المفردات في غريب القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمة، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

١٦- من جماليات التصوير في القرآن الكريم: محمد قطب عبدالعال، طبع بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

١٧- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه وأشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ١ المحققة، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

عازف القرعان، المركز الجامعي للنشر، إربد، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

٦- التقابل الجمالي في النص القرآني، دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: الأستاذ الدكتور حسين جمعة، منشورات دار نيمر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٥هـ.

٧- التعبير الفني في القرآن: الدكتور بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٧، ٢٠٠٤م.

٨- الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته: محمد حسين فضل الله، الدار الإسلامية، ط ١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٩- الشخصية الانسانية في ضوء القرآن الكريم: د. أحمد عبد الحميد غراب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥هـ.

١٠- صورة الاخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية: الدكتور حسين عبيد الشمري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.

١١- في آفاق الكلام وتكلم النص، د. عبدالواسع الحميري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠١٠م.

١٢- القرآن الكريم والأصول في تدبره، تمنعات في تعاليمه وخصائصه: أ. د. محمد حسين صفوري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.

١٣- الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة: الدكتور

اليوم اركب كابلت لدمك و اعميت عاك اياك
ولصديقتك لانا امركم





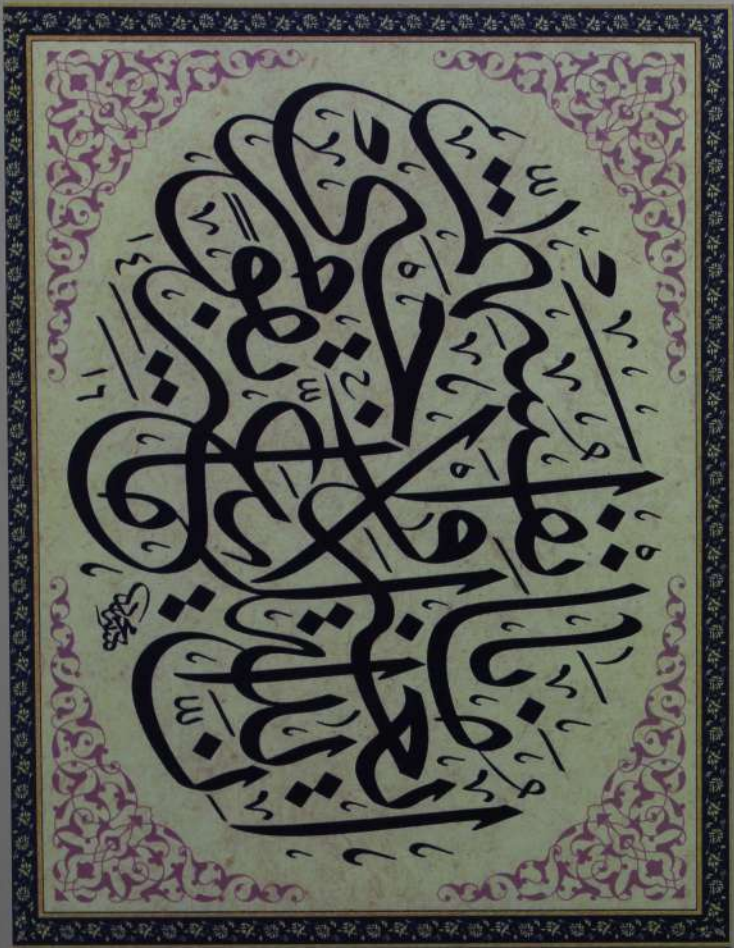
قراءة
ففي أطروحة جامعية
التنحية النحوية ودلالاتها
في القرآن الكريم

للدكتور نزار عبد اللطيف العجرش

عرض : د. فالح حسن الأسدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَى
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَى
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ

سید



دفعني إلى دراسته أنه لم تُكتب فيه من قبل دراسةً علميةً تلمّ شتاتَه، وتبيّن دلالته في كتاب الله تعالى، فعقدت العزم على أن أخوض غمارَ هذا البحث، ومنه جَلَّ وعلا نستمدّ العون والتسديد .

واقترضت طبيعة هذه الدراسة أن أقسمها على ثلاثة فصولٍ تكشف عن أسباب التنحية النحوية في النظم القرآني ودلالاتها، يسبقها تمهيدٌ عن (مفهوم التنحية النحوية)، يبيّن في معنى كلمة (التنحية) في اللغة والاصطلاح، وحددتُ المراد منه، وأوضحت المصطلحات النحوية التي تدرج ضمن مفهوم (التنحية النحوية)، وكشفت عن مجالات استعمال كلمة التنحية في ميادين معرفيةٍ مختلفةٍ مثل: القراءات القرآنية، والتفسير، والمعجمات، والنحو، والصرف.

وعقدتُ الفصل الأوّل لدراسة (التنحية عن العمل)، يبيّن فيه الأسباب التي تؤدي إلى التنحية النحوية ودلالة التعبير بعد التنحية عن العمل في السياق القرآني، إذ شمل هذا الفصل دراسة (التنحية بسبب الفصل، والتنحية بسبب الاجتماع، والتنحية بسبب عدم الدلالة على الاستقبال، والتنحية بسبب القطع، والتنحية بسبب

الحمدُ لله ربّ العالمين، الذي أنزل كتابه العظيم، بلسان عربيّ مبين، والصلاة والسلام على نبيّه الصادق الأمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فإنّ القرآن الكريم — على الرغم من الدراسات الكثيرة التي بحثت في وجوه إعجازه ولفته وتفسيره وبلاغته قديماً وحديثاً — ما يزال ميداناً رحباً لكثير من الدراسات اللغوية والنحوية التي تدأب في الكشف عن أسرار بلاغته وفصاحته ولطائف لفته وأسلوبه، فهو معجزة الكبرى للنبيّ الأكرم محمد ﷺ، وقد شغل العرب — وهم أربابُ الفصاحة والبيان — بأسلوبه وبلاغته، حتى إن الجنّ انقادت له، وأذعنت لسلطانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَ إِذْ أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ مِنَ الْمَنَازِلِ فَقَالُوا أَنَا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١١ يَهْدِي إِلَى الْبُرْجَانِ ۝١٢ فَتَأْتِيهِمْ وَهُمْ أَسْمَاءُ ۝١٣ وَكُنْ تُشْرِكُونَ رَبَّنَا عَجَبًا ۝١٤﴾ (سورة الجن: ١-٢). وقد يسرّ الله تعالى لي أن أحظى بشرف خدمة كتابه العزيز؛ إذ كان موضوع دراستي في هذه المرحلة — الدكتوراه — موضوعاً قرآنياً، وسميته بـ(التنحية النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم)، وقد

تتمثل بـ (التنحية بسبب التوسط، والتنحية بسبب التخفيف، والتنحية بسبب التركيب، والتنحية بسبب التجاور، والتنحية بسبب زوال اختصاص الممول، والتنحية بسبب انتقاض النفي، والتنحية بسبب التقديم) متمسكاً دلالة ما نُحِيَ عن العمل والوظيفة في أسلوب القرآن الكريم .

وجاء بعد هذه الفصول خاتمةً تضمّنت أبرز نتائج الدراسة، وثبتت بمصادر البحث ومراجعته، وملخص بالغة الإنجليزية. ويقوم منهج الدراسة على الوصف

المتنازع، والتنحية بسبب التعليق) . وعقدتُ الفصل الثاني لدراسة (التنحية عن الوظيفة)، بحثتُ فيه أسباب التنحية عن الوظيفة، وهي تشمل: (التنحية بسبب الجرّ، والتنحية بسبب التركيب، والتنحية بسبب التوسط، والتنحية بسبب التجاور) محاولاً الكشف عن دلالة التنحية عن الوظيفة في التعبير القرآني المعجز .

وخصّصتُ الفصل الثالث لدراسة (التنحية عن العمل والوظيفة)، بحثتُ فيه أسباب التنحية عن العمل والوظيفة، وهي



أن أتمد غالباً على فهمي لمواضع التنحية النحوية، وتوظيف ذلك في بيان دلالاتها في التعبير القرآني مستضيئاً بتفسير الآية ومعناها وسياقها .

ونظراً لصعوبة حصر حدود الموضوع — إذا ما اعتمدنا المفهوم العام للتنحية — فقد وضعت معادلة تقوم عليها الدراسة في تناول موضوعاتها، تقوم هذه المعادلة على وجود (مُنْحَى وَمُنْحٍ وَمُنْحَى عَنْهُ)، لذلك اقتصرَت الدراسة على المنحيات اللفظية والمعنوية.

وتجدر الإشارة إلى أنني في مواضع كثيرة من هذه الدراسة قد نعدت قول النحويين أو المفسرين بالتنحية، وأثبتت أن هذه المواضع ليست من موضوعات التنحية النحوية، وبيّنت دلالاتها في السياق القرآني، فهذه المواضع ليست خارجة عن عنوان الدراسة، فهو يتضمنها بلحاظ أن النحويين والمفسرين قالوا بها، ثم قادمي البحث والتأمل إلى القول بعدم انطباق التنحية عليها.

والتنحية في اللغة مصدر الفعل: نَحَى أو تَحَى، يقال: نَحَيْتُه تَحِيَةً، أو: نَحَيْتُ، على لهجة، وكلا الاستعمالين يؤدي معنى الإزالة والإبعاد. يقال: «نَحَيْتُ الشَّيْءَ أَنْحَاهُ نَحِيًّا — أَزَلْتُهُ — فَانْتَحَى وَتَحَى»، ومنه أن يُقال: «نَحَيْتُ فَلَانًا فَتَحَى، وفي لغة: نَحَيْتُهُ

والتحليل والنقد، إذ أعرض التركيب المدروس، ذاكراً ما قيل فيه من آراء، مستعرضاً شواهد القرآنية بالشرح والتحليل، مبيناً دلالة التركيب النحوي بعد التنحية في القرآن الكريم، ناظراً في آراء النحويين والبلاغيين والمفسرين مرجحاً مرة، ومضعفاً أخرى.

وقد اعترض سبيل هذا البحث عقبات وصعوبات، كان الله عزّ شأنه مفرعي لمواجهتها، وعوني في اجتيازها، وحثّ الخطى للوصول إلى نهاية المطاف، فله تعالى الحمد والمِنَّة. ومن هذه الصعوبات أن هذا البحث اتخذ من القرآن الكريم ميداناً له، ويقضي ذلك أن ألتزم جانب الحذر في التعامل مع نصوص التنزيل الحكيم؛ خشية المساس بقديستها، أو الزلل في بيان دلالاتها.

ومنها أيضاً أن الكثير من النحويين والمفسرين واللفويين والبلاغيين كانوا إذا ذكروا موضع تنحية في كتبهم اكتفوا ببيانه نحويًا من غير أن يكشفوا عن دلالة التنحية في التركيب، فاقضى ذلك مزيداً من التفتيش والبحث في كتب التفسير والنحو والبلاغة؛ أملاً في اقتناص رأي أو قول ينجدني في دراستي، وافتضى ذلك أيضاً

وأنا أنحاه نحياً بمعناه. قال ذو الرمة:

ألا أيُّ هذا الباخع الوجدُ نفسَه

لشيءٍ نَحَّتْهُ عن يديكَ المقادِرُ

أي: بأعدته، ومنه: «نَحَيْتُهُ عن موضعه

تنحيةً فتَنَحَّى» ويبدو أن المصدر (التنحية)

أقوى دلالةً على الإبعاد والإزالة من المصدر

(نَحَيْاً): نظراً لما يؤدِّيه تشديد العين في

البنية من قوِّه في الدلالة .

ومن معاني مادة (نَحَا) الاعتراض،

إذ يُقال: « انتَحَيْتُ لفلان، أي: عَرَضْتُ له

وأنحيتُ على حلقة السكِّين، أي: عرضتُ .»

ومن معانيها أيضاً أن الفعل منها يأتي

بمعنى: صَرَفَ وَرَدَّ وَعَدَلَ، يقال: « نَحَاه عن

مكانه تنحيةً فتَنَحَّى عنه، وتَنَحَّ عَنِّي، ونَحَّ

الدمع عن خَدِّكَ، وناحيته مناواةً: صرَّتْ

نحوه وصار نحوي .»

ويقال أيضاً: « نَحَاهُ بنحوه نَحْوًا: صَرَفَهُ،»

ومنه قولهم: « نَحَا بَصْرَه إليه ينحاهُ وينحوهُ

نحوًا: رَدَّهُ وَصَرَفَهُ، و أنحاهُ عنه، عَدَلَهُ»

وذكر أصحاب المعجمات أن التنحية معناها

الإزالة، ويبدو أن هناك فرقاً واضحاً

بينهما، إذ يرى أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥

هـ) أن «الإزالة تكون إلى الجهات الست،

والتنحية الإزالة إلى جانب اليمين والشمال

أو خلف أو قدام، ولا يُقال لِمَنْ صَعُدَ به

أو سَفَلَ به: نُحِيَ، وإنما التَّحِيَةُ في الأصل

لتحصيل الشيء في جانب، ونحو الشيء

جانبه «ويُفهم من ذلك أن الإزالة أعم من

التنحية وأشمل، فكلُّ تنحيةٍ إزالةٌ، وليس

كلُّ إزالةٍ تنحيةً: لأنَّ التنحية إزالةٌ أو إبعاد

إلى مكانٍ قريب، وهذا ما عبَّر عنه بقوله

(قدَّام أو خلف)، أي أو الموضع أو المجلس

أو الشيء المنحَى إليه . ويؤكد ذلك ما ذكر

ابن سيده (ت: ٤٥٨ هـ) في معجمه بقوله:

«أعلِّ عن الوسادة وعالٍ عنها — أي: تَنَحَّ.

وقال: اجلس ههنا — أي: قَريبًا، وتَنَحَّ ههنا

يعني: أبعد قليلاً... وتَنَحَّ غيرُ باعد — غير

صاغر، وتَنَحَّ غيرُ بعيد — أي: كن قريبًا.»

أما التنحية في الاصطلاح، فبأنَّ لم

أجد — في حدود ما اطَّلعتُ عليه — تعريفًا

اصطلاحياً للتنحية النحويَّة، وإذا أردتُ أن

أضع تعريفًا للتنحية في مجال النحو فلا

أبتعد عن المعنى اللغوي للكلمة.

فالتنحية هي: إزالةٌ حكمٍ نحويٍّ أو

تغييره إلى حكمٍ نحويٍّ آخر، سواءً أكان

عملاً نحويًّا أم وظيفةً نحويَّةً أم كليهما

معاً: لسببٍ ما داخل التركيب .

ومن خلال هذا التعريف يمكننا وضع

معادلة توضَّحه، وهي أنَّ التنحية يشترط

فيها توافر ثلاثة أركان، هي: المنحَى: وقد

يكون اسمًا أو فعلًا أو أداة .

فهي:

والمُنْحَى: وهو ما يتسبب في حدوث التنحية.

والمُنْحَى عنه: إذ قد تكون التنحية عن العمل فقط، أو عن الوظيفة فقط، أو عنهما معًا.

ولتوضيح ذلك سأمثل لكل نوع من هذه الأنواع بمثال، فمن التنحية عن العمل تنحية المصدر عن عمله، إذ إنه يعمل عمل الفعل بشروط، منها ألا يفصل بينه وبين معموله بأجنبي، فإن فصل بينهما به بطل عمل المصدر، فالمنحَى هو المصدر، والمنحَى هو الفاصل الأجنبي، والمنحَى عنه هو العمل.

ومثال ما نُحِيَ عن الوظيفة (إذا)، إذ يرى النحويون أنها تنحى عن معنى الظرفية إذا جُرَتْ بحرف جر، فالمنحَى هو (إذا)، والمنحَى هو جرّها بحرف الجر، والمنحَى عنه هو الوظيفة .

وأما ما نُحِيَ عن العمل والوظيفة فمثاله (إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا)، عندما تُكْفُ بِ(ما) غير الموصولة فإنها تنحى عن العمل، وتكون لها وظيفة تختلف عمّا كانت عليه قبل دخول (ما) عليها، فالمنحَى هو (إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا)، والمنحَى هو كَفَّهَا بِ(ما) غير الموصولة، والمنحَى عنه هو العمل والوظيفة .

أما أبرز النتائج التي توصل إليها البحث

تبيّن أنّ لفظ (التنحية) تعتوره عدّة معانٍ هي: (الإزالة، والمنع، والإبعاد، والاعتراض والردّ والصرف). وأنّ المعنى الاصطلاحيّ للتنحية النحوية لا يكاد يبتعد عن المعنى اللغويّ، فتنحية الكلمة نحوياً تعني: منعها عن عملها أو إبعادها عن وظيفتها النحوية داخل السياق.

يظهر أنّ (التنحية) و(الإعمال) متقابلان فيما يدلان عليه، فالتنحية تعني منع العمل، والإعمال ضدّها، أي: إن الكلمة تؤدّي وظيفتها في الجملة، إن لم يكن هناك ما يمنعها من ذلك.

تبيّن أنّ للتنحية النحوية أسباباً عدّة، منها: (الفصل، والتعليق، والتجاور، والتنازع، والقطع، والتوسط، والتقديم، والجر، وانتقاض معنى النفي). فالتنحية مفهوم تدرج ضمنه عدة مصطلحات هي: (الإهمال، والإلغاء، والإبطال، وإزالة الحكم، و النقل الوظيفي).

غلب النحويون ومن تابعهم من المفسّرين جانب الصنعة النحوية في أحيان كثيرة على جانب المعنى، لذلك منعوا الكثير من القواعد النحوية التي تتعارض مع أقيستهم، وإن كان لها تطبيقات وشواهد من القرآن

جانب المعنى منتصرين له غير مبالين بمخالفة هذه القواعد، وفي ذلك دلالة واضحة على خصوصية التعبير القرآني عن غيره من الكلام.

- تبين أن أكثر ما يُنحَى نحوياً هو الحروف، وتليها الأسماء، ثم الأفعال.
- ينبغي أن توجد شروط عمل بعض العوامل مجتمعة حتى يتحقق العمل، أما المنحيات، فلا، إذ قد يكفي وجود منح واحد لتنحية العامل عن العمل أو عن الوظيفة أو عنهما كليهما.
- قد تكون التنحية كلية، وقد تكون جزئية، بمعنى أن العامل إذا لم يحتفظ بشيء من خصائص عمله أو وظيفته بعد التنحية، فالتنحية حينئذٍ كلية، وإن احتفظ فالتنحية جزئية .
- قد تكون التنحية سلبية، بمعنى أن العامل يفقد عمله، أو عمله ووظيفته بعد التنحية، وقد تكون إيجابية، أي: قد يصبح اللفظ عاملاً بعد التنحية عن وظيفته، وهو قبل التنحية لم يكن عاملاً ، كما في (حيثما) .
- يظهر أن الوظيفة النحوية والعمل النحوي متلازمان في بعض العوامل، فبمجرد أن يفقد العامل النحوي وظيفته الأساسية

الكريم ، وأولوا هذه الشواهد بناءً على ما تقتضيه معايير الصناعة النحوية التي وضعوها بأنفسهم.

غالباً ما يلجأ أكثر المعربين والمفسرين إلى تأويل النصوص القرآنية التي تتعارض مع أقيسة النحويين وقواعدهم، ليطوِّعوا تلك النصوص إلى هذه القواعد والأقيسة، وفي هذا الصنيع إجحاف كبير بكون القرآن الكريم أصل السماع الأول، وبما تتضمنه النصوص التي أولوها من دلالات ومعانٍ لم يقفوا عليها.

أهمل النحويون جانب المعنى في عددٍ من أبواب النحو، وانعكس ذلك على تحليلهم النحوي لكثير من آيات القرآن الكريم، ولذلك تراهم يضعون قواعد للمعنى وأخرى للصناعة النحوية، وكأنَّ المعنى لا علاقة له بالقاعدة التي وضعوها .

- لم يختلف موقف أغلب المفسرين من النصوص القرآنية المشكِّلة نحوياً عن موقف النحويين أنفسهم، إذ كانت القواعد النحوية تُصَبَّ أعينهم لا يحيدون عنها إلا نادراً، و لكن بعض المفسرين ومعربي القرآن لم يسايروا النحويين فيما ذهبوا إليه أو وضعوه من القواعد النحوية العقلية، بل غلبوا

والاستغناء عنه، بمجرد وقوعه حشواً أو وسطاً في التعبير القرآني، وإنما يؤتى به لأداء معنى مهمّ وأساس، لا يؤدّي بغيره، ولا يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإن كان هذا جائزاً، فهو في كلام العرب شعراً ونثراً، ولا يمكن قياسه على التعبير القرآني. ولا يصحّ الحكم بزيادة الحرف في آية قرآنية بمجرد خلوّ آية أخرى مشابهة لها في موضع آخر من القرآن الكريم، فهذا من القياس المغلوط في تفسير القرآن الكريم، وبيان وجوه إعجازه.

وأخيراً أقول: هذا عملي، لا أدعي له الكمال، فذلك مما لا يُنال؛ لأنّ الكمال لله تعالى وحده، فإن أصبت فيه فذلك بفضل الله تعالى وتوفيقه، وهو غاية القصد ومنتهى الأمل، وإن أخطأت فذلك من نفسي، وحسبي أنني ابتغيت الصواب، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني فيه السداد والتوفيق، ويتقبله مني بقبول حسن، وينفع به الدارسين، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

في الجملة، فإنه يفقد عمله، كما في شروط عمل (لا) النافية للجنس.

- يحدث في الأدوات المركبة حكمٌ جديدٌ ومعنى جديدٌ بعد التركيب، هذا هو الغالب فيها، ومنها ما خصّصت دلالته بعد التركيب، وقد يغيّر التركيب العمل في بعض الأدوات، فبعد أن كانت غيرَ عاملة تُصبح عاملةً مثل (حيث)، وقد يُغيّر الزمن والمعنى كما في (إذ) عند تركبها مع (ما)، وقد ينقل التركيب بعض الأدوات من الحرفية إلى الاسمية كما في (مأ).

- لمحافظة العامل على معناه أو موقعه أثرٌ كبيرٌ في محافظته على عمله وعدم تحييته، كما في (ظن) وأحواتها، و(إذن)، و (ما ولا وإن)، المشبهات بـ(ليس)، و(لا) النافية للجنس.

- تبين أنّ (ما) من أكثر المنحّيات تأثيراً في غيرها من الأدوات، وخاصةً بعد التركب معها، إذ إنّ الكثير من هذه الأدوات قد تفقد عملها أو وظيفتها كلياً أو جزئياً بسبب تركب (ما) معها.

- لا يمكن التسليم بزيادة الفعل أو الحرف في النظم القرآني، بمعنى أنّه لا يؤدّي وظيفةً في الجملة، وإنّه يمكن حذفه





مشاريع قرآنية

التبليغ القرآني الدولي

أ.م.د أحمد صبيح الكعبي



منتظر ومحمد باقر المنصوري القاريء الدولي أسامة عبد الحمزة إذ أقيمت في الزيارة الأخيرة في شهر رمضان المبارك ١٤٣٤هـ أكثر من (٣٠) أمسية قرآنية ومن ذلك المحفل القرآني في مدينة بيراك وجوهوربهارو/ في ماليزيا، ومالانغ وبروبولينغو وبانغيل وباندونغ وسورباية فضلاً عن جاكرتا في اندونيسيا، وكان لهذه المحافل الأثر الكبير في تبليغ رسالة القرآن والتعريف بالأنشطة القرآنية التي ترعاها الأمانة العامة للعبة الحسينية المقدسة من خلال دار القرآن الكريم في داخل العراق وخارجه .

وقضياً عن احياء المحافل القرآنية كان للوفد القرآني لقاءات عديدة مع

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَمِحْسُونَ، وَلَا يَحْسُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ .

ضمن العمل الدؤوب والنشاط الحثيث للعبة الحسينية المقدسة/ دار القرآن الكريم والذي يمثل نهجاً قوياً في تبليغ رسالة القرآن الكريم ومن خلال شعبة التبليغ القرآني الدولي إرسال الحفاظ والقراء المتميزين لإحياء المحافل القرآنية في المساجد والمؤسسات الدينية في دول متعددة كان آخرها في دول شرق آسيا وعلى وجه التحديد (ماليزيا واندونيسيا) إذ أقيمت نشاطات قرآنية واسعة في أكبر ثلاثة مساجد وهي (مسجد السلطان علم شاه) في العاصمة الماليزية كوالالامبور و (مسجد الاستقلال) في العاصمة الأندونيسية

جاكرتا الذي يستوعب (٢٠٠) الف مصلي وهو أكبر المساجد في جنوب شرق آسيا و(مسجد أكبر) في سوربايا ثاني أكبر المدن الأندونيسية .

وقد كان من ضمن المشاركين في هذه المحافل إضافة إلى الحافظين





القرآن وسبقه لقاء مع الدكتور سعيد عقيل
سراج رئيس منظمة نهضة العلماء التي
تعد اكبر المنظمات في اندونيسيا والتي يبلغ

الشخصيات والمؤسسات الدينية ومن ذلك
اللقاء مع رئيس جمعية القراء والحفاظ
الشيخ (مهيمن زين) في المعهد العالي لعلوم



مسجد الأنوار / جاكارتا - اندونيسيا



.. عدد اعضائها (٥٠) مليون وقد عبر رئيس المنظمة عن سعادته بهذا اللقاء قائلاً: ان اللقاء يزيد الاخوة الاسلامية بين البلدين .. كما تم اللقاء مع وزير الشؤون الدينية الاندونيسي ومدير مركز الدراسات الاسلامية في جاكرتا الدكتور محمد قريش شهاب ورئيس جبهة الدفاع عن الاسلام الحبيب رزق شهاب ورئيس وأعضاء مجلس العلماء الاندونيسي واعضاء منظمة اهل البيت الاندونيسية .

ومن خلال تلك اللقاءات وجّه الوفد القرآني دعوة لعدد من ابرز الشخصيات والعلماء لزيارة العتبات المقدسة في العراق واللقاء بالمرجعيات الدينية في النجف الاشرف واثمرت هذه الزيارات المتبادلة عن توقيع اتفاقية التعاون القرآني والعمل على اعادة افتتاح السفارة الاندونيسية في العراق

وتطوير مجالات التعاون بين البلدين .. ومنح الوفد العديد من الشهادات التقديرية على اثر مشاركاته الواسعة ومنها درع جامع الاستقلال ودرع جامع شاه علم وشهادات التقدير من مسجدي روضة المتقين وروضة المؤمنين في جزيرة جاوا الشرقية كما منح الوفد القرآني للعتبة الحسينية المقدسة العديد من الشهادات التقديرية وقد تم الاتفاق على مواصلة الزيارات والمشاركات في المحافل للتعارف بين الشعوب الاسلامية في مختلف أنحاء العالم عملاً بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُم شُعوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

٢٠٩



Besides I show Sayid Sebzvari's idea about that matter out of his interpretation (of the Qur'an).

العصمة وأثرها في تلقي النص
القرآني

Infallibility and Its Affection on Receiving the Qur'anic Text

The function of the divine discourse is to show the role of the receiver (of the divine Message) in explaining it. Therefore; he is totally authorized to notify it as he is the unique qualified one to read the text and show its significance. And since he is well-trusted, the Message will be completed and satisfactorily accepted by people. The creator has sent faithful Gabriel to deliver the and purely and finally to believers.

أسماء القرآن الكريم / قراءة في
إشكالية الأسماء والصفات

Studying Equivocations of Names and Attributes of the Holy Qur'an.

Muslim scholars widely studied the Holy Qur'an from different sides. Here our article is a drop from that clear fountain from which scholars used to drink and will go on drinking as long as heavens and the earth will survive.

My article, I am proud, studies the question of the names of the Qur'an which has already been studied and presented in different ideas and sayings. However, I am trying to go deeply through resources to shed light on that question to know its roots and the real reasons behind calling the Qur'an by different names. I used a poised method when dealing with those sayings to come up with a preponderant idea.

sake of Allah. Moreover, he did so to save humanity and guide people on the way of guidance.

الشعراء في القرآن الكريم

Poets as Seen by the Holy Qur'an

The Holy Qur'an never forbade poetry and did not stand against it nor adopted an aggressive attitude toward it. But it directed poetry in another way (i.e) it linked poetry with religion and the values derived from it for serving the Islamic society and on a condition that it should follow the method the Qur'an set.

سبل تعزيز القيم الروحية

Ways of Consolidating of the Spiritual Values

All educated Muslims know how the Holy Qur'an cares about values when facing the materialistic world. It pays much attention to them more than any other inter-

العقل وأهميته في فكر الامام موسى الكاظم

Mind in Imam Kadhum's (p.b.u.h) Intellect / A Qur'anic Vision

The greatness of Ahlul-Bayt (p.b.u.t.) is represented in their perfect personalities, their knowledge of Almighty Allah more than other people and their pure belief in Him. All those characteristics were reflected on their behaviors and relations in their ideal immortal lives.

Imam Kadhum's (p.b.u.h.) struggling life is considered an example of the ethical and educational morals in the life of Islamic nation. His life was famous for firmness and steadfastness. He was the true example for Prophet Muhammed's biography in behaviors, deeds and sacrifice. It is not a surprise that he showed asceticism and sacrificing with money and soul for the

The story of Prophet Moses (p.b.u.h.) is widely narrated in the Holy Qur'an. Many Qur'anic Suras deal with his story more than other stories. Even his name is mentioned in the Qur'an more than other names.

This has not come at random. Yet, it is because of the number of lessons and examples it includes. The story is famous for its variety of scenes like describing the Israelites situations before Moses, the dramatic events of his birth, how he was thrown in the sea (the Nile) and how he was picked up by Pharaoh's family.

Further events in his life are mentioned like killing the Egyptian who quarreled with the Israelite and how that event was the reason behind Mose's exodus terrified, his migration to Madyan, meeting the two sisters and their father Shu'eib and later his marriage and working as a shepherd in Madyan. Then his migration back to Egypt and how he talked with Al-

ests because the Qur'an has its own spiritual and educational method to refine human psyche and feed it and the mind with noble spiritual values. Therefore; Islam is the religion whose method achieves the Islamic ideal community.

Here, the individual does not think of one's interests and personal benefits only rather than feeling responsible for others. That comes from the ethics and behaviors derived from the principles of Islam, the holy religion. Islamic education, in general, tends to fix human values like loving people, mercy, boldness, knowledge, work, sympathy, forgiveness, favor, wisdom, sacrifice, trust and other spiritual values revealed in the Holy Qur'an. Doing so Islam aims at perfection.

تأملات في قصة نبي الله موسى ﷺ

Meditation on Prophet Mose's Story

main principles, they are widely discussed ideologically and doctrinally nowadays. Some extremist parts who adopted accusing others of disbelieving pushed ideological confusion and social separation to the surface. They accused all pilgrims who visit Prophets and Imams Shrines of disbelieving and even those who entreat to the shrines are false and liars.

مفهوم الغريب في القرآن الكريم

The Concept of (Strange) in the Holy Qur'an

The article deals with many questions like studying the term (strange) linguistically and idiomatically, (strange) as seen by rhetoricians and the (strange) in the Holy Qur'an as was seen by ancient and modern scholars. The writer used more than thirty reference books including lexicons, books of eloquence and interpretation of the Qur'an and others. He concludes many ques-

mighty Allah and how he was sent as a messenger are also narrated.

The article goes on talking about facing pharaoh and people in Egypt, challenging and defeating the magicians, leaving Egypt with the Israelites followed by Pharaoh and his followers, splitting of the sea and pharaoh's drowning, getting lost in the desert, worshipping calf, Samaritan's falsehood and other stories like Moses and Korah, Slaughtering the cow, pharaoh's wife, the believer of the pharaohs and other details.

مفهوم التوسل في المنظور القرآني / سورة يوسف أنموذجاً

The Concept of Entreaty in the Qur'anic Vision / Surat Yusuf as an Example

Entreaty and intercession are quite clear concepts rationally and by narration. They have undoubted proofs with no suspensions. Though they are parts of branches of Islam (i.e) not of the

صورة الكافر في الخطاب القرآني
دراسة سيميائية

**The Image of the Unbeliever
in the Qur'anic Discourse
(A Semantic Study)**

The Qur'anic discourse calls a group of people (unbelievers) in many places. They are opposite of (believers). That means they adopted a different way from that of Almighty Allah's leave. Though Almighty Allah has showed them the way of faith and belief, warned them of the way of disbelief and misery, they went astray.

One of Almighty Allah's graces was that he brought human beings to existence after nonbeing. Existence, itself, was one of succeeding graces followed by other graces. It was related to the big aim behind creation as man was ordered to achieve the mission of (succession).

tions included in the epilogue.

آية (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ....)

**A Contextual Reading
about Verse (2:215)**

The article studies the concept of (questioning) about spending (taxes) in verse no.215 of Surat Al-Baqara "They will ask you about what they should spend (in taxes) Say: Any money you contribute should be (first) spent on both your parents, close relatives, orphans, the needy and the wayfarer. God is Aware of any good you do." So those are who deserve spending on.

What draws the attention, here, is the expression of (good) to refer to non-reminding of favor otherwise spending will hurt those who are granted favor. Moreover, (spending) encourages social solidarity and creates a kind of love and a feeling of security beside happiness.



Editorial

Minds of the rational lie in the tips of their pens

Praise be to Allah, Lord of the worlds. Blessings and peace be upon Muhammed and his pure good progeny and his auspicious companions. Peace be upon Imam Hussein, sons of Hussein and the companions of Hussein who sacrificed themselves for Hussein. Then peace be upon readers of (Sada Al-Qur'an).

Almighty Allah says in the Holy Qur'an:

﴿فَلَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتَ رَبِّي لَنفَذَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ نَفذَ كَلِمَتَ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

Say: "If the sea were ink for the Words of my Lord, surely the sea would be exhausted before the Words of my Lord would be vanished even if we brought like it for its aid". (18:109)

The holy verse makes us face to face with many matters and responsibilities which oblige us to do and express them. According to the holy verse we could imagine how much knowledge we need to meditate the Qur'an and look attentively at it to show Muslims and the whole humanity its meanings. Then we have to imagine Muslims' degrees of scientific and cognitive awareness within their different sects and ideologies to answer their needs and offer them skillful well-experienced scholars and researchers to show the real lines of Islam.

We, therefore, are in need of a true uprising anywhere and anytime to understand the Qur'an and interpret it accurately. We should follow up any new scientific and moral matters to submit them to the Qur'an.

Editorial

The Qur'anic research we hope should be well-done and scientific directed by future plans, visions and projects. It should not be extemporaneous, or it will be unorganized, funny and out of purpose from what aim. We aim at educating Muslims according to the comprehensive and renewing nature of the Qur'an because we believe it is a divine constitution to all humanity.

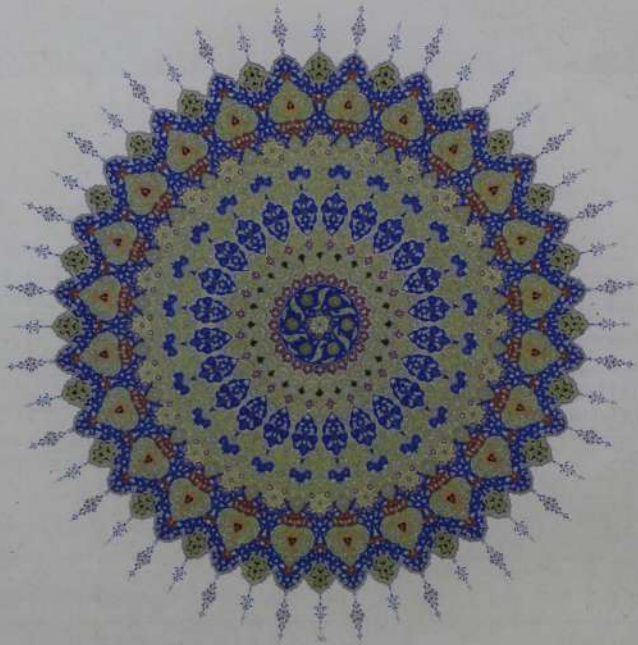
Feeling that need, Sada Al-Qur'an looks forward to the tips of researchers "pens because they show their meditation of the Qur'anic text and urge them to write about what answers Muslims' intellectual needs. Otherwise it would be mere proposition, theorizing or meditation.

The research which observes certain social category dealing with the standard of their thinking is undoubtedly a productive one (i.e) produces new awareness which urges them to read it, observe it and look for more.

Today we are very happy to present a bunch of scientific articles and rational meditations by which we intend to promote the Qur'anic meanings and horizons. Through such articles we seek propagating the Qur'anic awareness among all Muslim social sects. We call for the writer who care about the unlimited miracles of the Holy Qur'an to provide us with their works.

Finally we pray for Allah to grant success to all the workers in Darul-Qur'an Al-Kareem to serve the Qur'an.

Editor – in - chief



Sada Al-Qur'an



A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.5 Second Year

Contents

8	The Concept of (Strange) in the Holy Qur'an	145
9	A Contextual Reading about Verse (2:215)	161
10	The Image of the Unbeliever in the Qur'anic Discourse (A Semantic Study)	169

Sada
Al-Qur'an

Sada Al-Qur'an



A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.5 Second Year

Contents

Editorial

1	Studying Equivocations of Names and Attributes of the Holy Qur'an	7
2	Infallibility and Its Affection on Receiving the Qur'anic Text	19
3	Mind in Imam Kadhum's (p.b.u.h) Intellect A Qur'anic Vision	57
4	Poets as Seen by the Holy Qur'an	75
5	Ways of Consolidating of the Spiritual Values	93
6	Meditation on Prophet Mose's Story	111
7	The Concept of Entreaty in the Qur'anic Vision Surat Yusuf as an Example	129

Sada Al-Qur'an



A Quarterly Cultural and Qur'anic Bulletin No.5 Second Year

Editorial

Advisory Board

Sayid Fadhil Al-Jabiri
Talal Al-Kamali
Abood Judi Al-Hilli Dr.
Zayn Al-Abidin Mosa Jafar Dr.

Editorial Staff

Mohammed Jafar Al-Ardi Dr.
Hayder Abdul Zahra Dr.
Faleh Hussien Al-Asadi Dr.
Intisar Radi Elewi Dr.

Language Correction

Abdul Hasan Al-Abudi Dr.

Translation

Saad Sharif Taher

General Relations and Coordinations

Ammar Razaq Al-Khuzaii

General Supervision

His Eminence
The General Secretary of the
Hussaini Holy Shrine Foundation
(Al-Ataba Al-Hussainiya)

Executive Manager

Sheikh Hasan Al-Mansouri
In charge of Darul
Qur'an Al-Kareem in the
Hussaini Holy Shrine Foundation

Editor in Chief

Adil Nartheer Bayri Dr.

Editorial Manager

Ahmad Sabeeh Al-Ka'abi Dr.

Editorial Secretary

Jafar Hasan Ali

Design

Mohammed Taher Almosawi

www.dar-alquran.org

sadaalquran1@gmail.com